جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية
قسم اللغة العربية

بناء الخبر في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ت(٤٦٣)هـ

رسالة تقدم بها الباحث :

محمد علي عباس

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل
شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذة الدكتورة

رباب صالح حسن

١٤٤٣هـ **٢٠٢٢م**

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and
Scientific Research
Mustansiriyah University/
College Of Education
Arabic Language Department

The Predicate construction in the book of misers (Al-Bakhla) by Al-Khatib Al-Baghdadi (463AH)

:A thesis by the researcher

Mohammad Ali Abbas

To the Council of the College of Education at Mustansiriyah University, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature

Supervised by

Professor Dr

Rabab Saleh Hassan

2022 A.D **1443 A.H**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

صدَقَ الله العَظِيم

النمل: الآية١٩

إقرار المُشْرِف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(**بناء الخبر في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ**) التي قَدّمها الطالب (**محمد علي عباس بنجه**) جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية – كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، بوصفها جزءاً من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ أدب.

التوقيع :

المُشرف : أ. د. رباب صالح حسن

التاريخ:٢١/ ١/ ٢٠٢٢

<u>توصية رئيس قسم اللغة العربية</u>

بناءً على التّوصيات المُتوافرة أُرشّحُ هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم : أ. م. د . عدي حسين علي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ:٢١/ ١/ ٢٠٢٢

إقْرَارُ لَجْنَةِ المُنَاقَشَةِ

نَشهَدُ – نَحنُ أعضَاء لَجنَةِ المُنَاقَشَةِ – أَنَّنَا اطَّلَعْنَا على هذهِ الرِّسالة المَوسُومَةِ بـــ(**بناء الخبر في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ت٤٦٣هـــ**) وقَد نَاقَشْنَا الطَّالبَ (**محمد علي عباس بنجه**) في مُحتَوَياتِها، وفِيمَا لَهُ عَلاقَةٌ بِها، ونَرَى أَنَّها جَدِيرَةٌ بِالقَبُولِ؛ لِنَيلِ شهادة الماجستير في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدابها/ لغة، بتقدير (جيد جداً).

التَّوقيع:

الاسم: أ.د. جمال عبد الحميد جابر

(رئيس اللجنة)

التاريخ: ١٨/٤/٢٠٢٢

التَّوقيع:

الاسم: أ.م.د. حازم حسن سعدون

عُضواً

التاريخ: ١٨/٤/٢٠٢٢

التَّوقيع:

الاسم: أ. م. د. عيسى جعفر

عُضواً

التاريخ: ١٩/٤/٢٠٢٢

التَّوقيع:

الاسم: أ.د. رباب صالح حسن

(المُشرِف) عُضواً

التاريخ: ١٨/٤/٢٠٢٢

صُدِقت من مجلس كلية التربية على قرار اللجنة.

التَّوقيع:

الاسم: أ. د. عصام عسل حسن

عميد كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

٢٠٢٢/ ٤/ ٢٧

الإهداء:

إلى أبي و أمي و أخوتي

إلى الذين خرجوا من بيوتهم طلبا للعلم فلم يعودوا: عبدالله، علي، ناطق (رحمهم الله)...

إلى الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي، و الأستاذة تغريد خليل حامي وفاء لفضلهما...

إلى علي صباح، حسين حمودي، أزهر عباس

إلى التي أخفي ذكر اسمها دائما و أبدا...

أهدي لكم هذا النزر اليسير

شكر و تقدير:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين.

الحمد لله على هَنِيء عَطَائِه وَ مَحْمُودِ بَلَائِه وَ جَلِيلِ آلَائِه وَ لَه الْحَمْدُ عَلَى إحْسَانِه الْكَثِيرِ وَ خَيْرِه الغزير و لَه الْحَمْدُ عَلَى سَعَةِ إمْهَالِه وَ دَوَامِ إفْضَالِه وله الحمد اولاً وآخراً.

أتقدم بخالص الشكر والود والاحترام والتقدير إلى مشرفتي (أ.د رباب صالح حسن) لما قدمته لي من توجيهات واقتراحات قيمة ولما بذلته من جهد و حرص على إظهار الرسالة بالمستوى العلمي المطلوب، فجزاها الله عني خير الجزاء.

ولا يسعني إلا أن أشكر أعضاء لجنة السيمنار على رحابة صدرهم و غزارة علمهم و مدهم ليد العون لنا فصرفوا إلينا المنافع ولم يتركونا بخبطٍ وتلونٍ و اعتراضٍ كما أبعدوا عنا المواضيع التي لا جدة فيها فكل الشكر والامتنان و التقدير لرئيسها الموقر (أ.د جمال عبد الحميد جابر السوداني) ولأعضائها المحترمين (أ.د صالح زامل)، و (أ.د أناهيد عبد الأمير الركابي)،و(أ.م.د حازم حسن سعدون) فجزاهم الله عني خير الجزاء

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى السيد رئيس قسم اللغة العربية الدكتور (عدي حسين علي)، و إلى جميع أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية و أخص بالذكر منهم و(د. كريم جميل) وللأساتذة الذين أشرفوا على تدريسي خلال السنة التحضيرية، لما بذلوه من جهد كبير وما قدموه من آراء سديدة فجزاهم الله خير الجزاء.

فهرس المحتـــويـات

العنوان	الصفحة	
	من	الى
المقدمة	أ	د
التمهيد (مداخل تعريفية)	١	١٠
الفصل الأول: البناء الهيكلي للخبر	١١	٧٢
المبحث الأول: الإسناد	١١	٢٨
المبحث الثاني: الاستهلال	٢٩	٤٣
المبحث الثالث: التداخل الأجناسي	٤٤	٥٧
المبحث الرابع: (الخاتمة)	٥٨	٧٢
الفصل الثاني: ملامح السرد	٧٣	١٢٧
المبحث الأول :الشخصيات	٧٣	٨٩
المبحث الثاني: الأحداث	٩٠	١٠٨
المبحث الثالث: الزمان و المكان	١٠٩	١٢٧
الفصل الثالث: الأداء الفني للخبر	١٢٨	١٨٩
المبحث: الأول الحوار	١٢٨	١٤٣
المبحث الثاني: الفكاهة و السخرية	١٤٤	١٥٨

المبحث الثالث: الوصف	١٥٩	١٧٣
المبحث الرابع: المفارقة	١٧٤	١٨٩
الخاتمة	١٩٠	١٩٣
المصادر و المراجع	١٩٤	٢١٢
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	E	A

الـــمـقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير خلق الله محمد الصادق الأمين و على آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين.

أما بعد

تتيح نصوص التراث السردي العربي القديم أفقا واسعا للباحثين والدارسين ليسلطوا الضوء عليها ضمن دراساتهم فهي تحتوي على مادة دسمة يمكن بلورتها و صياغتها وتطبيقها بما يشكل جدة في الدراسات الحديثة، و لمّا كان الخبر السردي عنصرا مهما قد ورد ضمن هذا التراث الضخم كان لابد للباحثين الوقوف عليه وتحديده بضوابط و تحليل نماذج منه نفهم من خلالها طبيعته وسماته الجوهرية، بعد أن استقر مصطلح الخبر السردي و أصبحت له مصادر يمكن من خلالها أدراك ماهيته وعليه فقد انبثقت في الدراسات الأكاديمية بحوث عدة تناولته في مصادر و كتب تراثية كـ (الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني) و (بنية الخبر في كتاب الفصوص للصاعد البغدادي) وغيرهما. فقد قدم الباحثون و الدارسون قراءات جديدة وفق التطور الحاصل في الدراسات السردية الحديثة ، ولعل هذا البحث امتداد لتلك الدراسات التي سبقته و الذي قد يزيد من رصيد مكتبة الدراسات النقدية و السردية .

و عنوان هذه الدراسة من اقتراح أستاذي الفاضل الدكتور (حازم حسن سعدون) الذي مَنَّ عليَّ بهذا العنوان، إذ يعد كتاب البخلاء للخطيب البغدادي من الكتب المتوارية عن الأنظار و الغائبة عن الأذهان فهو مخفي و مدفون مع كنوز الكتب المهمشة التي تتشابه بعناوينها مع كتب أخرى حظيت بشهرة و اهتمام أوسع منها فبريق كتاب البخلاء للجاحظ قد أبهت بريق هذا الكتاب و أزاح اسم الخطيب البغدادي عن أذهان محبي الأدب في امتلاكه لمثل هكذا عنوان ضمن رصيده التأريخي و الفقهي مع أن مادة الكتاب هي مادة أدبية بحتة تشتمل على بعض الأحاديث النبوية التي لم تخرج عن موضوعة الكتاب والتي تخص قضية البخل فحسب.

أما هيكلية هذه الدراسة فقد شيدت على تمهيد و ثلاثة فصول وخاتمة ثبتت بالمصادر والمراجع و على النحو الآتي :

التمهيد كان بعنوان مداخل تعريفية وجاء على محاور، فكان المحور الأول منه في ذكر حياة الخطيب البغدادي بصورة موجزة، و المحور الثاني في البخل و أسبابه، أما المحور الثالث فكان في عرض بعض الكتب التي صنفت حول قضية البخل أو تناولتها بباب، وجاء المحور الرابع في بيان الفروقات بين بخلاء الجاحظ و بخلاء الخطيب، وعرض المحور الخامس دوافع التأليف عن البخل و البخلاء، أما المحور السادس فجاء للتعريف بطبعات الكتاب المختلفة وسبب اعتماد الباحث على طبعة الدكتور أحمد مطلوب و خديجة الحديثي و أحمد ناجي القيسي (رحمهم الله).

أما الفصل الأول من الدراسة درس الباحث فيه البناء الهيكلي للخبر وقد قسم هذا الفصل على أربعة مباحث عُرض في المبحث الأول منها السند منفصلا عن المتن و ما يحمله السند من أهمية تضفي للنص قيمة توثيقية ، أما في المبحث الثاني فقد عرضت فيه الاستهلال موضحا أهمية العتبة الاستهلالية في النصوص الواردة و متطرقا أيضا إلى أنواع الاستهلالات التي ابتدأ بها السارد أخباره، على حين جاء المبحث الثالث ليتناول قضية التداخل الأجناسي بين فني الشعر و النثر ومدى تأثيره في النص الخبري، وأخيرا ورد المبحث الرابع تحت عنوان الخاتمة حيث وقفت فيها على أنواع الخواتيم الواردة في الأخبار.

أما الفصل الثاني فاستعرض الباحث فيه ملامح السرد في كتاب البخلاء وقد سمي هذا المبحث تحت هذا العنوان كون أن السرد الوارد في الأخبار هو سرد ابتدائي فلم يكن السارد على وعي حقيقي بقضايا السرد الحديثة ، أما من ناحية تقسيم الفصل فقد جاء على ثلاثة مباحث ، خصص الأول منها لدراسة الشخصيات الواردة وأنواعها بينما خصص الفصل الثاني لدراسة الأحداث و طرق بناء الحدث ، في حين جاء المبحث الثالث على محورين هما الزمان و قد عرضت فيه أهم التقنيات الزمنية من ترتيب ويمثله الاسترجاع و الاستباق، وتقنية المدة المتمثلة في الخلاصة ،أما المحور الثاني فقد اشتمل على المكان و ما يؤديه من دور مهم في صناعة الأحداث وقد عرضت فيه المكان المفتوح و المكان المغلق.

وكان الفصل الثالث من الرسالة مخصصا لدراسة الأداء الفني للخبر وجاء على أربعة مباحث خصص الأول منها لدراسة الحوار الوارد بين شخصيات الأخبار، أما الثاني فاشتمل على عنصري الفكاهة و السخرية ، في حين خصص المبحث الثالث لعرض الوصف و ما له من قيمة فنية يجذب انتباه القارئ ويطرد السأم عنه، وجاء المبحث الرابع لدراسة المفارقة وما تحمله من قيمة جمالية تكسر أفق التوقع لدى القارئ.

بعدها انهيت الدراسة بخاتمة عرضت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال دراسة الخبر في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ثم وضعت قائمة للمصادر و المراجع التي عدت لها في هذه الدراسة.

وهذه الفصول بمباحثها قد اعتمدت المنهج الوصفي.

أما من ناحية صعوبات البحث فكانت تمثل في تغير عنوان البحث إذ كان من المفترض أن يَدرس الباحث كتابين من كتب الخطيب البغدادي ولم يكن ليقترح عليه دراسة كتاب البخلاء منفردا، حيث جاء العنوان الأولي للبحث (بناء الخبر في كتابي البخلاء و التطفيل للخطيب البغدادي) ولكن غُيّر هذا العنوان بعد تسجيله واكتشاف الباحث أن الكتاب الثاني (التطفيل) قد درس في جامعة ذي قار، إذ جاء العنوان على النحو الآتي (بنية الخبر في كتاب التطفيل للخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ)، على الرغم من أن الباحث قد جلب استشهادات من الجامعات العراقية و من دار الكتب و الوثائق تثبت بأن هذين الكتابين لم يدرسا في الجامعات العراقية بمثل هذه الدراسة ، إن هذا الأمر قد سبب ارباكا جعل الدراسة تقتصر على كتاب البخلاء فقط مما ضيق أفق البحث و التنوع في النصوص المستشهد بها للتحليل، بسبب رفع الكتاب الثاني وقد تسبب هذا الأمر بمشكلة أخرى للباحث حيث بعد التقصي و الاحصاء الدقيق وجدنا عدم احتواء كتاب البخلاء على أخبار طويلة أو أخبار كافية يستطيع من خلالها التنوع في اختياراته لنصوص يوزعها على المباحث ويحللها، فسمة الكتاب هي احتواؤه على أحاديث نبوية و أخبار لا نستطيع أن نصفها بالطويلة إذ كانت أغلبها قصيرة و أشعارا، و لم يفد الباحث سوى من الأخبار.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر أستاذتي ومشرفتي على إعداد هذه الرسالة الأستاذة الدكتورة (رباب صالح حسن) وما قدمته لي من معلومات ونصائح و إرشادات وما أفاضت به عليَّ من بحر علمها فبعلمها وصبرها قُومت هذه الدراسة ولا يكفي الشكر جهدها و وقتها الذي خصصته في بناء هذا البحث من فكرة بزغت في ذهن المقترح و التي قذفها لي فتلقفتها في ذهني إلى عمل منجز بين اليدين فجزاها الله عني خير الجزاء.

وبعد فهذه تجارتي فإن ربحت فللّهِ الحمد والمنة ، وإن لا قدر الله شابها الزلل و الخطأ فمن عند نفسي.

ولله الحمد على نعمه التي لا تحصى ، وعلى عطائه الذي لا يبلى ...

التمهيد

(مداخل تعريفية)

التمهيد

(مداخل تعريفية)

المحور الأول: الخطيب البغدادي

هو "الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت المعروف بالخطيب"[١]، "ولد بقرية من أعمال نهر الملك تعرف بهنيقيا"[٢] في سنة "اثنتين تسعين و ثلاثمائة، وسمع أول سنة سنة ثلاث و أربعمائة"[٣] ببغداد شيوخ وقته وبالبصرة و الكوفة و الري و الدنيور ونيسابور وقدم دمشق فسمع بها وبصور ومكة ثم عاد إلى بغداد وبقي فيها[٤]، وتفقه في المذهب الشافعي على يد أبي الطيب الطبري، وأبي الحسن المحاملي وغيرهما[٥].

كان الخطيب البغدادي "من الحفاظ المتقنين و العلماء المتبحرين ،ولو لم يكن له سوى التأريخ لكفاه، فإنه يدل على اطلاع عظيم، وصنف قريبا من مائة مصنف، وفضله أشهر من أن يوصف"[٦] وجاءت أغلب مصنفاته في التأريخ و الحديث.

سمع الخطيب البغدادي كبار المحدثين و الفقهاء و الإخباريين في تنقلاته العديدة ،وهذه التنقلات وهذا السماع اتاح للخطيب البغدادي أن يحصل على مادة علمية ضخمة وفي مدة مبكرة من حياته، فبسماعه لهؤلاء زادَ عدد شيوخه وأفاد ممن سبقه فظفر بذلك بعلو الأسانيد و تفاخر فيها بمصنفاته سواء أكانت تختص بعلم الحديث أو التأريخ أو الأدب .

توفي و دفن في بغداد بجوار قبر بشر الحافي سنة ثلاث و ستين و أربعمائة للهجرة[٧].

---

(١) وفيات الأعيان ، وأنباء ابناء الزمان، ابن خلكان ،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨: ٩٢/١

(٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ،تحقيق: أحمد الأرناؤوط ،تركي مصطفى، دار أحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،ط ١، ٢٠٠٠: ١٢٦/٧

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق، ط١، ١٩٨٩: ٢٦٣/٥

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات :١٢٧/٧.

(٥) ينظر: شذرات الذهب: ٢٦٣/٥

(٦) وفيات الأعيان: ٩٣/١.

(٧) ينظر: نفسه :٩٣/١.

إن للخطيب البغدادي مصنفات كثيرة وقد تناولت أهم جوانب الثقافة الإسلامية وقد وزعت موضوعاتها فكان لعلوم القرآن أكثر من خمسين كتابا و أكثرها من الأسفار الكبيرة، أما الفقه فقد صنف فيه ما يقارب من أربعين كتابا وكذلك لديه في الحديث و الأدب و اللغة ، وكان للتأريخ والرجال نصيبا كبيرا من هذه الكتب فتجاوزت مؤلفاته فيها ما يقارب مئة كتاب ونيفا، وهكذا فإن علوم الحديث وعلم رجاله يستأثر بمعظم اهتمام الخطيب البغدادي فهو يجمع المصنفات الخاصة به ويسمعها على العلماء ويرويها على التلاميذ.[١]

المحور الثاني: البخل و أسبابه

البخل ضد الكرم وقد يَبْخَل الانسان بُخلا و بَخَلا فهو باخل ذو بخل والجمع بخلاء [٢] والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه وهو نوعان بخل بمقتنيات نفسه وبخل بمقتنيات غيره وهو اكثر ذما[٣].

والبخل سمة مرضية تصيب بعض الناس إلا أنها سمة قبيحة غير محببة وتعد من الخصال الغير أخلاقية و رذيلة لا فضيلة وقد لا يكون البخل بخلا في المال فحسب، بل يشمل ما هو معنوي أو محسوس، فيوجد من هو بخيل بمشاعره وأحاسيسه أو علمه فيحتكر على سبيل المثال المادة العلمية أو المعلومة ويبخل بها، أو يبخل بالنصيحة أو إعطاء رأي أو يبخل بتقديم العون والمساعدة وغيرها فإذا كان الانسان يعيش في مجتمع يحتاج اليهم ويحتاجون إليه فإن عطاءه سببٌ في تضامن أبناء المجتمع وتقدمهم .

إن الكرم و البخل من القيم الملازمة لحياة الإنسان منذ وجوده على الأرض ولما كان البخل أحد صور الأنانية فذموه وذموا كل بخيل في حين مدحوا الكرم والكرماء وجعلوا منه مثالا يحتذون به ويشجعون الناس على الاتصاف به، أما بالنسبة إلى العرب فإنهم كما عرفوا و وصفوا أهل للجود و للكرم و القرى وسجلت أشعارهم وقصصهم شواهد على ذلك، فإذا أرادوا أن يمدحوا أحدا وصفوه بالكريم و صاغوا بأشعارهم وخطبهم أجمل التشبيهات و الاستعارات والكنايات وغيرها من

---

(١) ينظر: موارد الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد، أكرم ضياء العمري، دار طيبة ، الرياض، ط٢، ١٩٨٥: ٥١.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، مادة (بخل).

(٣) ينظر: سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري-تيزي ويزو، ٢٠١٠: ٢٢.

الأساليب البلاغية وإذا أرادوا أن يهجوا أحدا ويحطوا من قدره وصفوه بالبخيل و اتخذوا من البخل موضوعا لهجائه وهو أمر ليس بهين عليهم .

وحين بزوغ شمس الإسلام أصبح موضوع البخل أكثر ذما و أشنع من السابق حيث نصت الآيات على ذم البخل وتوعّد أصحابها بعذاب وعقوبات شديدة للحد من انتشاره ومنه قوله تعالى ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] ، وأيضا قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2] . و ورد أيضا في آيات اخرى، ونصت الأحاديث النبوية الشريفة على الأمر نفسه فالدين الإسلامي وجميع الأديان هي أديان عطاء ترغب في بناء مجتمع متكافل لا أديان بخل وشح.

يعد البخل كما ذكرنا سمة موجودة في الأنسان ولعل أحد دوافعه هو الخوف من الفقر والحرمان والحاجة فجعل خوفه أن يكتنز المال و المؤن أو دوافع اخرى تجعله يبخل بالأشياء المعنوية أيضا، أما في العصر العباسي فنجد أن الشعراء يتصدون له ولكن مع تقدم العصر و تعقد الحياة الاجتماعية والسياسية واختلاط العرب بالأمم والأقوام الأخرى نجد انتشار ظاهرة البخل أكثر مما كانت عليه في العصور السابقة مع ظهور وانتشار لآفات اجتماعية اخرى كالتطفيل و الكدية.

إن التغير الحضاري الذي انتج واقعا جديدا انعكس هذا الواقع على الحياة الاجتماعية وكان له أثر في تغذية عوامل البخل وأسبابه :

- نقل الحكم الى المشرق و تحوله من البساطة إلى التعقيد وجعل المال أسمى شيء لذلك تكالب الناس على جمعه بشتى الوسائل حتى إنهم لم يتجنبوا الطرق الملتوية والخبيثة أو المحرمة فاتخذوا من البخل والحيل و التطفيل و الكدية سبلا لجمعه.

([1]) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.
([2]) سورة النساء: الآية ٣٦-٣٧.

- التفاوت الاجتماعي والطبقي الذي حصل نتيجة لتكدس الأموال والثروات عند طبقة معينة دون الأخرى .
- خوف الناس من المجهول و خشيتهم من الحرمان جعلهم يكتنزون المال حتى لا يعودوا فقراء.
- تحول المجتمع من العادات البدوية والريفية إلى العادات و الطبائع المدنية فحياة المدينة تمتاز بضعف الروابط بين الناس بسبب ازدحامها مما قلل روح التعاون والمساعدة.
- نظرة البعض إلى المال على أنه مصدر للسلطة، والقوة، والسيطرة وأن المال يصنع المستحيل فسوغوا بذلك بخلهم.
- اختلاط العرب بالأمم والأقوام الأخرى ومصاهرتهم فظهرت طائفة من العرب أو غيرهم انسلخوا من الهوية العربية الأصيلة و قيمها كالجود والكرم .
- توريث صفة البخل للأبناء عن طريق أحد الوالدين فقد يكون بخل أحدهما أو كليهما سببا لاكتساب الأبناء هذه السمة المذمومة.

وتتعدد الأسباب تبعا للطريقة التي يفكر بها البخيل و فهمه للحياة[1] .

المحور الثالث: بعض الكتب التي صنفت حول قضية البخل أو خصتها بباب

لو نظرنا إلى التراث الأدبي العربي نجد هنالك حركة للتأليف عن البخل والبخلاء بدأت بأحاديث و روايات جمعها أبو عبيدة ت(٢٠٩هـ)، و الأصمعي ت(٢١٦هـ)، و المدائني ت(٢٢٥هـ) وغيرهم من الأدباء تعد النواة الأولى للتأليف حول البخلاء وإن كانت كتبهم قد سقطت من يد الزمن و لم تصل إلينا ثم جاء بعدهم الجاحظ ليضع كتابه البخلاء فكان أول من فتح هذا الميدان الأدبي وتفوق على من سبقه ومن جاء بعده ثم جاء بعده الخطيب البغدادي ت(٤٦٣هـ) ليضع كتابا منفردا تحت العنوان نفسه أما المحاولات الأخرى بقيت أغلبها دون المستوى أو كانت مشتتة متفرقة في ثنايا الكتب لم تنفرد بكتاب خاص وإنما جاءت على شكل باب أو جزء من كتاب ما

(1) ينظر: مقدمة كتاب البخلاء، الجاحظ، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠: ٢٩-٣١.

فنجدها على سبيل المثال على شكل باب من كتاب عيون الأخبار لأبن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦هـ)[١]، وعلى هيئة أخبار وقصص و أشعار متفرقة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ت(٣٢٨هـ) وقد خصها بـ باب طويل[٢] ، وقد وردت أيضا في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦هـ) ، وكذلك في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ت (٤١٤هـ)[٣]، ونجد أيضا شهاب الدين النويري ت(٧٣٣هـ) يخصص لها بابا في كتابه نهاية الإرب في فنون الأدب[٤]، ويفعل الأبشيهي ت (٨٥٠هـ) مثله في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف[٥]، وممن أفرد كتابا عن البخلاء جمال الدين يوسف بن حسن الحنبلي الدمشقي ت(٩٠٩هـ) و عنوانه إتحاف النبلاء بأخبار و اشعار الكرماء و البخلاء وهو كتاب صغير لا يتجاوز مئة صفحة و دون مستوى كتابي الجاحظ و الخطيب البغدادي و قد غلب الشعر فيه على الفنون الأدبية الأخرى.

المحور الرابع: البخلاء بين الجاحظ و الخطيب البغدادي

نجد أن كتاب البخلاء للجاحظ قد غلبت عليه الصبغة الفنية والجمالية فقد كان الجاحظ صاحب حس فني ونزعة أدبية فطغت نزعته الأدبية على معظم مؤلفاته ومنها البخلاء.

أما من ناحية الأسلوب فأسلوب الجاحظ تهكمي ساخر فنجده ينتقل من وصف إلى وصف وقد تحدث ببساطة و سلاسة حول سمة البخل و إظهار عيوبها وتفنيد حجج من عابوا بها على العرب ونسبوا البخل إليهم مزاوجا بين الفكاهة والواقع لدفع الملل وقد مال الجاحظ إلى السرد في ذكر قصص البخلاء و أخبارهم واحتوى سرده على بعض العبارات المسجوعة غير المتكلفة وكان الجاحظ يعرف الشخصية أحيانا تعريفا وافيا وقد عرض الجاحظ في كتابه صورا حية من

---

(١) ينظر: عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر: المكتب الإسلامي ،بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٣٠٤/٣.

(٢) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق، عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،ط١، ١٩٨٩: ١٥٧/٧.

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة، ابو حيان التوحيدي، أعتنى به: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية،بيروت،٢٠١١: ٣٠٤/٣.

(٤) ينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق: حسن نورالدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٢٧٣/٣.

(٥) ينظر: المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي، تحقيق: محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٨: ٢٤٩/١.

العادات الاجتماعية العربية و الشخصيات في كتابه بين علماء و تجار و أناس عاديين وقد ساعدت ثقافة الجاحظ و اطلاعه على علوم اليونان والفرس على وصف الأطعمة الفارسية و الرومية بل نجده يوازن أحيانا بين العرب والفرس واليونان والصقالبة من ناحية البخل فكما ذكرنا سابقا من أسباب تأليفه هو الرد على الشعوبية وقد صور الجاحظ شخصيات البخلاء وأحوالهم تصويرا دقيقا وشاملا ضابطا إسناد الأدوار إليها أيضا نجد اعتماده على لغة الحياة اليومية في الحوار الدائر بين الشخصيات في كتابه فوجدنا بعض الألفاظ الشعبية و الفارسية وقد استشهد الجاحظ بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأمثال ايضا[١].

أما الخطيب البغدادي فلم يمتلك تلك النزعة الفنية العالية بل كانت نزعة تاريخية فقد قسم كتابه على أجزاء صغيرة كما هي الحال في كتب الحديث و التأريخ وخص كل جزء منه باسم وعنوان يضم فيه الأخبار المتشابهة من حيث المضمون على عكس الجاحظ الذي عرض قصصه وأخباره عرضا أدبيا ممتعا من دون تقسيم أو تبويب[٢] .

و أسلوب الخطيب البغدادي هو جمع الأخبار وضمها في أبواب حسب أغراضها وترك النصوص والروايات من دون شرح أو تحليل أو تعليل فسيطرت على الكتاب النزعة التأريخية حيث تسود فيه الأسانيد و الرواية، و لعل سبب ذلك إن الخطيب البغدادي كان مؤرخا ومحدثا و فقيها مولعا بالأسانيد وضبطها فطغى ذلك على مؤلفاته[٣]، ونجد أيضا أن الخطيب البغدادي لم يضع مقدمة لكتابه أو يبين مقاصده و دواعي تأليفه كما فعل الجاحظ ولم يجعل للكتاب خاتمة كما فعل الأدباء حتى الأشعار و الأخبار الأدبية صبغها بصبغة التأريخ و الحديث.

أما أوجه التشابه بين الكتابين فكلاهما ضم أخبار البخلاء ونوادرهم حكاياتهم وأشعارهم مع تنوع هذه الأخبار بين القصيرة والمتوسطة و الطويلة و اعتماد الاخبار القصيرة كبنية أساسية في التأليف.

---

(١) ينظر: صورة بخيل الجاحظ الفنية(من خلال الخصائص الأسلوبية)، أحمد بن محمد بن امبيربيك، دار الشؤون الثقافية، العراق، بغداد، ١٩٨٦: ١٧٤/ينظر: صورة البصرة في بخلاء الجاحظ، هاني العبد، دار الشؤون الثقافية ،ط١، ١٩٩٠: ٤٢/ ينظر: البخلاء، للجاحظ، :٢٦.

(٢) ينظر: البخلاء، الخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، أحمد ناجي القيسي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٤: ١٠.

(٣) ينظر: نفسه : ١٠.

المحور الخامس: دوافع التأليف عن البخل و البخلاء.

هنالك عدة دوافع لتأليف كتب البخلاء منها دوافع سياسية و اجتماعية و فردية أما الدافع السياسي هو الرد على الحركة الشعوبية التي ظهرت في العصر الاموي نتيجة المعاملة السيئة التي عاملها الأمويون للموالي، و إرهاقهم بكثرة الضرائب وعدم مساواتهم بالحكم مع العرب مما سبب ضغنا بينهم وبين العرب وأخذت تقوى هذه الحركة مع تحول زمام الحكم من الدولة الأموية إلى العباسية ودعم الفرس والأتراك وغيرهم للعباسيين وإرساء حكمهم فأصبح للموالي مكانة رفيعة في المجتمع وكثر القواد و الولاة منهم[١].

إن هذا التحول سبب في بروز النزعة الشعوبية ولاسيما بين العرب والفرس فأخذ الفرس يعيبون على العرب ما كانوا عليه في السابق واستمد الفرس القوة من حضارتهم وعابوا العرب على ما كانوا عليه من بداوة وخشونة في المعيشة وراحوا ينتقصون و ينقضون ما كان للعرب من عادات وقيم وسجايا كالكرم و الجود والمروءة وغيرها و ينكرونها عليهم واخذوا يجمعون الاخبار والاشعار الحقيقية منها والمفتعلة مما يتعلق بأكل العرب و هيئتهم ومعيشتهم في سبيل نفي الكرم الذي كان يفتخر به العرب ويعتدون به مما جعل الكتاب والأدباء أمثال الجاحظ وغيره من الأدباء يتصدون لهذه الأقاويل ويفندوها فوضعوا كُتبا فيها ومنها كتب البخلاء[٢].

أما الدافع السياسي الآخر هو الصراع الذي دار بين الأمويين و العباسيين مما جعل بعض المؤرخين ينقل أخبارا يصور فيها بخل الخلفاء الأمويين وقد تكون هذه الاخبار مفتعلة أيضا و الغاية منها إرضاء الخليفة العباسي[٣].

أما الغاية الاجتماعية من تأليف كتب البخلاء فسببه التحول الخطير الذي شهده المجتمع العباسي نتيجة لتطور الحياة وانتقالها إلى مدن واسعة مترامية الأطراف في أجناس مختلفة من الناس وهذا التحول كان سببا في قلة الأواصر الاجتماعية وتبدل بعض العادات ومنها ظهور البخل فكان لابد من تأليف هذه الكتب للتصدي لهذه الظاهرة ولمنع انعكاس القيم و العادات

---

(١) ينظر: تيار الشعوبية في أدب الجاحظ: علي محمد السيد خليفة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠١١: ص١٧.

(٢) ينظر: صورة الفرس في كتاب البخلاء للجاحظ، شنين سهام، رسالة ماجستير، كلية الآداب و الفنون، جامعة عبدالحميد بن باديس، ٢٠١٦: ٢٩.

(٣) ينظر: فن السخرية في أدب الجاحظ، رابح العوبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن،٢٠١٧: ٢١٠.

الاجتماعية العربية فراح الأدباء يفضحون البخيل و يلحقون به العار على مدى الدهر لكي لا يحتذي أحدا به أيضا يجب علينا أن لا ننكر فضل الكتّاب التوخي في أثناء تأليف هذه الكتب لمن هو فقير لا يمتلك شيئا ليعطيه بل يتعرضون لمن لديه المال ويمنعه.

أما الدافع الفردي من التأليف فيكون بناءً على طلب من والٍ أو على نحو ذلك كما يذكر الجاحظ في مقدمة كتابه أنه ألفه لأحدِ رجال الدولة، ولكنه لم يذكر اسمه و الارجح أنه كان صديقا له من الذين يحتفي بهم.

وبعد ظهور كتاب الجاحظ البخلاء وإعجاب الناس به تولد دافع آخر جديد وهو الدافع الأدبي فأصبحت قصص البخلاء وأخبارهم ونوادرهم وأشعارهم أدبا خاصا فيه متعة فنية لا يقل متعة وجمالية عن أدب المقامات و التطفيل والفضل يعود للجاحظ الذي استطاع أن يسحب هذا الأدب المثير من الصراعات السياسية و يجعل منه موضوعا أدبيا خالصا.

المحور السادس: طبعات كتاب البخلاء للخطيب البغدادي بين المحققين.

لقد ألف الخطيب البغدادي كتابا منفردا تحت عنوان البخلاء وخصه بالحديث عنهم وقد قسم الكتاب على ستة أجزاء صغيرة جمع فيها أحاديث و آثار وأخبار في ذم البخل وفيه أيضا أشعار وحكايات وقصص متنوعة عن البخلاء وعدد الاخبار التي وردت فيه (٣٢٠) خبرا أغلبها أخبار قصيرة ومتوسطة أما الأخبار الطويلة فقد بلغ عددها (١٧) خبرا يتراوح طولها بين الصفحة و الصفحة والنصف وقد طبع الكتاب بتحقيقات عدة منها :

تحقيق الدكتور أحمد مطلوب و الدكتورة خديجة الحديثي و أحمد ناجي القيسي فقد اعتمدوا على النسخة المخطوطة لتحقيق الكتاب وقد طبع الكتاب بأحسن صورة ونشر سنة ١٩٦٤م وكان منهجهم في التحقيق على النحو الآتي:

- ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب .
- تخريج الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية.
- وضع هوامش لمعاني بعض الكلمات.

- نسب بعض الأبيات الشعرية إلى قائليها أو إلى كتب الأدب أو إلى ديوان الشاعر إن وجد له ديوان .

- تصويب الأخطاء الموجودة في المخطوطة مع ذكر أصلها في الهامش.

- عزو بعض الأخبار إلى مصادر الأدب العربي.

- ترجمة أصحاب بعض الأسانيد.

- ترجمة بعض الأماكن المذكورة.

- وضع فهارس للكتاب و الأحاديث و الأعلام و الأماكن والقوافي والاستدراكات.

أما الطبعة الثانية فهي بعناية بسام عبد الوهاب الجابي ونشرت عن دار ابن حزم سنة ٢٠٠٠ ولاحظنا فيها :

- ترجمة طويلة لحياة المؤلف وذكر نسبه وشيوخه و مؤلفاته في مقدمة الكتاب.

- ترقيم الأخبار الموجودة في الكتاب.

- تخريج الأحاديث النبوية إلى كتب الحديث .

- تصويب الأخطاء مع ذكرها في الهامش.

و وجدنا طبعة أخرى بتحقيق أحمد فريد المزيدي وكان منهجه في التحقيق على النحو الاتي :

- ترجمة طويلة لحياة المؤلف وذكر نسبه وشيوخه ومصنفاته في مقدمة الكتاب.

- ترقيم الأخبار الموجودة في الكتاب

- تخريج الآيات والأحاديث الواردة والحكم على الأحاديث من ناحية صحة الحديث وضعفه متبعا أراء أهل العلم في ذلك.

- عزو بعض الشواهد والأخبار إلى مصادرها.

- شرح بعض الألفاظ الغريبة .

- عزو بعض الأشعار الى اصحابها.
- ذكر بعض قصص البخلاء في الهامش من دون معرفة سبب واضح لذلك .
- عمل فهرست للكتاب والآيات والأحاديث والأعلام و الأماكن و القوافي.

واعتمدنا على الطبعة التي بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي لسببين هما كونهم الأسبق إلى التحقيق واستخراج الكتاب والسبب الأخر إنهم أكاديميون أصحاب اختصاص ولا أحد ينكر جهدهم و فضلهم في التحقيق و التأليف .

الفصل الأول

(البناء الهيكلي للخبر)

المبحث الأول: الإسناد

المبحث الثاني: الاستهلال

المبحث الثالث: التداخل الأجناسي

المبحث الرابع: (الخاتمة)

المبحث الاول

الإسناد

يعد مصطلح الإسناد من المصطلحات الوافدة على الأدب، ولعل أغلب المصطلحات المستعملة في مسألة الإسناد قد أُستوردت من الحقل الديني، بوصف النص الديني المهيمن على الفكر العربي، لا بوصف الإسلام من قام بتسيده بقدر ما عملت السياسية على هيمنة الفكر الديني لأسباب متعددة، ليس لنا مجالا لبحثها، وبما أن المصطلح قد أخذ من أهل الحديث فمرد ذلك إلى أمرين، الأول: إعتماد أهل الحديث على الإسناد بصورة أوسع من أهل الأدب في نقل نصوصهم و ضبطها و إيرادها، و السبب الثاني: هو استقرار مصطلحات الإسناد و إرساء قواعد ضبطه ومن ثم وضع كتب خاصة به، فبدأت لديهم وانبثقت علومه منهم و أثرت في أهل الأدب، لذلك كان لابد من الوقوف في هذه الدراسة على كتب أهل الحديث أكثر من كتب أهل الأدب عمومًا، وأهل السرد خاصة، كونهم قد أخذوا أغلب مصطلحاتهم وطرق أدائهم منهم، وهذا ما سنوضحه في هذه الدراسة.

السند في اللغة :" ما ارتفع عن الارض في قُبل الجبل أو الوادي و الجمع أسناد و كل شيء أَسندت إليه شيئا فهو مُسند أو مِسند وجمعه المسانِدُ"[١].

وتعددت تعريفات السند في الاصطلاح ولكن كلها تدل على معنى واحد، فقيل في تعريفه :رفع الحديث إلى قائله هذا ما يخص الحديث أما الخبر فهو عملية يقوم الراوي بها تتمثل في إنشاء خيط بينه وبين مصدر الخبر يطلق على هذا الخيط السند[٢]، و قيل :"طريق المتن أي رجاله ، والاخبار عنه هو الإسناد"[٣]، أي بمعنى سلسلة الرجال الذين نقلوا المتن، ونستطيع ربط هذا المعنى بالمعنى اللغوي فهؤلاء الرجال يرتفع بعضهم على بعض بالسنين من الأقرب ثم الأبعد كالجبل يبدأ من الوادي وهم أيضا مسندون أي أحدهم يستند إلى الذي قبله في النقل أما الفرق بين السند و الإسناد فيكون لغويا لا اصطلاحيا فمن حيث الاصطلاح يستعمل السند والإسناد

---

(١) لسان العرب، (مادة سند).

(٢) ينظر :الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية ،محمد القاضي ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ، ط١ ،١٩٩٨: ٢٢٧.

(٣) المنهل الروي على منظومة المجد اللغوي ،سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل، اعتنى به هارون بن عبد الرحمن الجزائري، دار ابن حزم ،بيروت لبنان، ط١ ،٢٠٠٧: ٢٩.

لغرض واحد وهم سواء عند المحدثين[١]، وتستعمل لفظة (الطريق)على السند إلى الراوي الذي يرجع إليه الحديث فيقال ((هذا حديث يروى عن طريق فلان)) وهذه المصطلحات الثلاث(السند، والإسناد، والطريق) يعتمد عليها في ضبط صحة الحديث أو ضعفه. ولعل تعريف مصطفى صادق الرافعي يصلح أن يكون تعريفا أدبيا خاصا بالإسناد حيث يرى "إنّ الإسناد لا يراد به إلا شهادة الزمن على اتصال النسب العلمي بين راوي الشيء وصاحب الشيء المروي"[٢]، فصحة الخبر لا تتحقق إلا عن طريق الإسناد ، و إذ لم يكن الإسناد علما له مصطلحات مستقرة ،وقواعد لضبطه مثبتة في الكتب لا يمكن أن يستدل به على التوثيق.

واختلف الدارسون في نشوء الاسناد فمنهم من رجح نشوءه في أحضان الحديث النبوي وبيئة الفقهاء ورجال الدين وهو ما يراه الدكتور شوقي ضيف فيقول "هذه القواعد التي وضعها المحدثون للتوثق من صحة الحديث النبوي ودقة روايته و رواية مصنفاته ، طبقها علماء الشعر القديم و رواته تطبيقا واسعا حتى نفوا عنه الزيف و المنحول"[٣].

ويرى الدكتور عبد الله إبراهيم بأن الإسناد ظهر كوسيلة للتأكد من سلامة الحديث النبوي واكتسب دينية بعض الصفات الدينية فقد أكسب أصحابه بعض القدسية لدى عامة الناس بسبب قربهم من كلام الرسول(ص) فتسربت لهم قدسية ما ينقلون و ما يفسرون أحيانا فأصبح للإسناد شأن في ذلك شأن الحديث لأن المسندين حملوا المتن الذي يصدر عن الرسول[٤]، ولم تكن ظاهرة الإسناد واجبة في الحديث النبوي لدى الجيل الاول من الصحابة لأسباب منها قرب العهد الى النبي (ص) وكون الصحابة أوعية حفظ ومصدر إتقان و أيضا قلة التجرؤ بالكذب على النبي(ص)[٥]، وأخذ الإسناد يتطور ويتسع و يتضخم مع مرور الزمن و طول المسافة بين مصدر الحديث أو المحدث و من ينقل الحديث عنه إلى أن يُرفع الحديث للرسول(ص) وكذلك أصبح للإسناد علوم تتناول الرجال مرة والمتن مرة أخرى كعلم الرجال الذي يراد به"دراسة قواعد معرفة أحوال الرواة"[٦]، وعلم الجرح و التعديل "وهو ما يبين عيوب رواة الحديث التي لأجلها

---

(١).ينظر: هامش شرح نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: طارق عوض عبدالله، دار المأثور ،المملكة العربية السعودية، ط١ ،٢٠١١: ٢٤.
(٢) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط١، ٢٠٠٠: ٢٢٧/١.
(٣) البحث الأدبي مناهجه و اصوله، شوقي ضيف ، ،دار المعارف ،القاهرة ،ط٧ ،١٩٩٢: ١٦٠.
(٤) ينظر: موسوعة السرد العربي ،عبدالله إبراهيم، دار قنديل للطبع الامارات دبي ط١ ،٢٠١٦: ١١١/١.
(٥) ينظر: نشأة الاسناد، قاسم علي سعيد ،دار البشائر الاسلامية ،لبنان بيروت ،ط١ ،٢٠١٠: ١٠.
(٦) أصول علم الرجال ،عبدالهادي الفضلي، ،مركز الغدير للنشر، لبنان بيروت،ط٢ ،٢٠٠٩: ٢٣.

تسقط عدالتهم ويكون حديثهم من عداد الضعاف" [١]، وعلم علل الحديث الذي من خلاله نعرف العلة التي تقدح في صحة الحديث[٢]، وعلم مصطلح الحديث "وهو معرفة القواعد التي يعرف بها احوال السند و المتن"[٣]، إن كل هذه العلوم لها صلة وثيقة بتوثيق السند و المتن ويراد بها الحفاظ على دقة النقل.

أما الاتجاه الآخر فيرى باحثوه أن الإسناد قد ظهر في الأدب أولا ثم انتقل إلى الحديث النبوي ومن هؤلاء ناصر الدين الأسد الذي ذهب مذهبا يخالف ما ذهب الآخرون إليه فيرى "أن الرواية الادبية أصل قائم بذاته وقد وجدت عند العرب في الجاهلية فكان علماء النسب الجاهليون وممن أدرك الإسلام منهم يأخذون علمهم بالنسب عن شيوخ هذا العلم ممن تقدمهم أو عاصرهم وكذلك كان رواة الشعر و الأخبار الجاهلية "[٤].

حيث تحدث الدكتور ناصر الدين الأسد عن الرواية في العصر الجاهلي بمعناها البسيط إذ هو نقل الشعر للناس عن طريق رواة الشاعر نفسه وهذا لا يعد إسنادا بهذا المفهوم الذي استقر عليه الإسناد لاحقا ، فالكلام ينتقل من شخص إلى آخر دون توثيق أو تدوين إلا ما ندر حيث إن هذه الطريقة هي طريقة شفاهية ،تفتقر إلى قواعد لضبطه .

وهذا ما يراه علي أحمد الخطيب أيضا إذ يقول "إن رواة الحديث النبي قد عرفوا طريق وصول الشعر الجاهلي اليهم عن طريق الرواية لأن الكتابة لم تأخذ شكل الظاهرة يومذاك و لا غرو أن تكون رواية الحديث منبثقة عن رواية الأدب و الداعي إلى ذلك الضرورة و الحاجة الملحة"[٥] . ويرى أيضا" أن اعتناق بعض الشعراء الجاهليين للإسلام...ممن كان لهم دربة و مران علم بالرواية ساهم في انبثاق رواية الحديث"[٦].

---

(١) دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الرحمن الاعظمي، ،مكتبة الغرباء الاثرية ،المدينة المنورة ،ط١ ،١٩٩٥: ٥٤.
(٢) ينظر: الميسر في علم علل الحديث، محمد عبدالله حياني ، جامعة الملك فيصل، الدمام ،ط١، ٢٠١٦: ٧٥.
(٣) المختصر في علم مصطلح الحديث والأثر ،خالد بن محمود الجهني ،دار التقوى للطبع،ط١، ٢٠١٧: ١٢.
(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ،دار الجيل ،بيروت ،ط٨، ١٩٩٦: ٢٥٥.
(٥) الشعر الجاهلي بين الرواية و التدوين، علي أحمد الخطيب، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ٢٠٠٣: ١٢٣.
(٦) نفسه:١٢٣.

و ممن ذهب في هذا الاتجاه الدكتور إبراهيم صحراوي إذ يقول "والإسناد أثر من آثار الرواية بلا جدال "[1].

ولكن ما يميز بين رواة الشعر و رواة الحديث هو إن لكل شاعر راوية أو عدة رواة يروون شعره دون غيره أما ما يخص الحديث فإن الرواة أغلبهم يروون حديث الرسول الأعظم حصرا و يعضدونه بأقوال الخلفاء و الأئمة .

ويقف محمد القاضي موقفا متوسطا إذ يرى أن الإسناد قبل الحديث كان إسنادا بدائيا يفتقر إلى القواعد الثابتة و القوانين الضابطة له فكان غاية الاهتمام بمتن الخبر لا بإسناده، من ثم تطورت ظاهرة الإسناد في الأدب تطورا ملحوظا بعد إرساء قواعد علم الحديث وثبوت مصطلحاته[2].

وهذا الرأي هو الأقرب للواقع حيث يمكن عد رواية الشعر الجاهلي منبثقا انبثق منه الإسناد عند أهل الحديث، فلفت انتباههم لإرساء قواعد يستطيعون من خلالها ضبط سلاسل الرواة و ما يخص ذلك من جرح وتعديل في الأشخاص و المتون، وحين استقرت هذه المصطلحات وعرفت طرق وصيغ نقل الحديث ،أخذها منهم علماء الأدب فيما بعد بصورة أبسط مما عند أهل الحديث فلم يضع أهل الأدب علما لجرح وتعديل ونقد الأسانيد التي بين أيديهم واكتفوا بالإشارات إلى بعض الشخصيات المدلسة، والغير موثوقة إن تطلب الأمر ذلك ، نرى أيضا إن قضية الإسناد في الأدب قد برزت من جديد في القرن الثاني تقريبا بعد اضمحلالها قبل هذين القرن وكان سبب ظهورها طبقة المؤدبين الذين يوكل إليهم مهام تأديب أبناء الخلفاء والولاة والقادة، فقد أراد المؤدبون إحياء هذه القضية لبروز أسمائهم عند القادة وحصولهم على الشهرة بين الأوساط الأدبية، وبالتالي يتوسع دخلهم المادي و تتوسع عليهم العطايا والهدايا، لذلك نجد أن سند الرواية الأدبية ليس كسند الحديث إذ لا يوجد علوم في الرواية الأدبية للأسانيد ونقدها، و أيضا من الملاحظات المهمة التي نلاحظها في الأدب ندرة الإسناد المتصل المرفوع إذ إننا نادرا ما نجد إسنادا يوصلنا إلى الشاعر الجاهلي على سبيل المثال وإن أغلب الأسانيد هي مرسلة منقطعة أي

([1]) السرد العربي القديم(الأنواع، الوظائف، البنيات)، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ،لبنان ،ط١ ،٢٠٠٨: ١٧٠.

([2]) ينظر: الخبر في الادب العربي: ٣٠٠.

فيها سقطات في أواخرها[1] ، إذ إنهم كانوا يجمعون الشعر من أفواه الناس إذ كانت رواية الأدب من الثقافة العامة فجمع هؤلاء هذا التراث الضخم ومحصوه ودققوا فيه ، مما ساعد علماء القرن الثالث والرابع بعدهم على أن ينظروا بجدية أكبر في مسألة الإسناد فأصبحوا يدوون اسماء الرواة والطريق التي وصلت بها النصوص إليهم ممن سبقهم من علماء القرن الثاني، ولا غريب إننا نجد إهمالا من بعض العلماء للإسناد حينما يتحدث أو يملأ أو يؤلف مثلما فعل ابن عبد ربه الأندلسي إذ يقول "وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف و الإيجاز وهربا من التثقيل و التطويل، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتصاله و لا يضرها ما حذف منها، وقد كان بعضهم يحذف إسناد الحديث من سنة متبعة و شريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من شاردة ومثل وسائر وخبر مستظرف"[2].

حيث نجد أن ابن عبد ربه يعطي تبريرا حينما أسقط أسانيد كتابه العقد الفريد معزيا ذلك لأسباب تخص المتلقي حيث إنه لا يريد أن يثقل عليه بذكرها، فهو أمر لا يستفاد منه المتن بشيء أن وجد أو حذف، فلا يزيد بمتعة و لا ينقص بمعلومة لذلك فضل عدم ذكرها .

ومثله فعل الصولي إذ صرح بحذفه للأسانيد "قد ذكرت إن أختصر جميع ما أذكره و القي أسانيده ليقرب على طالبه و مستفيده إلا ما لا بد منه من ذكر نسبته وإسناده"[3]، ومثله فعل القالي حيث يذكر الزبيدي إن القالي قد اختصر أسانيد العلماء الذين نقل عنهم كتابه البارع[4]، إذ إن بعضهم لم يكن مدركا لهذه القضية، و البعض الأخر كان ثقة وله مكانته العلمية في عهده فلا يجد داع لذكر مصادر معلوماته، إن هذه الأسباب جعلت العلماء بعدهم ينتبهون للإسناد ويحفظونه وأصبح له قدسية لدى طبقة المحدثين والفقهاء اكتسبها من مجاورته والتصاقه بالنصوص الدينية وعدوه جزء لا يتجزأ عن الدين وان الله خص بها هذه الأمة دون غيرها فقالوا" إن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء هي الإسناد و الأنساب والإعراب"[5] وللإسناد أهمية بالغة

---

(1) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي :٢٥٨.

(2) العقد الفريد، أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٣: ٣/١ المقدمة.

(3) أدب الكتاب، أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ،تصحيح وتعليق :محمد بهجة الأثري، نظر فيه: محمد شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، مصر ،١٣٤١هـ: ٢٨.

(4) ينظر: طبقات النحويين و اللغويين، لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، لبنان ،بيروت،ط٢ ،١٩٨٤: ١٨٦.

(5) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق:أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ،مكتبة الكوثر ،بيروت ،ط٢ ،١٤١٥هـ: ٦٠٥/٢.

سواء في الحديث النبوي أو الأدب حتى قيل "لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[١] ، وهو ما يربط الحاضر بالماضي "وهو السبيل الوحيد للتثبت من صحة أنتساب الأخبار القديمة ويوحي بصدقية المنقول ،وهذا الصدق لا نعني به صدق مضمون الحديث في حد ذاته بل يضمن لنا الإسناد صدقية كونه منقولا عن مصدر"[٢]، ولظاهرة الإسناد ارتباط شديد بمسألة صدق الراوي ،فالخبر لا يعترف به إلا إذا كان ناقله مشهور بالصدق و العدالة ،بل المسألة أكبر من ذلك حيث كلما كان عدد رواته كثيرين ولا يعرف بعضهم بعضا كلما زادت هذه المسألة من صحة الخبر إذ إنهم من المستحيل قد أتفقوا على إذاعة خبر كاذب فالثقة التي تمنح للخبر على قدر الثقة التي تمنح لصاحبه[٣]، واصبح مكونا من مكونات الخبر التي حرصوا على توافره.

ونجد أن الخطيب البغدادي في كتابه البخلاء قد التزم التزاما تاما بالإسناد إلا ما ندر من الأخبار التي أوردها حتى أصبح الإسناد سمة من سمات الكتاب البارزة التي ميزته عن غيره من الكتب التي أوردت قصص البخل والبخلاء و نلاحظ أيضا تنوع صيغ الأسناد ومراتب تحمل الأداء التي أوردها في كتابه فمنها :

السماع: ويقصد به السماع من لفظ الشيخ وينقسم إلى إملاء وتحديث من غير إملاء سواء أكان من حفظه أو كتابته وهذه القسم أرفع الأقسام عند الجماهير[٤]، وتندرج تحت هذه المرتبة صيغة الأداء (أخبرنا) التي تتردد كثيرا في الكتاب مثل قوله:**(أخبرنا أبو البركات يحيى بن محمد بن الحسين المؤدب، حدثنا ابو الفضل محمد بن عبدالله الشيباني ،حدثنا أبو عبدالله جعفر بن محمد بن جعفر الحسني، حدثنا أيوب بن محمد بن فروخ الوزان بالرقة، حدثنا سعيد بن مسلمة عن جعفر بن محمد، قال، حدثني أبي عن أبيه، عن جده، عن علي)**[٥].

وكذلك قوله: **(أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران المعدل ،أنبأنا أبو علي**

---

(١) معرفة علوم الحديث، النيسابوري ،تحقيق :السيد معظم حسين ، ،دار الكتب العلمية بيروت،ط٢، ١٩٧٧: ٦.

(٢) ينظر: الغائب دراسة في مقامات الحريري ،عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ،المغرب، ط٣، ٢٠٠٧: ٥٣.

(٣) ينظر: السرد العربي القديم: ١٧٢.

(٤) ينظر: الخبر في الأدب العربي: ٢٣١.

(٥) البخلاء: ٣٢-٣٣.

الحسين بن صفوان البراذعي قال :حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثني سلمة بن شبيب ،حدثنا مروان بن محمد، عن أبي لهيعة، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده)[1].

وتدخل ضمن صيغة (أخبرنا) صيغة (أخبرني) التي وردت في الكتاب كقوله: **(أخبرني الحسن ابن أبي بكر ،أخبرني أبي، أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي حدثنا سليمان بن الربيع)**[2].

ومنه أيضا **(أخبرني أبو محمد يحيى بن الحسن بن علي بن المنذر القاضي ، أنبانا أبو القاسم ابن إسماعيل بن سعيد بن سويد المعدل ، أنبأنا محمد بن الحسن بن دريد، أنبأنا عبد الرحمن، يعني ابن أخي الأصمعي، عن عمه)**[3].

والفرق بين صيغتي (أخبرني) و(أخبرنا) أن الاولى قد قرأت على المحدث والثانية ما قرئ في على المحدث و أنا أسمع[4].

ومن صيغ الإسناد السماعي صيغة (حدثنا) ومنها قوله: **(حدثنا أبو طاهر هو محمد بن علي ابن محمد السماك ،أنبأنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي ،حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني)**[5].

وكذلك قوله: **(حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن علي الصابوني من لفظه وحفظه قال :حدثنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي ،حدثنا محمد بن يونس الكديمي)**[6].

وتدخل ضمن هذه الصيغة صيغة حدثني كقوله: **(حدثني أبو منصور عبد المحسن بن علي القزان، قال :أخبرني محمد بن الحسين بن الغفار التنيسي قال :أنشدني أبو الحسن علي بن**

([1]) البخلاء:٢٧.
([2]) نفسه: ٥٦-٥٧.
([3]) نفسه:٥٧-٥٨.
([4]) ينظر: الخبر في الأدب العربي: ٢٤٤.
([5])البخلاء: ٩١.
([6]) نفسه :١٠١.

نصر)[1]**، ومنه قوله أيضا (حدثني عبدالله بن أبي الفتح ،قال أنشدنا أحمد بن إبراهيم، قال أنشدني أبو العباس ختن الصرصري لأبي عثمان الناجم)**[2].

والفرق بين حدثنا وحدثني هو أن الأول قد سمعه الراوي مع جماعة والثاني قد سمعه لوحده[3].

أما فيما يخص الفرق بين (أخبرنا) و (حدثنا)فذكروا "انه لا خلاف بين الفقهاء والمحدثين والأصوليين بجواز إطلاق (حدثنا و أخبرنا...)فيما سمع من قول المحدث ولفظه وقراءته و إملائه على أن البعض اختار (أخبرنا)في السماع والقراءة على (حدثنا) وإنها أعم من (حدثنا) وهذا ما ثبت فيما بعد"[4].

إلا أن الخطيب البغدادي يرى أن أرفع هذه العبارات هي (سمعتُ)وأخفض منها في الرتبة (حدثنا)و(حدثني) ثم يتلوها أخبرنا وهي كثيرة الاستعمال حتى إن جماعة أهل العلم لم يكونوا يخبرون عما سمعوه إلا بهذه العبارات و دونهن هي لفظ (أنبأنا) (نبأنا) وهي قليلة في الاستعمال[5].

ومن الصيغ التي وردت في كتاب البخلاء هي صيغة (قال) كقوله: **(قال عمر بن الحكم: حدثني محمد بن إسماعيل بن صبح الخراساني قال :سمعت عبدالله بن عقبة الباهلي يقول)**[6].

وقوله: **(قال محمد بن جعفر سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد وغيره يقول)**[7].

وتدخل هذه الصيغة ضمن مصطلحات السماع وقد جعلها بعض العلماء الحديث مرادفة لـ(حدثني)[8].

---

(1) البخلاء : ١٢١.
(2) نفسه :١٢٧.
(3) ينظر: الخبر في الأدب العربي: ٢٤٤.
(4) الإلماع إلى معرفة الرواية وتقيد إصول السماع، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث ،القاهرة،ط١، ١٩٧٠، :١٢٢، وينظر الخبر في الأدب العربي :٢٤٥-٢٤٦.
(5) ينظر: الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ: ٢٨٣-٢٨٤-٢٨٦.
(6) البخلاء:١٨٧.
(7) نفسه:١٩٤.
(8) ينظر: الخبر في الادب العربي:٢٤٤.

ومن الصيغ التي وردت ايضا صيغة (أنبأنا)ومنه قوله: **(أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبدالله الجواليقي، أنبانا أحمد بن علي بن عبدالله الخزار ،حدثنا عبدالله بن بحر الجنديسابوري، حدثنا عمر محمد بن عبد الحكم النسائي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن عيسى، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن غزوان)**[1]، ومنه قوله: **(أنبأنا الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي ،أنبأنا علي بن محمد السري الهمذاني، قال :أنشدني جحظة)**[2].

ونجد أن أسانيد الخطيب البغدادي متنوعة من حيث طولها و قصرها في كتاب البخلاء ولعل الغرض من طول سلسلة الرواة هو توثيق هذه السلسة من خلال الإطار الزمني للرواة لتحقيق اكبر قدر ممكن من المصداقية ومن ذلك قوله: **(أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، أنبأنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا منصور بن محمد بن سلمة، حدثنا عصام بن طليق قال : حدثني شعيب بن العلاء قال سمعت أبا هريرة يقول)**[3].

ومنه أيضا قوله: **(أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الخلال ،قال أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر بن احمد الحافظ الدارقطني، قال حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الطلحي، قال أنبأنا ابو فروة يزيد بن محمد قال حدثني أبي، قال حدثني طلحة بن يزيد عن الاوزعي عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك قال)**[4].

إن أهمية السند هنا متعلق اساسا بالوقائع التاريخية بمعنى إن هؤلاء الأشخاص يوجدون على مسافة ما من الأحداث التاريخية في حياة شعب ما أو أمة ما[5]، فكلما زادت المسافة الزمنية بين بين الراوي ومصدر الخبر يزداد عدد الذين ينقلونه .

أما النوع الآخر من الإسناد فهو الإسناد القصير إذ يذكر الخطيب شخصا واحدا قام بسرد الخبر أو اثنين وهذا النوع نجده أقل من النوع الأول و أغلب ما يكون حينما يذكر الأشعار التي أوردها في الكتاب وإما سبب قصر الإسناد فلعل ذلك يكون قرب عهد الحدث من الزمن الذي عاشه

([1]) البخلاء:٩٣.
([2]) نفسه:١١٢.
([3]) نفسه:٢٨.
([4]) نفسه: ١٧٩.
([5]) ينظر: السرد العربي القديم: ١٧٣.

الخطيب أو غير ذلك، ومنه قوله: **(حدثني أبو عبدالله محمد بن فتوح الأندلسي قال: كتب بعض الأدباء إلى بعض أخوانه)**[1]، وكذلك قوله: **(قال أبو الفرج ،وحدثني جحظة)**[2].

وقلما نجد أن الخطيب البغدادي يذكر أخبارا تخلو من الإسناد فهي أن وجدت تكون معدودة كقوله: **(سمعت بعض أصحابنا يذكر إن رجلا عربيا...)**[3] ، وأيضا قوله: **(بلغني أن بغداديا لحاما نزل بالكوفة...)**[4] .

ومن الملاحظات المهمة التي رأيناها في بعض أسانيد الخطيب البغدادي تعدد حلقات الإسناد أي أن للخبر أكثر من طريق كقوله **(أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، أنبأنا اسماعيل بن محمد الصفار ،حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي ،حدثنا يزيد بن هارون ،أنبأنا حميد الطويل عن أنس ان رسول الله (ص)** والحلقة الثانية أو الطريق الثاني هو**(أنبأنا ابو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبدالله بن محمد بن الحسين الخرني ،أنبأنا سليمان بن الحسن النجاد، حدثنا الحارث بن محمد التميمي، حدثنا خلف بن الوليد الجوهري، أنبأنا أبو جعفر الرازي عن حميد الطويل عن أنس إن رسول الله (ص) يقول)**[5]، ونجد من الأخبار ما تذكر عن طريق ثلاث حلقات .

وأيضا هنالك من الأخبار ما تصلنا عن طريق سلسة إسناد تبدأ بطرفين مثل قوله: **(أخبرنا أبو الحسن العتيقي والقاضي أبو تمام علي بن محمد بن الحسن الواسطي، قالا: أنبانا أبو الحسين محمد بن المظفر بن موسى الحافظ، حدثنا محمد بن محمد بن سليمان، حدثنا علي بن المديني، حدثنا جرير بن عبد الحميد الأعمش عن عطية بن سعيد، عن أبي سعيد الخدري)** [6]

فالحديث جاء عن طريق سلسلة إسناد تكونت من طرفين وعلى النحو الآتي:

---

(1) البخلاء: ٩٨.
(2) نفسه: ١٤٩.
(3) نفسه: ١٨٨
(4) نفسه، الصفحة نفسها.
(5) نفسه: ٢٩.
(6) نفسه : ٣١.

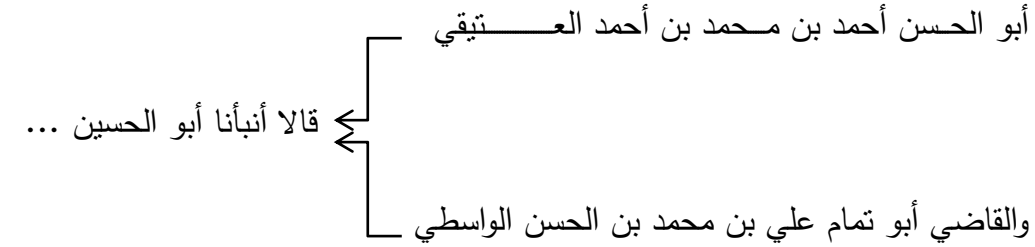

أو عن طريق ثلاثة أطراف مثل **(أخبرنا أبو الحسن بن علي بن أحمد بن عمر المقرئ أنبأنا ابو بكر احمد بن سلمان بن الحسن النجاد حدثنا جعفر الصائغ و إبراهيم بن إسحاق، وأحمد بن محمد بن عيسى، قالوا: حدثنا أبو غسان، حدثنا اسرائيل، وأنبأنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد التميمي و أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قالا: حدثا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو سعيد-يعني مولى بني هاشم-وحسين بن محمد قالا: حدثني اسرائيل، عن أبي أسحاق، عن عمرو بن ميمون عن عمر)**.[1]

فسلسلة الإسناد تكونت من ثلاث أطراف و على النحو الآتي:

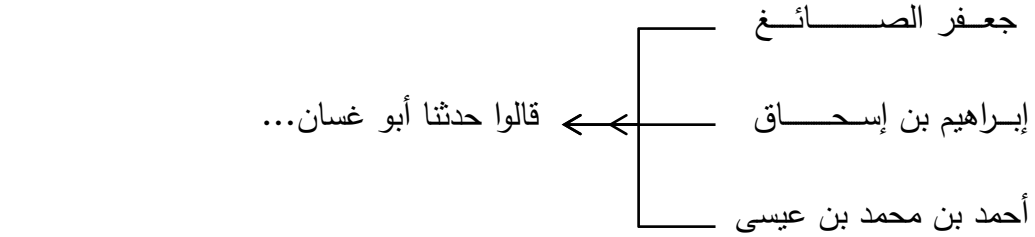

ولعل الخطيب كان يقصد بذكر هذه السلاسل توثيق المتن .

ونجد أن المؤلف قد يذكر احيانا مكان الرواية أو زمانها و أحوال الرواة كقوله: **(أخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن عبدالله بن حيويه الكاتب بأصبهان ،حدثنا أبو جعفر أحمد بن جعفر بن احمد بن معبد المسمار ،حدثنا عبيد الله بن الحسن ،حدثنا مسلم بن إبراهيم ،حدثنا الأسود بن شيبان ،حدثنا يزيد بن عبد الله الشخير عن مطرق عن أبي ذر)**[2].

([1]) البخلاء: ٢٨-٢٩.
([2]) نفسه: ٤٤.

حيث نجد أن الخطيب البغدادي قد ذكر مكان تواجد أبو سعيد (في أصبهان)و أيضا لعل لفظة (الكاتب) تدل على عمله.

ومنه قوله: **(حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن محمد الزنجاني بهمذان، حدثنا الحسين بن محمد بن جعفر الجرجاني ،حدثنا سلم بن الفضل بمصر ،حدثنا محمد بن موسى القرشي ، قال سمعت الأصمعي)**[1].

أيضا نجده هنا قد عرض لنا المكان المتواجد فيها أبو بكر محمد بن إبراهيم(همذان).

ومما ذكره فيما يخص زمان الحدث و أحوال الرواة قوله: **(أخبرنا ابو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد الواعظ مولى بني هاشم ،حدثنا أبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأزرق سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ،حدثنا أبو عتبة يعني أحمد بن فرج الحمصي، حدثنا ضمرة ،وحدثنا أبو القاسم سعيد بن محمد بن الحسن المروذي قال: أخبرنا أحمد بن علي بن الحسن الكسائي بـ (زبيد اليمن)،حدثنا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ،حدثنا عمار بن وثيمة ،حدثنا أبو سعيد يعني يحيى بن سليمان الجعفي قال حدثنا أبو عمير قال حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي عبلة)**[2].

ففي هذا الخبر بين لنا الخطيب أحوال بعض رواته مثل ((أبو الحسين احمد بن محمد بن احمد ابن حماد الواعظ مولى بني هاشم)) و عرفنا ببعضهم الاخر((حدثنا ابو عتبة يعني احمد بن فرج الحمصي)) وذكر زمان الرواية ((سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة)) ومكان أحد الرواة ((زبيد اليمن))، ليزيد شعور المتلقي بالاطمئنان لأخباره.

ومن مراتب الأداء الأخرى التي وردت في كتاب البخلاء هي :

القراءة : وهي نوع يصعب تحديده وتوضيحه لكثرة صوره، فمن هذا النوع هو قيام الراوي بالقراءة على شيخه و الشيخ حافظ لما يقرأ ، أو إن الشيخ لا يحفظ بل يوجد بين يديه اصل صحيح ينظر فيه ما يقرؤه الراوي، او أن يقرأ الراوي من حفظه على شيخه والشيخ لا يحفظ ولا ممسك أصلا ولكن يوجد في الحاضرين أحد الثقاة يمسك الأصل ويتابع الراوي ، وأخيرا هو قراءة الراوي

([1]) البخلاء: ٩٩.
([2]) نفسه: ٧٠.

على الشيخ من حفظه و شيخه لا يحفظ ولكن يوجد ثقة حافظ لما يقرأ الراوي و الشيخ يسمع ،هذا ما يخص قراءة الراوي من حفظه ويوجد نوع آخر من القراءة هو أشبه بهذا النوع و لكن الراوي لا يحفظ بل يُقرأ على الشيخ من كتاب[١].

و لا نعلم بوضوح أي صورة كان يقرأ الخطيب البغدادي بها على شيوخه فهو لم يصرح أكان يقرأ من حفظه أم ممسكا بيده مصدرا ولكن ما يهمنا هو وجود هذا النوع من مراتب التحمل، أما صيغ أداء هذه المرتبة فهي "قرأت على فلان أو قرئ على فلان وانا أسمع"[٢].

ومن الأمثلة على هذه الصيغة في كتاب البخلاء **(قرأت على الحسن علي الجوهري عن أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني المظفر بن يحيى قال أخبرني ابن مناذر)**[٣].

فهنا نجد أن الراوي (الخطيب) هو من يقوم بعملية القراءة على شيخه الجوهري و الجوهري يسمع منه ، وهذه الصيغة تحيلنا إلى مرجعية ترتبط بمصادر تحصيل الكلام، إي ما عاد إليه السارد في سرد مادته فيشير إليها بألفاظ مثل (قرأت أو قرأ على ...) تمكن المسرود له من تعيين أصول الكلام ومصادره[٤].

ومثله أيضا قوله: **(قرأت على الجوهري ،عن أبي عبد الله المرزباني قال : أخبرني يوسف بن يحيى بن علي المنجم ،عن أبيه قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال)**[٥] ، ومنه أيضا قوله: **(قرأت على الجوهري ،عن المرزباني قال: حدثني أحمد بن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء محمد بن القاسم اليماني قال)**[٦].

إن أغلب الأخبار الواردة بهذه الصيغة كانت تقرأ من قبل الخطيب البغدادي على شيخه الجوهري إلا خبرين منها**(قرأت على القاضي أبي العلاء الواسطي عن أبي الفتح محمد بن الحسين الموصلي قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أحمد بن الخليل حدثنا حجاج بن محمد عن ابن**

---

(١) ينظر: الإرواء في طرق التحمل وصيغ الأداء، أحمد محمد سحلول، الدار الاسلامية للطباعة و النشر، المنصورة، ط٣: ٢٩.
(٢) الخبر في الأدب العربي: ٢٤٦.
(٣) البخلاء :٧٤.
(٤) ينظر :السرد العربي القديم مفاهيم وتجليات ، سعيد يقطين ، دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ،لبنان ، ط١، ٢٠١٢: ١٤٦.
(٥) البخلاء :٨٠.
(٦) نفسه: ٨٢.

جريج عن عبدالله ابن طاووس)[1] ، ومنها أيضا **(قرأت على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن أحمد الواسطي عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول سمعت أبا واثلة مضر بن محمد الأديب المرزوي يقول سمعت محمد بن أبي ثميلة)**[2].

فهنا يقوم الخطيب البغدادي بالقراءة على شيخه أبي العلاء بن محمد بن علي الواسطي وكما ذكرنا فلا نعلم إن كان الخطيب البغدادي يقرأ عليهم من حفظه أو من مصدر وإن شيخيه الجوهري و الواسطي كانا حافظين لما يسمعون أم بيدهم نسخ مدون فيها ما يقرأه الخطيب عليهم.

ومن مراتب التحمل الأخرى التي اعتمدها الخطيب في سرد أخباره هي :

الإجازة: وتعني في الاصطلاح" أن يقدم العالم للطالب كتابا دون سماع و لا قراءة ويجيز له روايته عنه"[3].

و الإجازة تكون أما مشافهة أو يكتب له سواء أكان الراوي حاضرا أم غائبا، ولا تتحقق الإجازة إلا بتحقق أركانها الأربعة وهي "المجيز و مجاز له و مجاز به و الصيغة الدالة على الأذن"[4].

ومن الأمثلة التي نجدها على الإجازة في كتاب البخلاء **(أخبرنا أبو عبد الله الخالع إجازة، وأنبانا محمد بن علي البيع عنه قراءة قال :أنبأنا أحمد بن الفضل المعروف بسندانة، عن عبدالله بن المعتز)**[5].

حيث إن المجيز هنا هو الحسين بن جعفر الراقي المعروف بالخالع و المجاز له هو الخطيب البغدادي و المجاز به هو هذا النص الذي أورده الخطيب و الصياغة هي قول الخطيب (أخبرنا الخالع إجازة) أما فائدة الإجازة فهي تبيان مدى ثقة أهل العلم بالخطيب البغدادي .

([1]) البخلاء: ٥٥.
([2]) نفسه: ١٦٠.
([3]) الخبر في الادب العربي: ٢٣٢.
([4])منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الآثر، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط١ ،٢٠٠٣: ١٥٤ .
([5]) البخلاء: ١٤٠.

وأيضا قوله: **(أخبرنا أبو عبد الله الخالع إجازة، وحدثنا محمد بن علي البيع عنه قراءة ،أنبأنا أحمد بن الفضل المعروف بسندانة، عن عبدالله بن المعتز قال)**[1]، ومنها أيضا **(أخبرنا الخالع إجازة، حدثنا محمد بن علي البيع عنه قال :أنبأنا أحمد بن الفضل عن ابن المعتز، قال: قال عباس الخياط)**[2].

إن كل هذه الأخبار أخذها الخطيب البغدادي من أبي عبد الله الخالع إجازة فالخالع أجاز له أن يرويها أما محمد بن علي البيع فقد أنبأ الخطيب بها وقد أخذها البيع قراءة من الخالع فكأنما أراد الخطيب أن يقوي روايته فيقول إنه أخذ هذه الأخبار إجازة من الخالع وكذلك نقلتها عن محمد بن علي البيع الذي سمع الرواية قراءة عن نفس شيخي هذا ما نفهمه من القرائن .

و من مراتب التحمل أيضا الواردة في الكتاب

المكاتبة: ويقصد بها أن يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئا من حديثه بخطه أو يكتب له ذلك وهو حاضر ويلحق بذلك ما إذا أمر غيره بان يكتب له ذلك عنه إليه، وهي أيضا على نوعين مكاتبة مصحوبة بالإجازة أي إنه يجيز لطالبه أن يروي الحديث فيما بعد ومكاتبة غير مصحوبة بالإجازة[3]، وصيغة أدائها اخبرني فلان في كتابه.

وقد وردت المكاتبة في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي على النحو الآتي:**(أخبرني ابو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله التميمي المعروف بابن الجواليقي في كتابه إلي من الكوفة ،أنبانا أبو جعفر أحمد بن علي بن عبدالله الخزار ، اخبرنا ابو بكر عبد الله بن بحر بن طيفور الجنديسابوري، حدثنا عمر بن محمد بن عبد الحكم النسائي، قال حدثني إبراهيم بن عبد الله مولى بني هاشم، عن عبيد الله بن محمود التميمي)**[4].

ومنه قوله أيضا **(أخبرني محمد بن أحمد الجواليقي في كتابه إلي ،قال :أنبأنا أحمد ابن علي الخزار ، حدثنا عبد الله بن بحر، حدثنا عمر بن محمد بن عبد الحكم النسائي، حدثنا عبدالله**

([1]) البخلاء: ١٦١.
([2]) نفسه: ١٦٩.
([3]) ينظر: الخبر في الادب العربي: ٢٣٤-٢٣٣٥.
([4]) البخلاء: ٧١.

ابن أحمد بن عيسى القارئ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن غزوان)[1]، وتعد هذه المكاتبة بمثابة شهادة لإجازة الجواليقي للخطيب على رواية الأخبار، و مدى درجة ثقة أهل العلم بالخطيب وما يمتلكه من أمانة علمية .

أما ما يخص الإسناد في الشعر فهو محدود بصيغتي (أنشدنا، أنشدني) وهما صيغتان خاصتان بالشعر فقط اذ يقول زين الدين عبدالرحيم الحافظ العراقي في الفيته:

بما مضى في أول مقيدا قـــراءة عليه حـــــتى منشدا

أنشدنا قراءة علـــيه لا سمعت ولكن بعضهم قد حللا [2].

ومعنى ذلك يجب على الراوي إذا سمع الشعر من قائله أن يبتدأ بصيغة أنشدنا من غير تقييد وأيضا مما يعزز لنا دخول صيغة أنشدنا من ضمن صيغ الإسناد قول أبي عمرو عثمان الشهرزوري (ابن صلاح) إذ يرى أن صيغة أنشدنا أحدى طرق الأداء الخاصة بالشعر[3].

وهذا الصيغة هي صيغة نوعية من صيغ الأداء إذ من خلال اتصالها بالكلام تحدد لنا طبيعته الجنسية أو النوعية أو النمطية[4]، إذ تقوم بتزويد القارئ بتفاصيل ما سيذكره المتن القادم حيث إن الإنشاد خاص بالشعر فوجودها يحوي بأن النص القادم هو نص شعري .

ولا يخلو كتاب البخلاء من هاتين الصيغتين إذ يذكرهما الخطيب في إسناده ، ومن الأمثلة على صيغة أنشدنا قوله: **(أنشدنا أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله الصوري، قال: أنشدني أبو محمد عبدالله بن المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصوري لنفسه)**[5].

وأيضا قوله: **(أنشدنا الحسن بن الحسين بن العباس النعّالي، قال: أنشدنا الفرج الأصبهاني، قال: أنشدني جحظة لنفسه يهجو بعض البخلاء)**[6].

---

(1) البخلاء: ٧٩.
(2)ينظر: شرح الفية العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، أعتنى بها محمد بن الحسين العراقي الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٣٢/٢.
(3) ينظر: علوم الحديث، لابن صلاح الإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: نور الدين محمد عتر الحسني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ،١٩٨٦ :١٣٨.
(4) ينظر السرد العربي القديم مفاهيم وتجليات: ١٤٨.
(5) البخلاء: ٧٣.
(6) نفسه: ١٧٣.

أما ما يخص صيغة (أنشدني) فقد وردت على النحو الآتي: **(أنشدني أبو السري محمد بن عبدالله الموصلي قال : أنشدني العكلي، لبعضهم)**[1].

وأيضا قوله: **(أنشدني أبو النجيب عبدالغفار بن عبد الواحد الأرموي قال: أنشدني أبو تمام محمد بن عبد العزيز بن أحمد الهاشمي بتبريز لنفسه)**[2].

نلاحظ أن الخطيب قد حدد منهجه مسبقا فقد جعل كتابه يشتمل على جنسين من أجناس الأدب هما الشعر و النثر، وقد تنوعت مراتب تحمل الأداء لديه وتوزعت أسانيده حسب المراتب و حسب جنس الكلام وقد ساعدت على تحديد الكلام من حيث طبيعته و أصوله و مرجعيته ، حيث أن صيغ الكلام المرجعية تتيح لنا إمكانية التمييز بين الكلام الذي قد وصل إلى السارد عن طريق الرواية أو السماع أو القراءة ،وإن صيغ الأداء النوعية قد أعطت للمتلقي خلفية عن جنس الكلام الذي يحمله المتن فإن صيغ الأداء هي التي نظمت ما يريد أن يوصله المؤلف أو الناقل[3]، حيث اختزلت هذه الصيغ أجناس الأدبية التي نميز من خلالها الكلام العربي[4]، وقد عمل الإسناد على تنزيه المؤلف من الوضع أو اصطناع الاخبار بنفسه، إذ اكتسبت هذه الأخبار مصداقيتها بمعرفة كيفية وصولها للخطيب و هي دليل على أمانته، و أدى الإسناد وظيفة أخرى هو توثيق المتن المنقول حيث قدم الخطيب البغدادي لنا عدة سلاسل وحلقات إسنادية للمتن الواحد لاسيما التي تحمل أحاديث نبوية وتعدد سلاسل الإسناد لدى الخطيب تدل على سعة اطلاعه و حرصه على البحث و تقصي أخباره من عدة مصادر، ويعد الخطيب البغدادي أهم هؤلاء الساردين لأنه أقرب شخص للمتلقي، وهو الذي نقل الكلام إليه مباشرة دون وساطة، وهو آخرهم زمنيا فله القدرة على التصرف بالنص، فهو الذي وثق اسماء الذين سبقوه وعرف المسرود له بهم إذ لو لا أمانته لحذف وقصر هذه السلاسل و أشار لها بعبارات أقصر، ولكن حرصه على توثيق المتن و جعله يذكر كل هؤلاء، إن الإسناد كان بمثابة إعطاء خبر للمسرود له بتجهيز ذهنه لما سيتلقى من أخبار وعن طريقها أحال المتلقي إلى الأحداث ،ومما لوحظ على الإسناد أن صياغتها كانت في زمن الماضي وهذا يدل على أن الأخبار كانت

---

(1) البخلاء: ٧٢.
(2) نفسه: ١١١.
(3)ينظر: السرد العربي القديم المفاهيم و التجليات: ١٤٨.
(4).ينظر: الكلام و الخبر مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧: ١٩٣.

ماضية لا دخل للخطيب البغدادي في صناعتها، إن كلها تقدمت براوٍ القى بزمام الأمور على الرواة بعده وهم ألقوها على الخطيب البغدادي ليصيغ هذه الكلام بقوالب لغوية ويضع إشارات وعبارات تدل عليهم وعلى ما سيحمله النص.

وبناء على ذلك يمكننا القول إن الإسناد في كتاب البخلاء وظف لتحقيق المصداقية والأمانة العلمية في نقل الأخبار والأشعار وهو أيضا يخلي مسؤولية السارد عما يحمله النص.

المبحث الثاني

الاستهلال

جاءت لفظة الاستهلال من الفعل (هلل) وقد استقصى الباحث معانيها في معاجم اللغة فكان لها عدة معان منها "هل السحاب المطر...، واستهلت السماء في أول المطر...، واستهل الصبي بالبكاء رفع صوته عند الولادة.."[١].

أما في الاصطلاح فعرفها أرسطو بـ"أذن بدأ الكلام و يناظره في الشعر المطلع وفي فن العزف على الناي الافتتاحية فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو"[٢].

وعرفه ابن الأثير في كتابه المثل السائر تحت عنوان حسن الابتداء فقال "إنها أول ما يطرق السمع من الكلام فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي إلى استماعه"[٣].

وعرفها مجدي وهبة في معجم المصطلحات بأنه "الجزء الأول من الكلام ..الذي يقدم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يشير بها إشارة لطيفة إلى وضوح الكلام وكيفية التدرج فيه ويقصد بذلك جذب انتباه لدى جمهور السامعين"[٤].

و الاستهلال بمثابة العتبة التي تقذف بالمتلقي أو المسرود له إلى رحابة النص، ولا نستطيع أن نجزم بأن الاستهلال هو السطر الأول أو السطر الثاني من النص السردي أو الخبري فلا يوجد ما يحدد حجم الاستهلال فقد تكون البداية قصيرة كالمتعارف عليه في نص القصة القصيرة فطبيعتها لا تتحمل العتبات الطويلة، وممكن أن تمتد لتشمل فصلا كاملا في رواية ما، فالاستهلال غير محدد بحجم ما، كما لا يمكننا عزله عن السرد الذي يتجسد من خلاله[٥].

([١]) لسان العرب ،(مادة هلل).
([٢]) فن الخطابة ،ارسطو طاليس ،تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم ،بيروت ،لبنان،١٩٧٩: ٢٣١ .
([٣]) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ،تقديم أحمد الحوفي ،بدوي طبانه ، دار نهضة مصر،القاهرة: ٩٨.
([٤]) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة ،كامل المهندس ،مكتبة لبنان ،بيروت، ط٢، ١٩٨٤: ٣٢.
([٥]) ينظر :البداية في النص الروائي ، صدوق نور الدين ،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سوريا ، ط١، ١٩٩٤: ١٧.

إن العتبات أو المقدمات الاستهلالية تمثل تعبيرا عن موقف ما، وتضطلع بدور أساس في ولوج المتلقي إلى عالم القراءة فتجعله يتوغل تدريجيا في النص ،وهي من تحدد ملامح هوية النص وتقدم عنه إشارات أولية، كذلك توفر له المعلومات الأدنى عما يدور حوله المتن إذ ينثر السارد هذه المعطيات الأولية للمتلقي يبني له من خلاله كونا تخيليا [1].

وقد عرف الاستهلال بأكثر من اسم و لفظ منها المطلع و المقدمة و الابتداء و الاستهلال إلا إن كلها تحيل إلى معنى واحد وهو البدء.

وقد جاءت الأخبار على نوعين في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي وهما:

١.أخبار تحتوي على استهلال :

أما في هذا النوع من الأخبار عمدنا إلى بيان أنماط الاستهلال التي جاءت في الأخبار الواردة فكان ضمن هذه الأنماط:

الاستهلال الوصفي: وهذا النوع من الاستهلال يعمل على وصف شخصيات الخبر أو أماكن حدوث الخبر أو الأجواء التي تتعلق بها "فالبدايات الواصفة تقدم إضاءة لأجواء النص"[2] وهذه الإضاءة تعمل على تشكيل أحداث و تفاصيل أخرى تتعلق بها فهي تقدم وصفا مبسطا عن موضوعٍ، تولد الإدراك عند المتلقي لما يحمله طابع النص الخبري .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الاستهلال في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر **(أخبرني أبو القاسم الأزهري، حَدَّثَنَا عبيد اللَّه بْن مُحَمَّد البزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يحيى الصولي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إسماعيل الكاتب، قَالَ: " كان جعفر بْن عبد الواحد الهاشمي بخيلا، وكان بسر من رأى يستهدي رطبا، وكان له صديق يوجه كل يوم بسلة رطب مع غلام له، فقال له: إن الغلام يشعث السلة فاختمها. ففعل، فوجدها قد تشعثت، فقال له: إن أردت أن تبرني بها**

([1]) ينظر :عتبات الكتابة في الرواية العربية ،عبد الملك أشبهون ،دار الحوار للنشر و التوزيع ،اللاذقية ،سوريا، ط١ ، ٢٠٠٩: ٤٣-٤٤.

([2]) البداية في النص الروائي: ٦١.

فاختمها بعد أن تودعها زنبورين يكونان فيها. فكانت تجيء بهيئتها، فإذا فتحها طار الزنبوران وعلم أن اليد لم تدخل فيها)[1].

حيث أعطى الاستهلال الوصفي بداية واصفة لشخصية جعفر بن عبد الواحد الهاشمي فقد حددها السارد بصفات معينة كالبخل و استهدائه للرطب ومن ثم انطلق السارد من هذه النقطة يسرد أحداث خبره التي دارت حول هذه الشخصية فالاستهلال الوصفي هنا قد أضاء للمتلقي جانبا من جوانب شخصية جعفر بن عبد الواحد الهاشمي التي تدور حوله أحداث الخبر.

ومنه هذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن أبي عبد اللَّه المرزباني، قَالَ: أخبرني يوسف بْن يحيى بْن علي المنجم، عن أبيه، قَالَ: حدثني ابن مهرويه، قَالَ: حدثني علي بْن مُحَمَّد النوفلي، قَالَ: قَالَ سمعت أبي، يقول: " كان مروان بْن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه، فإذا قرم أرسل غلامه، فاشترى له رأسا فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ فقال: نعم، الرأس أعرف سعره، فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك، وآكل منه ألوانا، آكل عينه لونا، وأذنيه لونا، وغلصمته لونا، ودماغه لونا، وأكفى مئونة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق)**[2].

حيث كشف الاستهلال الوصفي لنا عن بعض صفات الشخصية من خلال تصدير الخبر بوصف شخصية مروان ابن أبي حفصة بالبخل فقد أعطى الاستهلال انطباعا لدى المتلقي بأن الخبر سوف يدور حول هذه الشخصية البخيلة ولماذا لا يأكل اللحم ومن خلال الحوار الذي دار بين مروان ابن أبي حفصة وبقية شخصيات الخبر توضح للمتلقي ذلك " فالبداية الوصفية تسعى إلى إعطاء المتلقي صورة واضحة عن إحدى شخصيات الخبر "[3]، وهذا ما حدث في هذا الخبر فقد أعطى السارد صورة عن مروان ابن أبي حفصة في مقدمة الخبر كي يخلق آفقا لدى المتلقي يمكنه من تصوير بعض الأحداث التي ستجرى داخل الخبر و تجعله مدركا إن كل هذه الأحداث ستنطلق وترتبط بهذا الاستهلال الوصفي.

([1]) البخلاء: ٧٤.
([2]) نفسه: ٨٠-٨١.
([3]) بنية الخبر في كتاب الفصوص للصاعد البغدادي ، صفاء عبد الكاظم حسين ،رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار، ٢٠١٤: ٣٣.

ومثله هذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن المرزباني، قَالَ: حدثني أَحْمَد بْن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء مُحَمَّد بْن القاسم اليمامي، قَالَ: " كان مروان بْن أبي حفصة من أبخل الناس، خرج يريد الخليفة المهدي، فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قَالَ: إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما. فأعطي ستين ألفا، فدفع إليها أربعة دوانيق! وكان قد اشترى يوما لحما بدرهم، فدعاه صديق له، فرد اللحم على القصاب بنقصان دانق، وقال: أكره الإسراف. وهجاه بعض الشعراء، فقال {من الطويل}:**

وليس لمروان على العرس غيرة ولكن مروانا يغار على القدر)[1].

نجد أن السارد قد أعطى وصفا لمروان ابن أبي حفصة في بداية المتن الخبري وهذا الوصف الذي يدور حول هذه الشخصية كانت نواة لولادة أحداث هذا الخبر حيث نجده حينما خرج يريد المهدي وعد المرأة بإعطائها درهما حين حصوله على مائة الف فلم يحصل على ذلك بل حصل على ستين الفا فأعطاها اربع دوانق أي أنقص منها لأنه لم يحصل على مراده، وأيضا نجده يرد اللحم على القصاب بنقصان دانق وهذه الأحداث كلها لها صلة بالصيغة الاستهلالية الوصفية وهي بخل مروان بن أبي حفصة ليختتم الخبر فيما أورده من هجاء بعض الشعراء له ليبرهن على صدق ما عرضه في المقدمة وهو وصفه لمروان بالبخل.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرني أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا أبو بكر بْن الأنباري، حَدَّثَنَا أبي القاسم بْن مُحَمَّد الأنباري، حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّد عبد اللَّه بْن قحطبة الصلحي، أخبرنا أبو حاتم الرازي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أبي الفضل، حَدَّثَنَا سعيد الوراق، قَالَ: " كان للأعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل، يقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحا. فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم، فوافق جوع الأعمش، فقال: مر بنا. فدخل عليه، فقرب إليه كسرة وملحا، إذ سأل سائل، فقال له رب المنزل: بورك فيك! فأعاد إليه المسألة، فقال له: بورك فيك! . فلما سأل الثالثة، قَالَ له: اذهب، وإلا خرجت**

([1]) البخلاء ، ص٨٢/البيت لمالك بن أحمد بن سوار الطائي، ينظر: معجم الشعراء، أبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق، فاروق أسلم، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥: ٣١٦.

إليك بالعصا. قَالَ: فناداه الأعمش، فقال: أذهب ويحك، فلا واللَّه، ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه، هو منذ سنة يعدني على كسرة وملح، فلا واللَّه، ما زادني عليهما)[1].

سعى الاستهلال الوصفي إلى إعطاء المتلقي تصويرا عن شخصية من شخصيات الخبر حيث قدمه على أنه جار للأعمش ومن ثم انتقل السارد إلى نقل الأحداث التي دارت حولها فالاستهلال الوصفي قد رسم لنا صورة عن جار الأعمش البخيل الذي يعد الأعمش دائما بكسرة وملح ومن ثم بنيت أحداث الخبر على هذا الاستهلال الوصفي بموافقة جوع الأعمش و اكتشافه صدق قول جاره و مرور السائل اختتاما بإخبار الأعمش للسائل عما حدث له فنجد أن الأحداث قد رتبت ترتيبا تبتدأ بالاستهلال وتنتهي بالخاتمة وفق تسلسل خطي.

الاستهلال الحواري: إن هذا النوع من الاستهلال يقوم على عرض السارد للحوار الذي في بداية الخبر و الذي يدور بين شخصيات النص الأدبي و نقلها لنا حيث يعرض السارد الشخصيات وهي تتحاور فيما بينها ومن خلال هذا الحوار يتمكن المتلقي من معرفة الأحداث و الاطلاع على مجرياتها و معرفة زمانها ومكانها والاستهلال الحواري هو الذي يحرك أحداث الخبر وتسمى هذه البداية بالحوارية و المشهدية والقولية وهي ترتبط بكل بشكل خاص بالشخصيات المتحاورة وعلى عكس البدايات الأخرى التي تكون مرتبطة بالسارد أو الراوي أو مبدع النص[2].

ومن الأمثلة على الاستهلال الحواري في كتاب البخلاء هذا الخبر **(أخبرنا أبو يعلى أَحْمَد بْن عبد الواحد الوكيل، حَدَّثَنَا إسماعيل بْن سعيد بْن سويد المعدل، حَدَّثَنَا أبو علي الحسين بْن القاسم الكوكبي، قَالَ: قَالَ لي أبو العباس المبرد: قيل لأبي الحارث جمين: لو لقيت فلانا لحباك ونالك ببر، واستظرفك .قَالَ: قد أتيته فوجدته ألفا. قَالَ: وما ألف؟ قَالَ: ألف نصف لا وهو ثلث لاش. قال: وقيل له مرة: بلغنا أنك صرت إلى نصر بْن رستم، فكيف وجدته؟ قَالَ: مشجب. قيل: وما معنى مشجب؟ قَالَ: من أين أتيته رأيت لا ")**[3].

نجد أن السارد في هذا الخبر ينقل لنا الحوار بصورة مباشرة دون التدخل في مجريات الأحداث إذ تبدأ العتبة الاستهلالية لديه بصيغة حوارية وهي (قيل لابي الحارث...)، و يكشف الحوار بدوره

([1]) البخلاء: ٩١.
([2]) ينظر :دراسات في القصة القصيرة جدا، جميل حمداوي، دار الألوكة للنشر، ط١، ٢٠١٣: ١٦٢.
([3]) البخلاء : ٦٩.

عن الأحداث حيث تكون لصيغة السؤال و الجواب دورا في رسم المشاهد الحدثية كما جرى هنا حيث أجاب الحارث جمين (قد آتيته...)، فكشف الحوار لنا عن حدث اللقاء بين شخصية (فلان) المجهولة وشخصية أبي الحارث جمين حيث نجد أن المقدمة الاستهلالية أدت دورا في بناء هذا حدث هذا الخبر حتى انتهائه من دون أن يقحم السارد نفسه في الأحداث.

ومنه هذا الخبر (**أخبرنا أبو يعلى أَحْمَد بْن عبد الواحد الوكيل، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد المعدل، حَدَّثَنَا أبو علي الحسين بْن القاسم الكوكبي، حَدَّثَنَا المبرد، قَالَ: " قيل لأبي الحارث جمين: تغديت عند فلان؟ قَالَ: لا، ولكنني مررت ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمت ذلك قَالَ: رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء**)[1].

ارتكز هذا الخبر على صيغة السؤال الذي سُئل لأبي الحارث جمين (تغديتَ عند فلان؟...) ليكون منطلقا لتأسيس الخبر حيث إن العتبة الحوارية كانت كسابقتها مشيدة على طريقة السؤال والجواب فهي بمثابة حجر الأساس التي بلورت فوقها الأحداث ويكون تركيز هكذا نوع من الأخبار على الشخصيات فقط بوصفها المحرك الأساس لصناعة الحوار وعرض الأحداث من خلاله و تطريز المشاهد حيث يتحول هذا الحوار الكتابي أو السردي إلى تصويري تمثيلي في ذهن المتلقي إن هذا النوع من الأخبار لا يحتاج السارد فيها غالبا لاستغراق وقت في وصف و الأماكن أو تقديم الشخصيات لتكوين الحدث مما يؤدي ذلك إلى الإطالة بل على العكس نجد أنفسنا ندخل إلى الحدث بصورة مباشرة ومختزلة من خلال الاستهلال الحواري.

وعلى نحوه هذا الخبر (**أخبرني أبو عبد اللَّه الحسين بْن مُحَمَّد بْن عثمان النصيبي، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد بْن إسماعيل بْن مُحَمَّد بْن سويد المعدل، أنبأنا أبو بكر بْن دريد، حَدَّثَنَا أبو حاتم، حَدَّثَنَا الأصمعي، قَالَ: " قالت امرأة مدنية لزوجها: اشتر لي رطبا. قَالَ لها وكيف يباع الرطب؟ قالت: كيلجة بدرهم .فقال: واللَّه لو خرج الدجال وأنت تمخضين بعيسى ما ينتظر إلا أن تلديه فيقتل الدجال، ثم لم تلديه حتى تأكلي رطبا ما اشتريته لك، كيلجة بدرهم!؟**)[2].

فالخبر هنا قد ابتدأ باستهلال حواري وهي طلب المرأة من زوجها شراء التمر لها و قولها (اشتر لي رطبا) ومنه انطلقت بقية الأحداث الأخرى، و أيضا عن طريق الحوار الذي استمر لنهاية

([1]) البخلاء: ٩٧.
([2]) نفسه:١١٣.

الخبر حيث بنيت الأحداث كلها على طريقة السؤال و الجواب، وكان للعتبة الاستهلالية دور في تشييد كل هذا ومن خلال العتبة وما جرى بعدها من حوار كشف لنا السارد درجة بخل الزوج و أيضا كان الاستهلال الحواري وظيفة أخرى وهي التلميح للمتلقي عما ستؤول إليه أحداث الخبر فقد لمح بذلك منذ البداية ان سؤال الزوج عن سعر الرطب ومعرفته بسعره سوف يرفض طلب الزوجة.

و أيضا يمكننا أن نورد هذا الخبر مثالا آخر **(أخبرنا أبو سهل محمود بْن عمر بْن جعفر العكبري، قَالَ: أنبأنا أبو الحسن علي بْن الفرج بْن أبي روح، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن أبي الدنيا، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّد المقري، قَالَ: قيل لبعض الحكماء: اكتسب فلان مالا. قَالَ: فهل اكتسب أياما يأكله فيها؟ قيل: ومن يقدر على ذلك؟ قَالَ: فما أراه اكتسب شيئا)**[1].

إذ يرتكز هذا الخبر على الاستهلال الحواري انطلاقا من أخبار بعض الحكماء و الشخصيات التي اكتسبت مالا و سؤال الحكيم إذا ما كان قد اكتسب عمرا يستطيع أن يصرف المال فيه ونجد أن بنية الاستهلال في هكذا نوع من الأخبار قصيرة وسبب ذلك لعله تعاملها مع شخصية واحدة مركزية وحدث واحد أما بقية الأحداث و الشخصيات فهي متعلقة بالمركز وهذا واضح في الخبر فالاستهلال الحواري بدأ بإخبار الشخصية المركزية (الحكيم) عن شخصية أخرى قد اكتسبتْ مالا ومن ثم بدأ التحاور بين الحكيم وبين الشخصية المخبرة .

الاستهلال التشخيصي: وهو الذي يدور حول شخصية رئيسة أو محورية تلتف حولها الأحداث إذ يعطي السارد معلومات وخلفيات بسيطة عنها للمتلقي[2]، ويبنى هذا النوع من الاستهلال على تقديم الشخصية في الخبر ويسمى أيضا بـ"البداية الشخوصية"[3].

ومن الأمثلة عليه في كتاب البخلاء هذا الخبر**(أخبرنا أبو الحسن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن رزقويه، أنبأنا أبو الحسن المظفر بْن يحيى الشرابي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عبد اللَّه المرندي، عن أبي إسحاق طلحة بْن عبيد اللَّه الطلحي، قَالَ: أخبرني أبو مُحَمَّد عمر بْن عيسى التميمي، قَالَ: " كان زياد بْن عبيد اللَّه الحارثي خال أبي العباس أمير المؤمنين، واليا لأبي العباس على مكة،**

([1]) البخلاء: ١٩٣.
([2]) ينظر: دراسات في القصة القصيرة جدا : ١٥٧.
([3]) نفسه : ١٥٦.

فحضر أشعب مائدته في أناس من أهل مكة، وكان لزياد بْن عبيد اللَّه صحفة يخص بها، فيها مضيرة من لحم جدي فأتي بها، فأمر الغلام أن يضعها بين يدي أشعب، وهو لا يعلم أنها المضيرة، فأكلها أشعب حتى أتى على ما فيها، واستبطأ زياد بْن عبيد اللَّه المضيرة، فقال: يا غلام! الصحفة التي كنت تأتيني بها، قَالَ: قد أتيتك بها أصلحك اللَّه! فأمرتني أن أضعها بين يدي أبي العلاء. قَالَ: هنأ اللَّه أبا العلاء وبارك له! فلما رفعت المائدة، قَالَ: يا أبا العلاء! وذاك في استقبال شهر رمضان، قد حضر هذا الشهر المبارك، وقد رققت لأهل السجن لما هم فيه من الضيق ثم لانهجام الصوم عليهم، وقد رأيت أن أصيرك إليهم، فتلهيهم بالنهار، وتصلي بهم بالليل. وكان أشعب حافظا، فقال: أو غير ذلك، أصلح اللَّه الأمير! ؟ قَالَ: وما هو؟ قَالَ: أعطي اللَّه عهدا ألا آكل مضيرة جدي أبدا)[1].

فقد قدم السارد هنا مقدمة بسيطة عن شخصية زياد بن عبيد الله الحارثي (وهو خال أبي العباس أمير المؤمنين) والمقصود به السفاح العباسي فقد عرف بهذه الشخصية ومن تكون بالإضافة إلى مكانتها الاجتماعية (واليا على مكة) وما تؤديه من دور بارز في الخبر وتفاعلها مع شخصية أشعب، إن تعريف السارد بشخصية زياد بن عبيد الله قد تعطي مؤشرات لدى المتلقي بأن مجريات الأحداث ستدور حول هذه الشخصية، وإن شخصية أشعب ستكون مغلوبة على أمرها لأنها لا تستطيع مواجهة الوالي مهما فعلت، وهذا ما حدث فعلا في خاتمة الخبر حيث نجد أن أشعب قد أعطى عهدا على نفسه أن لا يأكل مضيرة جدي لأن الوالي أراد أن يبعثه إلى السجن حينما علم بأنه قد آكل مضيرته الخاصة.

ومثله هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسين أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن حماد الواعظ مولى بني هاشم، حَدَّثَنَا أبو بكر يوسف بْن يعقوب بْن إسحاق بْن البهلول الأزرق في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، حَدَّثَنَا أبو عتبة يعني: أَحْمَد بْن الفرج الحمصي، حَدَّثَنَا ضمرة، وحدثنا أبو القاسم سعيد بْن مُحَمَّد بْن الحسن المروذي، قَالَ: أخبرنا أَحْمَد بْن علي بْن الحسن الكسائي بزبيد اليمن، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الحسن بْن إسحاق بْن عتبة الرازي، حَدَّثَنَا عمار بْن وثيمة، حَدَّثَنَا أبو سعيد يعني: يحيى بْن سليمان الجعفي، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو عمير، حَدَّثَنَا ضمرة، عن إبراهيم بْن أبي عبلة، قَالَ: سمعت أم البنين أخت عمر بْن عبد العزيز، تقول: «أف**

([1]) البخلاء : ٩٠-٩١.

للبخل، لو كان البخل قميصا ما لبسته، ولو كان طريقا ما سلكته» . وقال الواعظ: «واللَّه لو كان البخل طريقا ما سلكته، ولو كان ثوبا ما لبسته» .قال أبو عمير: هذا يسوى خمسين حديثا ،هذا مما سألني عنه يحيى بن معين)[1].

حيث افتتح السارد خبره باستهلال تشخيصي يوضح فيه شخصية أم البنين وهي أخت عمر بن عبد العزيز حيث نجده عرف بأنها أخت من تكون ومن ثم نقل إلينا حديثها عن البخل إذ ان المكانة الاجتماعية لهذه المرأة هي من جعلت حديثها يصل إلينا فلو كانت امرأة اعتيادية أو شخصا عاديا قد ذكر مثلما ذكرت لضاع كلامها و ما وصل إلينا كما تضيع أحاديث الناس الاعتياديين لذلك لا نبالغ أن نقول إن الاستهلال التشخيصي هو من حافظ على حديث أم البنين.

٢. أخبار خالية من الاستهلال :

أما هذا النوع من الأخبار فلم تكن تحتوي على استهلال إذ نجد أن السارد يدخل في أحداث الخبر مباشرة فكان مدار الخبر هو الحدث من دون إعطاء مقدمات عنه فيبتدأ السارد بذكر أحداث الخبر مباشرة بعد انتهائه من ذكر سلسلة رواة الخبر ومن الأمثلة الواردة على هذا النوع من الاستهلال في كتاب البخلاء هذا الخبر **(أخبرنا علي بْن مُحَمَّد بْن عبد اللَّه المعدل، أنبأنا الحسين بْن صفوان، حَدَّثَنَا بْن أبي الدنيا، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يحيى المروزي، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن خبيق، قَالَ: " لقي يحيى بْن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته، فقال له: يا إبليس! ! " أخبرني بأحب الناس إليك، وأبغض الناس إليك .قَالَ: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغضهم إلي الفاسق السمح .قَالَ يحيى: وكيف ذلك؟ قَالَ: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوف أن يطلع اللَّه عليه في سخائه فيقبله. ثم ولى، وهو يقول: لولا أنك يحيى لم أخبرك)**[2]

فنجد أن الخبر هذا انطلق من الحدث الأساسي مباشرة من خلاله بدأ الحوار فالحدث كان لقاء يحيى (ع) بإبليس ثم سؤاله لإبليس بأحب الناس إليه و من ثم جواب إبليس على سؤال يحيى (ع) وينتهي بمفارقة إبليس ليحيى (ع) فكل هذه الأحداث انطلقت من دون الاستهلال.

([1]) البخلاء: ٧٠ -٧١.
([2]) نفسه : ٦٧.

و من الأخبار الخالية م الاستهلال هذا الخبر أيضا **(أخبرني الأزهري، حَدَّثَنَا أبو الحسن مُحَمَّد بْن جعفر الأديب، حَدَّثَنَا الصولي، أنبأنا أَحْمَد بْن سعيد الطائي، قَالَ: " مرض البحتري، فوصف له الطيب مزورة، فقال له بعض إخوانه: عندي جارية أحذق خلق اللَّه بها. فمضى ليوجه إليه بها، فلم يفعل، فكتب إليه البحتري، { من البسيط }:**

وجدت وعدك زورا في مـــــــزورة ذكرت مـــــبتدئا أحكام طاهيـــها

فلا شفى اللَّه من يرجو الشفاء بـها ولا علت كف ملق كفه فيـــــــها

فاحبس رسولك عني أن يجيء بـها فقد حبست رسولي عن تقاضيها) [1].

حيث تزامن بداية الخبر بحدثٍ وهو مرض البحتري ومن خلال هذا الحدث تكونت و رسمت ملامح الخبر و ربطت بأحداث أخرى كوصف الطبيب العلاج له وقول بعض إخوانه له بالجارية التي لديه و التي تحسن و تجيد صناعة المزورة وامتناع القائل عن إرسال الخادمة التي تصنع المزورة و كتابة البحتري للقصيدة فكل هذا الأحداث متتابعة ومتعلقة بالحدث الذي افتتح به الخبر وهو (مرض البحتري).

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حميد الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد الحكيم، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يونس، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حبيب، قَالَ: لقي أبو العتاهية العباس بْن مُحَمَّد، فقال: جعلني اللَّه فداك، تسمع مني؟ قَالَ: هات، فأنشده، { من الكامل }:**

إن المكارم لم تزل معقـــــــولة حتى حللت براحتيك عقالها

لو قيل للعباس يا ابن مُحـــــمَّد قل لا وأنت مخلد ما قالـها

فدخل ووجه إليه بدينارين، فقال أبو العتاهية للخادم: انتظر حتى أكتب جواب ما جئت به، فأخذ رقعة وكتب فيها، { من الوافر }:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتـجري في الكرام كما جريت

([1]) البخلاء: ١٣٠/و الأبيات للبحتري ينظر في ديوانه، تحقيق:حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ، ٢٤٢٦/٤.

فهبها مدحة ذهبت ضـــياعا كذبت عليك فيها واعتـــديت

ورد الدينارين، فغضب العباس بْن مُحَمَّد من ذلك، وطلبه ليقتله، فلم يقدر عليه) [1].

إن البداية الحدثية للخبر كانت بمثابة المنطلق لتطور الأحداث وتغيير مسارها بما لا يتوقعه المسرود له فالحدث" هو يؤدي إلى تغير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء"[2] ، فلحظة لقاء أبي العتاهية العباس بن محمد هو الحدث الذي شيد عليه الخبر كله.

ومثله هذا الخبر **(أخبرنا التنوخي، أنبأنا أَحْمَد بْن إبراهيم بْن شاذان، ومُحَمَّد بْن عبد الرحمن المخلص، واللفظ لابن شاذان، قالا: حَدَّثَنَا عبيد اللَّه بْن عبد الرحمن السكري، حَدَّثَنَا أبو يعلى المنقري، حَدَّثَنَا الأصمعي، عن المعتمر، قَالَ: " مدح أعرابي رجلا، فلم يعطه شيئا، فقال: إن فلانا يكاد يعدي بلؤمه من يسمى باسمه، ولرب قافية قد ضاعت في طلب رجل كريم)** [3].

إن بساطة هذا الخبر وقصره هي التي جعلته يخلو من الاستهلال فالحادثة قد اظهرت نتيجة وهي بخل الرجل وعدم أعطاه للأعرابي ومن هذه الحادثة تولدت ردة فعل للأعرابي جعلته يسخر من الرجل واصفا إياه بالبخيل لدرجة انتقال بخله لمن يحمل مثل اسمه وإن قوافيه قد ضاعت في مدحه ظنا منه إنه رجل كريم فالأحداث هنا هي وقائع قد حدثت وفق بنية مترابطة .

وعلى شاكلته هذا الخبر **(وأخبرنا أبو يعلى، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد، أخبرنا الكوكبي، قَالَ: أخبرني المسكي، قَالَ: " قدم ابن حمدون النديم مدينة السلام منصرفا من الحج، وقد كان قطع عليه في الطريق، فعرض عليه مُحَمَّد بْن عبد اللَّه بْن طاهر، وسأله أنّ ينزل عنده، فلم يفعل، فصرت إليه، فأنشدته، { من الطويل}:**

ليهنك أجرا حـــــــجة ورزية وأنــك لم تحلل بدار ابن طاهر

بدار كأن الضيف في جنباتها إذا ما غدا ضيف لأهل المقابر)[4].

([1]) البخلاء: ١٣٢ /والأبيات لأبي العتاهية ينظر في ديوانه، تحقيق شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥ :٥٠٣-٦١٣.

([2]) معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧: ٧٤.

([3]) البخلاء: ١٣٢-١٣٣.

([4]) نفسه: ١٣٩-١٤٠.

فنجد أن الحدث هو صلب تحريك المتن السردي حيث إن بداية السرد هو حدث (قدوم ابن حمدون النديم إلى دار السلام) وهذا القدوم أشبه بالبؤرة المحركة للأحداث التي تدور في النص، فقدوم ابن حمدون مرتبط بحادثة أخرى هو تعرضه للسرقة في الطريق، ومن ثم عرض محمد بن عبدالله النزول عنده، ورفض ابن حمدون لطلبه، وإنشاد المسكي لهذه الأبيات في حق محمد بن طاهر يصفه بالبخل و الجفاء، وعدم إكرام الضيف فضيفه أشبه بضيف أهل المقابر لا يجد لديهم ماء و لا طعام، ويعدّ الحدث هنا المحرك الرئيس للأحداث و الافعال و منطلقا لتقديم شخصيات الخبر ولا يمكن أن يتكون هذا الخبر بدونه ،فهو بمثابة العمود الفقري الذي يقوم عليه النص الخبري هنا أما الأفعال و الحوادث فهي بمثابة الأضلاع المرتبطة و المترتبة حوله فأيضا لم نعثر على استهلال في هذا الخبر .

و على نحوه هذا الخبر **(أخبرني الحسين بْن مُحَمَّد بْن عثمان النصيبي، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد المعدل، أنبأنا أبو بكر مُحَمَّد بْن الحسين بْن دريد، حَدَّثَنَا عبد الرحمن، عن عمه، قَالَ: " مر أعرابي برجل قد وضع بين يديه غداءه وهو يأكل، فقال: لو تعرضت له لعله يدعوني إلى الغداء. فقال: السلام عليكم. فقال: كلمة مقولة. ثم طأطأ رأسه يأكل، فقال له الأعرابي: أما أني مررت بأهلك. قَالَ: عليهم كان طريقك؟ قَالَ: وهم صالحون. قَالَ: كذلك خلفتهم. قَالَ: إن امرأتك حبلى. قالَ: كذلك عهدتها. قالَ: إنها ولدت غلامين. قالَ: كذلك كانت أمها. قالَ: مات أحدهما. قَالَ: ما كانت لتقوى على رضاع اثنين. قَالَ: ثم مات الآخر. قَالَ: ما كان ليبقى بعد أخيه. قَالَ: ثم ماتت الأم. قَالَ: ما كانت لتبقى بعد ولديها. قَالَ: ما أطيب طعامك .قَالَ: نفعه لغيرك. قَالَ: أف لك. قَالَ: اللئيم سباب)**[1] .

حيث بدأ السارد هنا بعرض الحدث في عتبة الخبر من دون استهلال وهو مرور الأعرابي برجل يأكل ومن ثم تولد من هذا الحدث حوار دار بينه وبين الأعرابي فشكل هذا الحوار أحداثا أخرى في النص الخبري وهذه الطريقة هي طريقة بدائية استعملها السارد، حيث إن السارد البدائي يقدم لسامعيه عتبة ومن ثم يسرد ما وقع من أحداث في خط متسلسل تسلسلا زمنيا مضطردا وبنفس ترتيب وقوعها[2] ، فافتتح السارد خبره بالحدث مباشرة، ومن ثم أنهى خبره بالخاتمة، حيث إن

([1]) البخلاء: ١٤٥-١٤٦.

([2]) ينظر: بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤: ٥٤.

لمرور الأعرابي صلة وثيقة بالحوار الذي دار بينه وبين الرجل الذي يأكل، ونقل ما جرى له من أحداث لأهله وفي اللحظة التي اكتشف فيها الأعرابي بخل الرجل وبخه و وصفه باللئيم فأجابه الرجل بأن اللئيم سباب حيث كانت نهاية الخبر .

ومثله هذا الخبر **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبيد اللَّه الكاتب، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن زكريا، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن عبد الرحمن، قَالَ: " دعا مديني أخا له، فأقعده إلى العصر فلم يطعمه شيئا، فاشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قَالَ: صوت المقلى)** [1] .

إن الخبر هنا ابتدأ بتقديم الحدث بصورة مباشرة وهو دعوة الرجل المديني لأخٍ له، ومن ثم تمت بقية الأحداث من حبسه لضيفه و محاولته العزف أو الغناء أمام الضيف دون أن يقدم لضيفه أي طعام ، فوصل الأمر بالضيف أن يسخر منه لما وصل له من جوع ، إن هذه الحوادث كلها قد أتت من دون استهلال فانطلق الخبر من دعوة المديني وبهذا الدعوة خلقت ارتباطات بين مجريات الأحداث الأخرى انتهاء بالخاتمة.

ومن هذه الأخبار هذا الخبر**(أخبرني أبو مُحَمَّد يحيى بْن الحسن بْن علي بْن المنذر القاضي، أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بْن سعيد بْن سويد المعدل، أنبأنا مُحَمَّد بْن الحسن بْن دريد، أنبأنا عبد الرحمن يعني: ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قَالَ: سمعت أعرابيا، يقول: الحسد ماحق للحسنات، والزهو جالب لمقت اللَّه عز وجل ومقت الصالحين، والعجب صارف عن الازدياد من العلم، داع إلى التمخط والجهل، والبخل أسوأ الأخلاق وأجلبها لسوء الأحدوثة)**[2].

حيث نلاحظ عدم اشتمال الخبر على أي عتبة استهلالية لقصره أولا، ولعدم اشتماله على حدث ثانيا.

ومثله هذا الخبر **(حَدَّثَنَا أبو بكر مُحَمَّد بْن إبراهيم بْن مُحَمَّد الزنجاني بهمذان، حَدَّثَنَا الحسين بْن مُحَمَّد بْن جعفر الجرجاني، حَدَّثَنَا سلم بْن الفضل بمصر ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن موسى القرشي،**

([1]) البخلاء: ٧٦.
([2]) نفسه: ٥٧-٥٨.

قَالَ: سمعت الأصمعي، يقول: ثلاثة لا يسألون الحوائج: رجل استغنى بعد فقر، فإنه يرى إن قضاها عاد إلى فقره، وعبد، فإنه يقول: ليس الأمر إلي، إنما الأمر إلى موالي، وصيرفي، فإن مروءته أن يستربح على إخوانه في مئة دينار حبة ذهب)[1].

فهذا الخبر أيضا نجده يخلو من أي استهلال، وأن السارد يدخلنا في حديث أو كلام الأصمعي مباشرة دون ذكر لأي تفاصيل مسبقة عن أي شيء حتى انه لا يورد مناسبة قول الأصمعي لهذا الكلام، و أيضا نلاحظ أن الخبر يخلو من الشخصيات، و لا يحتوي على أي احداث وقد جاء الخبر قصيرا موضحا فيه الأصمعي الناس الذين لا يسألون الحوائج ومعطي في نفس الوقت الأسباب التي تدعو إلى ذلك .

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسين مُحَمَّد بْن الحسين بْن مُحَمَّد بْن الحسين بْن علي الحراني المعدل، أنبأنا أبو الفضل عبيد اللَّه بْن عبد الرحمن بْن مُحَمَّد الزهري، قَالَ: قرأت في كتاب أبي، أخبرني الخلنجي الدلال، قَالَ: قَالَ الأصمعي: ست يضنين بل يقتلن: انتظار المائدة، ودمدمة الخادم، والسراج المظلم، والوكف من أول الليل إلى آخره، وخلاف من تحبه، والنظر إلى بخيل)**[2].

ونلاحظ أن هذا الخبر قد جاء به السرد بصورة مباشرة من دون مقدمات أو عتبات استهلالية إذ أنتقل السارد من الأسناد إلى مناسبة القول (قول الأصمعي)، و أيضا نلاحظ قصر الخبر وعدم اشتماله على حادثة وعدم إشتراك شخصيات أخرى فيه، ولعل قصر الأخبار هي التي جعلتها تخلو من أي مقدمة أو استهلال.

وعليه نستنتج من ذلك أن الخطيب البغدادي قد نوع في افتتاحيات أخبار كتابه البخلاء فنجده تارة يفتتح باستهلال وتارة أخرى من دونه قد تنوعت أنماط الاستهلالات الواردة في الأخبار التي تحتوي عليها فحتوت على استهلال وصفي، و حواري، و تشخيصي، وهذا التنوع عكس لنا قدرة السارد على الإبداع و مدى تمكنه من العناصر الفنية التي تزيد من إثارة اهتمام وجلب انتباه المتلقي مما يدعوه ويجذبه إلى استكمال القراءة دون الشعور بالملل، إن التشابه الظاهري للاستهلال يحوي أحيانا بأن العتبات كلها متشابهة و لا فرق بينها ولكن حقيقة الأمر هنالك

([1]) البخلاء: ٩٩-١٠٠.
([2]) نفسه : ١٠٣.

اختلاف بين هذه العتبات، ويرجع بالأساس إلى طبيعة كل خبر وما يحمله من أحداث، وكذلك الدور الموكل للاستهلال في بداية النص والأهداف الجمالية التي يعمل على تحقيقها[١].

وأيضا نجد أن الاستهلال له علاقة في تعريف المتلقي بما سيحمله الخبر من أحداث ويعرف أيضا تعريفا مبسطا بشخصيات الخبر حيث إن للاستهلال موقعين موقعه في أول الكلام أولا ثم موقعه داخل النص بوصفه حاملا لنوى النص كلها ثانيا[٢]، ونجد أن الخطيب البغدادي قد اهتم بالبدايات لأنها أهم النقاط النصية الاستراتيجية المسؤولة عن تأمين رحلة دخول القارئ إلى عالم الخبر وأحداثه وهي بمثابة الحبل الأول الواصل بين الكاتب و القارئ[٣] ،حيث إن نقطة الانطلاق و الخاتمة هي التي تبقى دائما في ذهن المتلقي ونقطة الانطلاق هي الحد الفاصل فيما إذا كان المتلقي سيكمل القراءة أم يتوقف إذا فشل السارد في افتتاحيته أخباره، كذلك نستنتج خلو بعض أخبار الكتاب من الاستهلال وذلك لقصر الأخبار، ولعدم احتوائها على حدث محدد فكانت أغلب هذه الأخبار هي أقوال تطرقت لموضوع البخل بحكمة أو ذم .

(١) ينظر: عتبات الكتابة في الرواية العربية: ٥١-٥٢.
(٢) ينظر: الاستهلال فن البدايات، في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار نينوى، سورية، ط٤، ٢٠١٥ :٣٣.
(٣) ينظر: البداية و النهاية في الرواية العربية، عبد الملك أشبهون، دار رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ٣٧.

المبحث الثالث

التداخل الأجناسي

تعد ظاهرة التداخل الأجناسي من الظواهر الأدبية التي تترك تأثيرا في المتلقي و تطرد الملل و السأم عنه و لا نبالغ إذ نصفها بأنها بستان اللغة العربية إذ يقتطف المتلقي أو القارئ من الشعر أغراضه و أنواعه و من النثر أخباراً و قصصاً و نقداً ومعارف أخرى .

فالتداخل الأجناسي هو اكتساب النص النثري بأنواعه المختلفة عملية إثراء تزيد من خفته و حلاوته وذلك بإدخال أبيات شعرية إليه لغرض تقوية مضمونه و كسر نمطيته لتحقيق أهداف جمالية و إبداعية ،جاعلة من النص قادرا على استيعاب معان متعددة يستطيع من خلالها إيصال ما يريد إيصاله للمتلقي بعذوبة النثر وما يحمله من سجع مزخرف وبديع منمق وتزيين فني ، وبحلاوة الشعر و ما يحمله من إيقاع موسيقي و فنون بلاغية ، فتفتح بذلك التداخل مجالا أكبر للتصوير، والتشخيص، والوصف .

إن الحديث عن مرحلة التداخل بين هذين الفنيين غير واضح المعالم ولكن نستطيع أن نحدد له بعض الملامح في العصر الجاهلي ،إذ أكدت أغلب المصادر اهتمام العرب بالشعر والنثر فكانوا يزينون خطبهم بالشعر كي تكون أكثر تأثيرا في النفوس حتى أصبح "المزج بين الإيقاع الشعري و النص النثري الغير موزون يريح الخطيب و السامع"[١] ،وهذا يعني أن الشعر قد القى بظلاله على النثر وأخذ الخطباء يلونون خطبهم في الانتقال بين الفنين من أجل التأثير في السامعين وجذب انتباههم، وأصبح التداخل ظاهرة أدبية واضحة المعالم بعدما كان الشعر في أوج مكانته وغلبته قاصيا النثر في العصور الأولى، فأصبحت الكتب الأدبية التي وصلت الينا مزخرفة بهذه الظاهرة الفريدة من نوعها معطية بعدا جماليا و معرفيا للنصوص[٢]، وعليه فالتداخل النصي الشعري "هو حضور مقطع من نص محفوظ في سياق الكتابة و هذا المقطع ينسبه الكتاب إلى صاحبه أو يذكر من القرائن ما يفيد إنه كلام مضمن"[٣] .

---

(١) النثر في العصر الجاهلي ،هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي ،بيروت، ط١، ١٩٩٣: ٣٩.
(٢) ينظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، أركان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١: ٢٨٩.
(٣) الرسائل الأدبية و دورها في تطوير النثر العربي القديم ،صالح بن رمضان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١ : ٤١٦.

إما في ما يتعلق بطول النص أو قصره أو حضور النص كاملاً أو مجزوءاً، فيعتمد على الموضوع و المنهجية و ذوق المؤلف، و مناسبة الاستشهاد وغيرها من الأمور، و هذا التداخل يخدم النص لذلك يجب أن يكون التداخل منسجما مع النص الذي يطرحه الأديب ليزيد النص قوة تأثير، ويساهم في انتاجه بصورة متكاملة .

إن الحديث عن التداخل الأجناسي لا يمكن حصره بدراسة واحدة فهو مجال واسع و متشعب بتشعب الأجناس الأدبية ولكن مما لاشك فيه أن جنسي الشعر و النثر مهما تداخلا فيما بينهما لا يفقدان قيمتهما وهويتهما إلا إذا ذوب أحدهما في الآخر ومحى ملامحه فيفرض بعضها بعض سماته البنيوية على غيره ...وقد يغيب بعضها أو يهمش من دائرة الاهتمام ولكن يبقى في دائرة خدمة النص الأدبي[١]، وهذا الأمر يدخلنا في قضايا نقدية أخرى .

و لا يشكل التداخل عائقا في السرد بل ينتقل عبرها التشكيل السردي من النثر إلى الشعر من دون أن تتعثر حركته [٢]، ويمارس كل منها دوره في تكامل النص "ليتحرك مؤشر الامتاع داخل الكتاب بما يقترحه من أساليب و تقنيات متنقلا بين النثر و الشعر وهما يعملان معا على تجسيد هذه الوظيفة وبلورة حضورها"[٣].

وقد عمل المبدعون على هذه الظاهرة (التداخل) رغبة منهم في التقريب بين جنسي الشعر و النثر فضلا عن إلى الإسناد و التوثيق الذي يضيفه الشعر إلى الأخبار فدفع المصنفين إلى استثمار هذه الأشعار لتعضيد الأخبار في مؤلفاتهم[٤].

ونجد في التراث النقدي بعض التلميحات من الأقدمين على هذه الظاهرة فعلى سبيل المثال يرى أبو حيان التوحيدي(ت٤١٤هـ) "أن النثر ظل النظم و لولا ذلك ما خفَّ ولا حلى و طاب وفي

---

(١) ينظر :الكلام و الخبر: ٩٤.
(٢) ينظر :سرد الأمثال دراسة البنية السردية لكتب الامثال العربية، لؤي حمزة عباس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،٢٠٠٣: ٧١.
(٣) بلاغة التزوير(فاعلية الاخبار في السرد العربي القديم)، لؤي حمزة عباس، الدار العربية للعلوم، بيروت ، ط١، ٢٠١٠: ١٠٢.
(٤) ينظر: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية و اشكاليات التأويل، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ،٢٠٠٥: ١٤١.

النظم ظل النثر و لولا ذلك ما تميزت أشكاله و عذبت موارده ومصادره و طرائقه و انتقلت وصائله و علاقته"[1].

ويرى السيوطي (ت٩١١هـ)"إذا ما قويّ الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه"[2] ، وقد أورد غيرهم من النقاد آراء أخرى حول هذه الظاهرة تحت مسميات متعددة ،ونجد كتاب البخلاء للخطيب البغدادي يشتمل على ظاهرة التداخل بين فني الشعري و النثر ليس فقط لتحقيق الشمولية وبناء منهج متكامل، و إنما لغرض إثارة امتاع المتلقي مما أضفى على الكتاب مزيدا من التشويق و الجمال الفني و الأدبي، و علاقة الخبر بالشعر تجلت في كتاب البخلاء تحت مظهرين هما

١.سلطة الشعر على الخبر

حيث يكون الخبر في هذه الحالة تابعا للشعر طاغيا على السرد فيكون السرد أو الخبر بمثابة توضيح لمناسبة القول أو الممهد للأبيات الشعرية كما في هذا الخبر إذ يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا أبو عبد اللَّه مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن أبي طاهر الدقاق، حَدَّثَنَا جعفر بْن مُحَمَّد بْن نصير الخلدي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن مسروق، حدثني علي بْن سلام أبو الحسن القطان الهروي، قَالَ: حدثني روح بْن عمر العامري، قَالَ: كنت مع أبي وهب، فسأل رجلا من أهله حاجة، فبخل بها عنه فأنشد أبو وهب، يقول، {من الطويل }:**

إذا أنا لم أثن بخير علمـــــــته ولم أذمم الرجس البخيل المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي اللَّه المسامع والفـــــما)[3].

فجاء الخبر بمثابة التمهيد أو التوطئة لمناسبة القول، إذ لا يستفاد منه شيئا سوى معرفة سبب إنشاد أبي وهب لهذه الأبيات، و التي فيها نوع من التساؤل والحكمة حول السكوت عن الخير و المعروف و الرجس و البخل يتساوى السكوت هنا بين الظلمات والنور فلا بد أن يكون هنالك معيار لمعرفة الخير و الشر .

---

(١) المقابسات ،أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح ،الكويت، ط٢: ٢٤٥-٢٤٦.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨: ٥٩١.
(٣) البخلاء: ٧٠/ البيتان ليحيى بن سعيد (أبو عمران الضرير)، ينظر معجم الشعراء: ٥٦١.

ومنه هذا الخبر(**أخبرنا عبيد اللَّه بْن أبي الفتح الفارسي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حميد الخزاز، أنبأنا الصولي، قَالَ: حدثني أبو الفضل مخلد بْن أبان، حَدَّثَنَا إسحاق الموصلي، حَدَّثَنَا الأصمعي، قَالَ: " أول ما تكلم به النابغة من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل، وكان عمه يشاهد به الناس، ويخاف أن يكون عييا، فوضع الرجل كأسا في يده، وقال {من الوافر}:**

تطيب كؤوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على أذاها

فقال له النابغة:

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها

وحمي لذلك)[1].

حيث أعطى الخبر هنا المعلومات عن بدايات النابغة الشعرية لتساعدنا في فهم سبب قول النابغة وهو رد صريح من النابغة على الرجل، و الأبيات هنا هي الشاهد على موضوع مهم وهو أن النابغة لم يكن عييا وقتها كما ظن به عمه بل كان طليق اللسان لدرجة أنه أثار حمية الرجل ،علما أن هذا الخبر و الشعر لم يخرج عن نطاق ظاهرة البخل .

وعلى نحوها هذا الخبر يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا عبيد اللَّه بْن أبي الفتح، حدثني مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حدثني أَحْمَد بْن سهل بْن أبي عاصم الحلواني، أخبرنا يحيى بْن علي المنجم، أخبرني أَحْمَد بْن أبي طاهر، قَالَ: دعوت أبا هفان، فأبطئ عليه الغداء، قَالَ، فقال:**

{من مجزوء الرمل }:

أنا في بيت صديق واصل بر شفيق

رجل أعمر من منزله ظهر الطريق

ليس لي أكل سوى لحمي وشرب غير ريقي)[2].

([1]) البخلاء: ٧٥/ و البيت للنابغة الذبياني ينظر: ديوانه ،تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦ :٢٦٨.
([2]) نفسه: ١١٤.

نلاحظ هنا أن الخبر جاء بمثابة الاستهلال، فلا يقدم وظيفة سوى معرفة مناسبة القول (قول الشعر)، حيث إن الأبيات لم تحتو على اسم الشخص المهجو، وقد وظف الخبر هنا لخدمة الأبيات لتوضيح من يكون هذا الشخص و لأي مناسبة تعرض للهجاء والسخرية.

ومنها هذا الخبر **(أخبرنا عبد الصمد بْن مُحَمَّد الخطيب، حَدَّثَنَا الحسن بْن الحسين الفقيه الشافعي، قَالَ: سمعت عبد اللَّه بْن جعفر الرازي الكوفي، يقول: سمعت أبي، يقول: " رأيت رجلا يكتب على حائط بيتين فقرأتهما بعد أن كتبهما، {من السريع }:**

يا ذا الذي أحسنتُ ظني به ولم ينلني منه إحســـــانُ

أقلُّ حقي ضربُ حلقي على تـــــوهُّمي أنّك إنـــــسانُ)[1].

حيث إن الشعر هنا لا يخضع لسلطة الخبر، بل جاء الخبر ليوضح لنا مصدر هذه الأبيات، إذ وجد رجل غير معلوم يكتبها على حائط، ولم يوضح لنا الخبر إن كانت قد كتبت على بيت الشخص المهجو أو لا، ولم ينسب الخبر الأبيات إلى شاعر معين كذلك ،لم توضح الأبيات لنا ما يدل على الشخص المهجو، لذلك جاء النص النثري ليوضح للمتلقي مصدر هذه الأبيات، ولعل لها ارتباطا بالبخل، حيث نفهم من خلال الأبيات الرجل قد أحسن ظنه بشخص ما، وأراد منه غرضا فلم يعطه ذلك بخلا لذلك ذمه.

ومن الصور الأخرى لتجلي هذه الظاهرة هي التكثيف بين الشعراء و الأبيات حيث ذكرت في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي بعض الأخبار التي فيها نوع من التكثيف بين شاعرين أو قصيدتين و الغرض تدور موضوعاتهما حول قضية البخل و البخلاء سواء أ كانت القصيدة فيها هجاء أم سخرية ولم يكن الغاية من هذا التكثيف الموازنة أو تفضيل شاعر على آخر أو قصيدة على أخرى أو غير صريحة حيث تترك الباب مفتوحا أمام المتلقي من أجل تحليل كلا الشاعرين أو القصيدتين و يختار بنفسه الشاعر الأفضل، إن هذه الظاهرة تجعل من كتاب البخلاء كتابا فيه نوع من الشمولية على فنون الأدب ،فهو لم يكتف بسرد الأخبار التي تخص البخلاء فحسب، بل يحمل بين أشعارا غايتها تحقيق نوع من الشمولية و تنويع موضوعات

([1]) البخلاء: ١٣٤/ البيتان للشاعر علي بن الجهم ينظر: ديوانه : تحقيق :خليل مردم بك، وزارة المعارف السعودية، ١٩٨٠: ٢٥٨.

الكتاب بشرط عدم خروج هذه الموضوعات عن الموضوع الرئيس الذي كُتب لأجله الكتاب هو موضوع البخل، إذ إن الخطيب البغدادي التزم منهجية محددة حينما وضع كتابه فهو أراده كتابا أدبيا يحتوي على فنون أدبية منها الأخبار و الأشعار و أحيانا المزاوجة بين الشعر و النثر و الموازنات الشعرية والتي تدور كلها حول البخل و البخلاء ومن الأخبار التي ذكرها الخطيب البغدادي و فيها موازنة بين قصيدتين هذا الخبر: **(أخبرنا عبيد الله بن أبي الفتح الفارسي ، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، قال :أنشدني العباس خَتن الصرصري لبعض إخوانه {من البسيط }:**

قِدرُ الرِقاشِيِّ مَضروبٌ بِها المَثَلُ في كُلِّ شَيءٍ سوى النيرانُ تُبتَذَلُ

تَشكو إلى قِدرِ جاراتٍ إذا اِلتَقَتا اليَومَ لي سَنَةٌ ما مَسّنِي بَلَلُ

لكنّني بي يُرقى ماء بئرهم وبي تُرابُهُم إن جَمَّ يُنتقلُ

فإنَّما بَعدَ نَقل الماء أخلقَنَي نَقلُ التّراب إذا ما عَزَّت الزبل

قلت: هذه الأبيات لأبي نواس، قالها في فضل بن عبد الصمد الرقاشي .

قرأت على الجوهري عن أبي عبيد الله المرزباني ،قال: أخبرني محمد بن العباس، قال :أنشد يوماً رجلٌ أبا العباس المبرد لأبي النواس {من البسيط}:

قِدرُ الرِقاشِيِّ مَضروبٌ بِها المَثَلُ لكُلِّ شَيءٍ سوى النيرانُ تُبتَذَلُ

تَشكو إلى قِدرِ جاراتٍ إذا اِلتَقَتا اليَومَ لي سَنَةٌ ما مَسّنِي بَلَلُ

فأنشده أبو العباس لغيره {من الطويل}:

أقولُ: متى باللّحم عَهدُ قُدورِكمْ؟ فقالتْ: إذا ما كُنَّ يَوماً عَوَاريا

من أضحى إلى أضحى و إلّا فإنَّها تكونُ بنسجِ العنكبوتِ كما هيا)[1].

([1]) البخلاء :٩٥-٩٦/ و البيتان الاولان للشاعر أبي نواس ينظر: ديوانه تحقيق :أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة ،١٩٥٣: ٥٢٨،أما البيتان (أقول متى باللحم ..)فهما لمحمد بن يسير الرياشي، ينظر :ديوانه، جمع وتحقيق : مظهر الحجي ،دار الذاكرة، حمص، سوريا، ط١، ١٩٩٦: ١٢٨.

إن الأبيات التي ذكرها السارد في هذا الخبر فيها سخرية ذكرت عند الخطيب البغدادي فأسندها الخطيب البغدادي إلى قائلها أبي نواس وأيضا أسند فيمن قالها وهو فضل بن عبد الصمد الرقاشي، وذكر الخطيب البغدادي أيضا في نفس الخبر إنه قرأها على الجوهري عن طريق سند آخر وهو (ابي عبيد الله المرزباني) إذ ذكر المرزباني أنها أُنشدت للمبرد فأنشد المبرد أبياتا أخرى وهي(أقول :متى باللحم عهد قدوركم)، ولعل السارد أراد بذكر السند الثاني و إنشاد المبرد للأبيات الأخرى أن يكثف أبيات أبي نواس بالشعر الذي ذكره المبرد، ولكن يفضل الخطيب البغدادي أحدهما على الآخر فلم يذكر المبرد و لا الخطيب البغدادي رأيه النقدي و تفضيل أي من الأبيات على الأخرى، بل اكتفى بذكرها فقط ولكن هذا الأبيات فتحت الباب أمام المتلقي على أن يوازن فيما ذكر ونجد إن هذا الخبر هو امتداد للشعر ومكون من مكونات بنيته الحديثة ولكن يبقى الشعر هو الصوت هنا و الخبر مجرد صدى له[1]، إذ إن الغاية من ذكر الأشعار هنا هو تكثيف أبيات أبي نواس كما ترك للمتلقي ليختار أي الأبيات أحسن سبكا و أبلغ معنى وأكثر سخرية وهذا الأمر يعتمد على مدى اطلاع المتلقي و فراسته في التحليل.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرني أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل بن القطان ، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش أن مسبح بن حاتم أخبرهم بالبصرة، قال :أخبرني عمرو بن بحر الجاحظ ،قال :أخبرني سعيد بن سلم الباهلي، قال: دخل عليَّ بشار بن برد يوماً، فقال: إني قد امتدحتك أعزك الله ! بقصيدة لم يقل مثلها عربي و لا أعجمي ،وإني فيها لأشعر الناس .**

قال: فقلت هاتها! قال :فأنشدني {من الخفيف}:

حَيِّيا صاحِبـيَّ أُمَّ العـــلاءِ	**وَاحذَرا طَرفَ عَينِها الحَوراءِ**
عذّبتني بالحب عذّبها اللـ	**ـه بما تشتهي من الاهـــواءِ**
إنَّما همّةُ الجَوادِ اِبنِ سَـلـمٍ	**في عَطاءٍ وَمَركَبٍ لِلـــــقاءِ**
لَيسَ يُعطيكَ لِلرَجاءِ وَلا الخَو	**فِ وَلَكِن يَلَـــذُّ طَعمَ العَطاءِ**

(1) ينظر: الخبر في الأدب العربي: ٥٤٩.

يَسقُطُ الطَيرُ حَيثُ يَنتَثِرُ الحَبـ ـبُ وَتُغشى مَنازِلُ الكُرَمـاءِ

قال :فقلت يا بشار! أراك تبجح في شعرك ، وقد جاءني أعرابي منذ مدة فمدحني ببيتين لم أسمع أجود منهما، فأغفلت ثوابه فهجاني ببيتين لم أسمع أوجع منهما. قال: فقلتُ: فما البيتان اللذان امتدحك بهما؟ قال: قوله{من الطويل} :

فيا سائراً في اللّيْلِ لا تَخشَ ظَلّةً سعيدُ بن سلمٍ ظِلُّ كُلّ بلادِ

لنا سيّـــدٌ أربى على كُلِّ سـيّدٍ جوادٌ حَثَا في وجهِ كُلّ جَوَادِ

قال : قلت: فما البيتان اللذان هجاك بهما؟ قال قوله {من الطويل} :

لكُلِّ أخي مَدحٍ ثَــوابٌ يُــعدُّهُ وليسَ لمدحِ الباهلي ثوابُ

مَدَحتُ سعيداً و المديحُ مهزَّةٌ فكان كصفوانٍ عليه ترابُ

قال: فقال بشار : هذا أشعر مني ومن أبي و أمي)[1].

إن السارد قد ابتدأ الخبر بعتبة نثرية هي أشبه بالاستهلال أو التمهيد وحمل وظيفة أخرى إذ ضم عنصرا قصصيا وتفاصيل عن نشوء الشعر الذي تلاها وأصبح الشعر جزءاً من الحركة السردية في الخبر[2]وصولا إلى الأبيات التي قالها بشار بن برد في مدح سعيد بن سلم الباهلي فوصفه بالجود و سخائه وكثرة عطائه و ابتدأ بشار قصيدته بمقدمة غزلية منتقلا بعد المقدمة إلى وصف الممدوح راجيا بذلك عطاءه وقد قدم بشار نصا نثريا يمتدح فيها قصيدته واصفا نفسه حينما كتبها بأنه أشعر العرب و العجم، إلا أنه تفاجأ بعد إنشاده للقصيدة بقول سعيد بن سلم الباهلي (أراك تبجح في شعرك)، أي إنه طلب العطاء بصورة مباشرة ولم يحسن من سبك أبياته بصورة أبلغ وقد أبلغه إنه قد سمعه مدحا من أعرابي هو أجود من شعره فطلب بشار أن يسمع ذلك فاخبره بهما، وأبلغه أن الأعرابي قد هجاه ببيتين لم يسمع أوجع منهما فطلب بشار أيضا أن يسمع ذلك فاخبره بهما.

([1]) البخلاء ،ص١٣٣-١٣٤/ و الأبيات للشاعر بشار بن برد ولكن غير مرتبة كما أوردها الخطيب البغدادي ينظر: ديوانه ،تحقيق :محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية ،الجزائر ،٢٠٠٧: ١٣٢/١.أما أبيات الأعرابي فهي لعبد الصمد بن المعذل ،ينظر: شعر عبد الصمد بن المعذل، تحقيق: زهير غازي جاهد ، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٠: ٧١-٨٦.

([2]) ينظر الخبر في الأدب العربي : ٥٤٨.

إن الشعر(شعر بشار) هنا أصبح منطلقا للخبر الذي تلاه و الخبر الذي تلاه تابعا للشعر بلا شك وممهدا لشعر الأعرابي، وفاتحا وجه الموازنة بين شعر بشار و الأعرابي، إذ بعد كلام سعيد بن سلم حول شعر الأعرابي تشوق بشار إلى سماع ذلك الشعر الذي وصفه سعيد أنه لم يسمع أجود منه ولم يأتِ أحد مثله، حتى طلب بشار من سعيد أن يخبره الشعر، وبعد سماعه المقطع الذي مدح به الأعرابي سعيدا، تشوق بشار إلى سماع هجاء الأعرابي لسعيد بن سلم، فلما سمع بشار هجاءه شهد له بأنه أشعر منه ومن أبيه ومن أمه، وهي مبالغة في مدح الأعرابي، و انتهت الموازنة هنا بشهادة بشار لشعر الأعرابي، فلم تترك المجال للمتلقي أن يفضل شعر أحدهما على الأخر، ونلاحظ هنا أن الخبر كله جاء في خدمة الأشعار التي وردت، فهي مهدت لها و جاء أيضا ليطرح فكرة التفضيل بين شعر الأعرابي و شعر بشار بطريقة غير مباشرة ،فالسارد هنا عمد إلى إخفاء ذلك لكي لا يصبح الموضوع نقديا بحتا، فيثير سخط المتلقي ،لم يصرح السارد بتفضيل شعر الأعرابي على بشار، لأن ذلك التفضيل يحتاج إلى تحليل أبيات كل من بشار و الأعرابي، فيدخل السارد في مشكله عدم التوازن بين السرد و الشعر، فيضفي تعقيدا على ما أورد بل أنه اكتفى بشهادة بشار للأعرابي بأنه أشعر منه فهو أراد بذلك أن يختزل الموضوع دون الحاجة إلى الإسهاب الممل .

٢.سلطة الخبر على الشعر:

حيث تتجلى سلطة الخبر على الشعر في عدة صور أبرزها عدم تقدم القصة من دون الشعر إذ يكون الشعر عنصراً سردياً فاعلاً يترتب عليه مواقف مهمة[١]،"لذلك يتخذ الرواة في مناسبات كثيرة من الشعر دليلا على صحة ما أوردوه في الخبر"[٢]، ونجد في كتاب البخلاء أمثلة على ذلك منها قول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي ،وعلي بن المحسن التنوخي ؛ قالا :أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان؛ زاد التنوخي :ومحمد بن عبدالرحمن المخلص ، واللفظ لابن شاذان ؛قالا :حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، حدثنا أبو يعلى المقري ،حدثنا الأصمعي، عن أبيه، قال :كان السيد بن محمد الحميري عند عقبة بن مسلم ، فغداه، ثم سقاه نبيذاً، فاستزاده السيد فجعل يقول لخادمته: هاتي نبيذاَ**

(١) ينظر: الفن القصصي في النثر حتى مطلع القرن الخامس الهجري: ٢٩٠.
(٢) الخبر في الأدب العربي: ٥٤٩.

ويشير عقبة إليها ألا تفعلي، فلم تزده الخادم على ما كان يقسى فأنشأ السيد يقول {من الوافر}:

بخيلٌ بالـــــــــــنبيذ أبو ملـيكٍ جـوادٌ بالدنانير الجـيادِ

أقولُ لهُ :أسقني ،فيقول: هـــاتي ودون نبيذه خرطُ القتادِ)[1].

نجد في هذا الخبر أن السيد الحميري يصف لنا ما حدث بينه وبين عقبة بن مسلم إذ وقف كل من الشعر و النثر على تفاصيل الحادثة دون أن ننكر إن الخبر هو الذي أنتج الأبيات فشخصية عقبة بن مسلم هي التي أثارت حفيظة السيد الحميري وجعلته ينشد أبياته، ونجد أيضا إن للبيتين دورا آخر، فقد أديا الوظيفة الوصفية إذ عمد السيد الحميري إلى توثيق الحادثة شعرا واصفا في الوقت نفسه صعوبة استزادة طلب النبيذ من عقبة بن مسلم وإن هذا الطلب لا ينال إلا بالمشقة وخرط القتاد (الشوك) أسهل منه.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا علي بن أبي علي البصري، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، حدثني أبو بكر العلاف المعروف بالمخرف، قال : وجهت إلى حنانان النصراني بقنينة ، وسألته أن يوجه لي فيها نبيذاً، فاحتبس الرسول، ثم جاءني ومعه قنينةٌ ناقصة، وإذا قد مزجها بالماء فقلت فيه {من المتقارب}:**

نبيذُ حـــــنانان في بيته أعزُّ من الماءِ في واقصهْ

بعـــــثنا إليه بقنّـــينة وأبصارنا نحوها شاخـصهْ

فأمزجها الـماء من بئرهِ وجـاءَ بها بعدَ ذا ناقصهْ)[2].

حيث عمل الشعر على إعادة إنتاج ما تقدم بعد عتبة نثرية نظمت العلاقة بين الشعر والنثر [3].

([1]) البخلاء :١١٤-١١٥/ والبيتان للسيد الحميري لم نعثر عليهما في ديوانه من تحقيق: ضياء حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان،ط١، ١٩٩٩.
([2]) نفسه : ١١٥.
([3]) ينظر: بلاغة التزوير : ٨٣.

وعلاقة الشعر بالخبر هنا هي علاقة توثيقة، فالشخصية التي تدور حولها الأحداث هي شخصية حنانان النصراني، واستعان السارد بالشعر ليبين لنا صدق الواقعة واقعة أرسال قنينة النبيذ ناقصة وممزوجة بالماء، ولإثبات صحة الخبر.

ومن الأمثلة على سلطة الشعر على الخبر هذا المثال **(أخبرنا الحسن بن علي الجوهري ،حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حيويه الخزاز، حدثنا أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري حدثنا أحمد بن يحيى النحوي ،حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ،حدثني أبي ؛قال أبوبكر :وحدثني أبي: حدثنا أبو عكرمة الضبيّ عامر بن عمران، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي؛ واللفظ في الروايتين مختلط قال: دخلت على هارون الرشيد ،فقال لي : يا أبا إسحاق! أنشدني شيئا من شعرك، فأنشدته {من الطويل}:**

وآمرة بالبخل قلت لها: اقصري ... فذلكَ شيٌء ما إليه سَبيلُ

أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليلُ

وإني رأيت البُخل يُزري بأهلِهِ ... فأكرمتُ نفسي أن يُقال: بَخيلُ

ومن خير حالاتِ الفَتى لو عَلمتِهِ ... إذا نالَ شيئاً أن يكونَ يُنيلُ

عطائي عطاء المُكثرِينَ تكرّما ... ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ

وكيفَ أخافُ الفقرَ أو احرَم الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ

فقال الرشيد : لا ، كيف إن شاء الله تعالى ، يا فضل ! أعطه مائة الف درهم. ثم قال : لله درُّ أبيات تأتينا بها يا إسحاق ! ما أجود أصولها ! و أحسن فصولها ! فقلت : يا أمير المؤمنين، كلامك أحسن من شعري ، فقال : يا فضل أعطه مائة الف أخرى ؛فكان ذلك أول مالٍ اعتقدته)[1].

إن هذه الأبيات التي قالها إسحاق بن إبراهيم الموصلي هي المحرك الرئيس للأحداث التي تلتها، ولكن مما لا شك فيه إن لولا طلب الخليفة من إسحاق بالإنشاد لما وجدت هذه الأبيات، و تبقى

([1]) البخلاء: ٥٨-٥٩.

الأبيات بمثابة العجلة التي دفعت الخبر إلى الأمام، حيث أخذت مكانة في نفس الخليفة الرشيد مما جعله يأمر للشاعر بجائزة، و إن ما تلاها من نثر لا يقل تأثيرا عن الأبيات، فالنثر هنا أعجب الخليفة أيضا، واستحسنه وأمر بجائزة أخرى للشاعر، إن طلب الإنشاد أسهم في توليد الأبيات و إنشادها والأبيات ولدت النص النثري الذي يليها .

وأحيانا نجد السارد يذكر أبياتاً بغية منه لتأكيد حادثة ما قد وقعت كما في هذا الخبر (**أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الزوزني الصوفي ، أنبأنا أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين النيسابوري فيما أذن لنا أنّ نرويه عنه ، قال :سمعت طاهر بن عبدالله يقول: كان ببغداد أخوان يقال لأحدهما :عقبة ، وكان من أجود الناس . ويقال للآخر :عيسى وكان من أبخل الناس فقال فيهما أبن بسام الشاعر {من البسيط}:**

لَم يَدرِ ما كَرَمٌ عيسى فَليمَ كَما لَم يَدرِ عُقبَةُ ما لَومٌ فَـــلَم يُلَمِ

فَزُهدُ عُقبَةَ في لا حينَ نَسأَلُهُ كَزُهدِ عيسى إذا ما سِيلَ في نَعَمِ)[1].

حيث نجد أن السارد هنا اضطر إلى ذكر الأبيات لبيان صحة وقوع هذا الخبر، وسعيا منه لإقناع المتلقي على عدم التشكيك في صحة ما أورده نثرا، فتكفلت الأبيات توثيق الحادثة فقد ذكرت قصة (عقبة وعيسى) شعرا، وقفت على تفاصيل الحادثة، ولكن يبقى النثر هو المنتج للحادثة.

وقد يؤدي الشعر وظيفة وصفية داخل الخبر كهذا الخبر (**أخبرنا أبو الخطاب عبد الصمد بن محمد بن محمد بن مكرم، أنبأنا إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل بن سويد، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثني القاسم بن أحمد الكاتب، أخبرني حجاج الكاتب قال: أمر المأمون لحفصويه الكاتب من مال زيد بن زبر بمائة ألف درهم، فسأل زيد حفصويه أن يتجافى له عن بعض ما أمر به فأبى وهجاه فقال {من البسيط}:**

ما كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ الخُبزَ فاكَهــةً حَتّى رأيــتُكَ يا زَيدُ بنُ خـــــــنزيرِ

([1]) البخلاء :٦٨/ لم نعثر علي بيتا الشاعر في ديوانه، صنعة و تحقيق مزهر السوداني، مؤسسة المواهب للطبع و النشر ،بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٩٩.

يا حابس الروث في أعفاجِ بغلتهِ بُخلاً على الحبِّ مِن لقطِ العصافيرِ)[1].

فقد أدى الشعر هنا وظيفة وصفية فقد عمد حفصويه إلى وصف بخل زيد بن زبر شعرا مفصحا عما سكت عنه نثرا، وكان الخبر سببا في توليد هذه الأبيات إذ وظف السارد هذه الأبيات من أجل السخرية و الفكاهة .

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل، أنبأنا إسماعيل بن سعيد المعدل ،حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال :قال أبو محمد الهدادي: نزل حمزة بن بيض بقوم ،فأساؤوا ضيافته و طرحوا لبغلته تبناُ رديئا ،فعافته ،فأشرف عليها فشحجت حين رأته فقال {من الرمل}:**

احسبيها ليلةً أدلـجــتِها فكلي إن شئت تــبنا أو ذري

قد أتى مولاك خبزٌ يابسٌ فتغدّى فـــتغدّي واصـــبري)[2].

حيث إن الخبر هنا وَلد لنا هذه الأبيات، وإن لم يكن الخبر موجودا لما ظهرت لدينا، ونجد أن النثر قد أحكم قبضته على الشعر في هذ الخبر إذ غير مجراه و جعله قولا غير دال بنفسه و إنما يحتاج إلى الخبر لكي يكشف لنا تفاصيل الحادثة [3].

ويمكن أن نسوق الخبر الآتي مثالاً أخر إذ يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرني الأزهري ، حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر الأديب حدثنا الصولي، أنبأنا أحمد بن سعيد الطائي ،قال مرض البحتري ،فوصف له الطبيب مزوَّرة ،فقال له بعض إخوانه : عندي جارية أحذق خلق الله بها؛ فمضى ليوجه إليه بها ، فلم يفعل ، فكتب إليه البحتري {من البسيط}:**

وَجَدتُ وَعدَكَ زوراً في مُـــــــزَوَّرَةٍ وَصَفتَ مُبتَدِئً بِالحِذقِ طـــــاهيها

فَلا شَفى اللَهُ مَن يَرجو الشَفاءَ بِها وَلا عَلَت كَفُّ مُلقٍ كَفُّهُ فـــــــــيها

([1]) البخلاء: ١٠٥/ و الأبيات نسبت لعلي ابن الجهم ،ينظر ديوانه: ٢٥٧.
([2]) نفسه :١٣٩، والبيتان لحمزة بن بيض الحنفي الكوفي ،ينظر :معجم الأدباء(إرشاد الأريب لمعرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣: ١٢١٨/٢.
([3]) ينظر :الخبر في الأدب العربي : ٥٧٦.

فَاحبِس رَسولَكَ عَنّي أَن يَجيءَ بِها فَقَد حَبَستُ رَسولي عَن تَـــقاضيها)[1].

يظل الشعر هنا أسيرا لدى الخبر إذ إن الخبر هو الذي أنتج هذه الأبيات إذ تظل هذه الأبيات متوقفة في معناها على السياق الذي ينزلها فيه الخبر، وقد أرغم الخبر الشعر على النزول إلى مقتضيات قراءة حرفية تخرجه من مسار السّنّة الشعرية وتقحمه في مجال سردية الخبر[2]، إذ إن الشعر هنا لا يتم معناه ما لم يذكر الخبر و مناسبة التي أرغمت البحتري على السخرية ممن وعده.

ويمكننا القول مما تقدم إن ظاهرة التداخل الأجناسي في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هي ظاهرة فنية لها تأثيرها في النصوص والمتلقي، أراد الخطيب البغدادي بها كسر الحواجز بين الفنون الأدبية، وإعطاء فكرة للمتلقي أن هذه الفنون جمعيها تصب في خدمة النص الأدبي مما تثريه و تضيف إلى عملية الإبداع نوعاً من المتعة و التشويق و تكسر حاجز الملل و الرتابة التي قد تصيب المتلقي ، وقد أدى الشعر داخل هذه النصوص النثرية وظيفة زيادة التوثيق و المبالغة في صحة الوقائع التي تذكرها لنا، وذلك من أجل زيادة اقناع المتلقي لما يقرأ و إيصال الخبر للمسرود له بأجمل و أفضل صورة، وأيضا وقع على عاتق الأشعار وظيفة أخرى، وهي الوظيفة الوصفية، إذ جاءت النصوص الشعرية واصفة لبعض الوقائع تفصح لنا عما يدور في وجدان شخصيات الكتاب الذين لم يستطيعوا أن يعبروا أو يصفوا لنا ما في نفوسهم نثرا، فعمدوا إلى الشعر بدلا عن ذلك لأجل زيادة التأثير فيمن هجوا و وصفوا وسخروا وبصورة أبلغ و أوجز، و نجد أن هذه الأشعار لم تخرج عن الموضوع الذي دار حوله الكتاب (موضوع البخل)، وقد أتت بصورة غير مقحمة إذ نجد أن المتلقي يتنقل بسهولة بين فني الشعر و النثر، ولم يخرج الكتاب عن منهجية الكتب الأدبية الأخرى فعمد المؤلف على تنوع فنونه وطرق نقلها التي تشعر المتلقي بالمتعة و الطمأنينة في الوقت نفسه لصحة ما ينقل .

([1]) البخلاء:١٣٠.
([2]) ينظر :الخبر في الأدب العربي:٥٧٩.

المبحث الرابع

الخاتمة

تعد الخاتمة من الركائز المهمة في النصوص الأدبية سواء أكانت في المنظوم منها أو المنثور، و لها أهمية ليست بأقل من أهمية الاستهلال فقد اهتم النقاد و البلاغيون بها وجاء معنى الخاتمة لغة من لفظة (ختم) "وختم الشيء يختمه اختتاما بلغ آخره"[١] ،أما في الاصطلاح فهي النقطة الأدبية التي يبلغ بها الاديب نهاية الأثر أو العمل فيشكل عملا أدبيا تاما وينبغي على الأديب الفطن أن يضمنها معنى تاما يؤذن السامع بأنها الغاية و النهاية[٢].

ولقد تعددت أسماء الخاتمة عند البلغاء و النقاد منها حسن الخاتمة و حسن الختام و الانتهاء و المقطع وحسن المقطع و براعة المقطع و الأواخر[٣] فكل هذه المصطلحات لها معنى واحد تدل على نهاية النص الأدبي، وقد حض البلاغيون على الاهتمام بها لأنها ركن مهم من أركان العمل الأدبي فهي آخر ما يتعلق في النفس و السمع ،لذلك يجب الاعتناء بها لأنها الموقع الذي "ينقطع فيه الكلام و الإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس"[٤].

إن متلقي النص الادبي، سواء أ كان قارئا أم مستمعا، يترقب اللحظة التي ينتهي فيها النص وما تؤول إليه الأحداث، فهي تحل في موقع حاسم في النصوص وتقدم "وظيفة القوة الممغنطة والمُبدأ المنظم للسرد"[٥] ، و أيضا من خلالها يتبين لنا مدى انسجام العمل ووحدته العضوية، فإنسجام العمل يتبين من خلال مدى ترابط و تماسك مقدمة العمل أو استهلاله و أواسطه و خاتمته، فإذا كانت بداية العمل الفني تفتح مخيلة المتلقي لتصور الأحداث و توقعها التركيبات فيها كثيرة وممكنة فإن الخاتمة مرتبطة بالاحتمال المتحقق وحده[٦].

ولطالما كانت الخاتمة تسبب توترا بين الكاتب و المتلقي ،فهي عادة ما تحمل موقف الكاتب وقد لا يرضي هذا الموقف المتلقي ،و أحيانا يسبب نوع الخاتمة سخطا لدى المتلقي، فالخاتمة

---

(١) لسان العرب ،(مادة ختم).
(٢) ينظر: معجم المصطلحات النقدية ، أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، ط١ ،١٩٨٩: ١٠٨.
(٣) بنية الخبر في كتاب الفصوص للصاعد البغدادي: ٦٢.
(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ابو الحسن حازم القرطاجني ،ت ،محمد حبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ،ط٣، ١٩٨٦: ٢٨٥.
(٥) قاموس السرديات ،جيرالد برنس ،ترجمة السيد إمام، ميريت للنشر و الطباعة، القاهرة،ط١، ٢٠٠٣: ٥٨.
(٦) ينظر :معجم مصطلحات نقد الرواية: ٣٣.

المقفلة هي أقرب للمتلقي من الخاتمة المفتوحة ،فهي تجيب عن كل الأسئلة لدى المتلقي وتدخل الطمأنينة إلى قلبه أما الخاتمة المفتوحة فمشرعة على احتمالات متعددة[١] .

ولدراسة الخاتمة أهمية كبيرة في الأدب "فهي تملك باستجابتها لطبيعة التكوين الداخلي أن تكشف جانبا مهما من جوانب بناء النص وتضيء قابليته على منح وحداته من التلازم و الانسجام مما يكشف سمة سردية من سماته "[٢] ،وهي تحظى بموقع حاسم في النص بحيث غدا هذا الموقع النصي يحظى باهتمام متزايد من قبل الدارسين، شأنه في ذلك شأن البداية الروائية، فالعمل قبل كل شيء هو وحدة عضوية تستلزم ترتيبا افتراضيا يحتوي على بداية ونهاية[٣].

ومما سبق يتبين لنا أن للخواتيم أهمية كبيرة في الادب العربي سواء أكان ذلك في الشعر أم النثر، وإن الاستغناء عنها يجعل النص مفتقرا إلى البناء الفني ، و بالنتيجة تختل الفكرة أو الموضوع المراد طرحه فتكون الفكرة مجتزئة، فالنصوص هي أشبه بالبنيان المرصوص متكونة من مقدمة و وسط و خاتمة، و أي اختلال يحصل في هذه الأجزاء يختل البناء كله .

ونجد تنوعا في خواتيم أخبار كتاب البخلاء، وهذا الأمر يدل على شيء واحد وهو مدى سعة إطلاع السارد وثقافته، فهو هدف إلى جعل أخباره تحتوي على مزيج من الفنون الأدبية الموظفة جميعا في غرض خدمة النصوص التي أوردها، ومن الأمثلة على تنوع الخواتيم **الاختتام بآية قرآنية:** فقد ورد ذلك في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ومنه هذا الخبر إذ يقول: **(أخبرنا أبو الحسن علي بْن القاسم بْن الحسن الشاهد بالبصرة، قَالَ أنبأنا أبو بكر مُحَمَّد بْن يحيى الصولي، قَالَ: أنبأنا أبو العيناء مُحَمَّد بْن القاسم، قَالَ: قَالَ الفضل بْن سهل: " رأيت جملة البخل سوء الظن باللَّه عز وجل، وجملة السخاء حسن الظن باللَّه عز وجل، قَالَ اللَّه تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾)**[٤].

---

(١) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية: ٨٦.
(٢) سرد الأمثال: ٦٧.
(٣) ينظر: البداية و النهاية في الرواية العربية: ٢٣٠.
(٤) البخلاء: ١٩٠-١٩١، سورة البقرة: الآية ٢٦٨ ،سورة سبأ الآية: ٣٩.

إن الخبر يتضمن مسألة عقدية و هي إن البخيل سيء الظن بالله سبحانه وتعالى ،لا يؤمن برزقه إذا انفق مما اعطاه الله تعالى ومنَّ به عليه ومما يعضد هذه المسألة التي طرحها الفضل بن سهل قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : ((البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود))[1]، ومن يسيء الظن بالله تعالى سخط عليه و غضب يقول الله تعالى : ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [2]، إن الفضل بن سهل أراد ان يكشف لنا في الخبر أن البخيل من أساء الظن بالله تعالى ووثق بالشيطان ، فالبخيل يثق بالشيطان حينما يعده بالفقر و لا يثق بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فقد وظفت الآية القرآنية توظيفا حجاجياً قدمت حكما و شاهدا على كلامه، كما جاءت الآية بمثابة الإعلان عن إغلاق الخبر بعد توثيقه و إعطاء الحجية له .

ومن نماذج هذه الخاتمة ما ورد في الخبر الآتي يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا ابن رزقويه ، حدثنا أحمد بن المغلس الحماني ،حدثنا مليح بن وكيع، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا حنيفة يقول وقد ذكر عنده ذم البخيل و اسقاط شهادته : من أين قلت ؟ فقال: سمعت عطاء بن رباح يقول قال علي بن ابي طالب: و الله ما استقصى كريمٌ قط قال تعالى : ﴿عَرَّفَ بَعضَهُ وَ أَعْرَضَ عَن بَعض ﴾)** [3].

إن الخبر هنا منقول عن أبي حنيفة النعمان فهو لا يعدل بخيلاً، أي أنه لا يرى البخيل عدلاً شهادته مقبولة يقول أبو حنيفة: (لا أرى أن أعدِل بخيلاً .فقيل له: وكيف ؟ قال: يحمله البخل على التقصي فيأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة)[4]، ونرى حينما سأل الجمهور أبا حنيفة على أي أساس استند في حكمه بقولهم (من أين قلت) رد بأنه سمع من عطاء بن رباح يقول : قال علي ابن ابي طالب ...الخ و يقصد بالمستقصي هو الذي يشغل نفسه بالتقصي و البحث عن كل شيء يعرض له سواء كان التقصي عن الأشخاص و أحوالهم أو ما يفعلوه أو ما يقولوه ،حتى إذا سمع جوابا شافيا شكك فيه، لذلك نجد إن القرآن

([1]) ميزان الحكمة ،محمد الريشهري ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، قم ، ط١ ،١٤٢٢ هـ: ٣١٢/١.
([2]) سورة الفتح ،الآية ٦.
([3]) البخلاء:٦١، سورة التحريم، الآية ٣.
([4]) نفسه ،الصفحة نفسها.

الكريم حثنا على عدم ،إرهاق انفسنا بالتقصي عن خصوصيات الآخرين إذ يقول تعالى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [1].

و نجد أن أبا حنيفة النعمان قد اختتم الخبر بقول الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعض﴾ وقصة هذه الآية معروفة إذ تدور حول ما حصل بين النبي و زوجاته .

إن اختتام الخبر بهذه الآية اختزلت المعنى الذي أراد السارد إيصاله، وهو من صفات المؤمن الكريم عدم التعقيب و التمحيص عن أمور قد تحرج و تجرح الغير، و الاكتفاء بالمطلع الذي يغني عن التابع ما لم يكن هنالك أهمية و مصلحة في ذلك، وإن أبا حنيفة قد استند في عدم جواز شهادة البخيل على القرآن الكريم فاطلق الحكم من خلال تأويله للآية وفهمه للنص، و قد وظفت الخاتمة توظيفا حجاجيا على من سأله (من أين قلت ؟) إذ وضح لهم من خلال الآية الواردة في النص إن الكريم لا يتقصى عن الأمور وأن الرسول (ص) هو أكرم الخلق قد ترك التقصي بدليل الآية فقد وظفت الخاتمة توظيفا حجاجيا و توضيحيا في الوقت نفسه .

الاختتام بالحديث النبوي الشريف: إن الاختتام بالاحاديث النبوية الشريفة تعطي للخبر قوة و تكسبه حجة و مصداقية فهي تعد من الوسائل المهمة للإقناع و الرد على الآخرين و لا يفرق الحديث النبوي عن الآيات القرآنية من حيث الحجية لان النبي (ص) منزه من الله تعالى و كلامه فوق كلام البشر إذ يقول تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2] ففي هذه الآية دلالة عظيمة على إن السنة النبوية و احاديث النبي كالقرآن الكريم.

فالاختتام بالآيات القرآنية الكريمة و الاحاديث النبوية الشريفة يبين لنا مدى تأثر السارد بكلام الله (عز وجل) والسنة النبوية و فهو بإيراده للآيات القرآنية الكريمة، و الأحاديث النبوية الشريفة يحاول التأثير في المتلقي دون الحاجة إلى الاسهاب في الشرح أو الإقناع، فهو يغترف من معين لا ينضب و يتخطى النص بذلك حدود المكان و الزمن و يتوجه الكلام لعامة الناس للأخذ به أو الاعتبار منه.

([1]) سورة المائدة ،الآية ١٠١.
([2]) سورة النجم ،الآية ٣-٤.

ومن النماذج هذا النوع من الخواتيم في كتاب البخلاء قول الخطيب البغدادي: **(أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ هِلالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارُ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ طَلِيقٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ الْعَلاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا فَبَكَتْهُ بَاكِيَةٌ، فَقَالَتْ: وَاشَهِيدَاهْ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ؟ فَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخَلُ بِمَا لا يَنْقُصُهُ»)**[1].

إن الخطيب البغدادي قد اختتم هذا الخبر بحديث للرسول (ص)، و الحديث أعطى للنص بعدا آخر، فالباكية كانت تبكي مقتولا ظناً منها بأنه شهيد، ولكن الرسول(ص) أراد أن يوصل للمتلقي أن الإسلام ينقص حينما يتكلم المرء فيما لا يعنيه و يبخل بما لا ينقصه ، و لفظة (لا ينقصه) قد أعطت شرطا للبخل وهو إذا لم يعط الفرد شيئا لأن العطاء ينقصه لا يعدّ بخيلا، إن الخاتمة هذه قد شكلت اختصارا وتلخيصا للخبر، فقد أورد الخطيب البغدادي هذا الخبر لحث الناس على عدم التكلم فيما لا يعنيهم و عدم البخل فيما لا ينقصهم، وقد جاءت الخاتمة هذه لتضيف تشريعا للناس .

وعلى نحوه هذا الخبر **(أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَزَّازُ بِالْبَصْرَةِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْفَسَوِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَان، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ خيبر اذ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فوالذي نفسي بيده لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونَنِي بَخِيلا، وَلا كَذُوبًا، وَلا جَبَانًا »)**[2].

([1]) البخلاء: ٢٨،ينظر: مسند أبي يعلى الموصلي ،للإمام الحافظ أحمد بن علي بن مثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، سوريا ، دمشق،ط١ ،١٩٨٧: ٥٢٢/١١-٥٢٣.

([2]) نفسه: ٣٠-٣١، ينظر: صحيح بخاري ،للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير ،دمشق .ط١، ٢٠٠٢: ٦٩٨، رقم الحديث ١٨٢١.

فالخبر هنا يحكي حادثة انتهاء غزوة حنين حينما كان الرسول (ص) يسير مع الناس وتعلق بعضهم و التفوا حوله يسألونه و يطلبون منه الغنائم حتى اضطروه إلى سمرة و "السمرة شجرة لها شوك"[1] فعلق رداء النبي (ص)بالشجرة فوقف النبي(ص) وقال ((أعطوني ردائي...الخ)) وبهذه الخاتمة وضح النبي (ص) لمن لا يعرفه ممن دخلوا الإسلام حديثا وشاركوا معه في الغزوة إنه لو كان يمتلك عدد العضاة من الأنعام و الأبل لقسمه بينهم و ما اذخر شيئا لنفسه، و ينفي الرسول (ص) عن نفسه الخصال الذميمة وهي البخل و الكذب و الجبن و هي خصال متلازمة وضدها الكرم و الصدق و الشجاعة ، إن اختتام الخبر بحديث النبي جاء بمثابة التوثيق للحادثة وتعريف الناس بخصال النبي (ص) وذم البخل و الكذب و الجبن، ونجد أن الحديث له ارتباط بالنص ولم يكن مقحما دخيلا على النص بل جاء ضمن عضوية سردية ولو لم يكن موجودا لكان لما اكتمل الخبر وكان الكلام ناقص المعنى.

ويمكن أن نسوق لهذا الخبر مثالا آخر على ما ذكرناه إذ يقول الخطيب البغدادي: (**أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيِّ بْنِ عُثْمَانَ الأَزْدِيُّ الْمِصْرِيُّ بِدِمَشْقَ، أَنْبَأَنَا الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَلَبِيُّ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ الْوَزَّانُ بِحَلَبَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزَّانُ، حَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ سُلَيْمانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِشْرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَعَانَا فِي شَيْءٍ، فَأَعَانَهُمَا بِدِينَارَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ فُلانًا، وَفُلانًا خَرَجَا مِنْ عِنْدِكَ، فَإِذَا هُمَا يُثْنِيَانِ خَيْرًا. قَالَ: لَكِنَّ فُلانًا مَا يَقُولُ ذَاكَ، وَقَدْ أَعَنْتُهُ مَا بَيْنَ عَشَرَةٍ إِلَى مِائَةٍ، فَمَا يَقُولُ ذَاكَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ يَخْرُجُ بِصَدَقَتِهِ مِنْ عِنْدِي مُتَأَبِّطُهَا، وَإِنَّمَا هِيَ لَهُ نَارٌ ".فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْطِيهِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهَا لَهُ نَارٌ؟ قَالَ: «فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبَوْنَ إِلا أَنْ يَسْأَلُونِي، وَيَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلَ»)**[2].

جاءت خاتمة الخبر هذا بمثابة الجواب على التعليل حينما سُئل الرسول(ص) (كيف تعطيه و قد علمت أنها نار) فأهمية الحديث هنا توضيح النبي لهذه المسألة، وهي الإشارة إلى التعفف عما في أيدي الناس و عدم سؤالهم ممن لديه ما يكفيه وعنده ما يغنيه لأنه سيعاقب عليها يوم

([1]) لسان العرب،(مادة سمر).

([2]) البخلاء : ٣٢، ينظر :المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان: ١٠٩/١ رقم الحديث ١٤٣.

القيامة، فقد وضح الرسول الكريم (ص)أن المال الذي يعطيه لمن لا يحتاجه هو بسبب إلحاحه بالمسألة، وأن الله تعالى يأبى أن يتهم الرسول بالبخل من قبل المنافقين، فكانت الخاتمة بيانا لذلك ولولا وجود هذه الخاتمة لأشكل المنافقون على الرسول (ص) في هذه المسألة، و بقيت غامضة تحتاج إلى تفسير فجاءت الخاتمة هنا توضح و تفسر عمل الرسول .

وعلى نحوه هذا الخبر يقول الخطيب: (**أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَهْدِيٍّ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادُ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَنِي سَلِمَةَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ! مَنْ سَيِّدُكُمْ؟» قَالُوا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّنَا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمُ الأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»**)[1].

جاءت خاتمة الخبر تصحيحا من النبي (ص) للمفاهيم الاجتماعية الخاطئة للناس، وذلك ليس من المعقول أن يكون سيد القوم مصابا بداء البخل فمن الممكن أن يتأثر بعض أفراد القبيلة بخصال سيدهم الذميمة إذ يقول سبط بن التعاويذي:

"إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقصُ"[2]

فلما عرف الرسول (ص) إن سيدهم فيه بخل قال و (و أي داء أدوى من البخل)، بمعنى أي شيء أقبح من هذه الخصلة الذميمة فمن كان لديه هذه الخصلة يمنع حقوق الله ويسيء معاملة الآخرين فاختار لهم النبي (ص) سيداً آخر .

إن خاتمة الخبر جاءت لتحجيم مسألة البخل و منع انتشار هذه الآفة، و فيها توجيه لسلوك المجتمع، إذ أن النبي لو لم يصحح مسار المجتمع لظن البعض إن البخل أمر طبيعي، فالخاتمة هنا بينت موقف نبي من هذه الخصلة و بكل صراحة وصرامة.

الاختتام بأسلوب الدعاء: نجد إلى جانب الوصايا اختتام الخطيب لبعض أخباره بأسلوب الدعاء، ومنه هذا الخبر **(وقلت ممن شهر بالبخل من المتقدمين أبو الاسود الدؤلي، فأخبرني أبو**

([1]) البخلاء:٣٨، ينظر :الأدب المفرد، لابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ: ٨٣ رقم الحديث ٢٩٦.

([2]) ديوان سبط بن التعاويذي ،اعتنى به وصححه د.س. مرجليوث ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩٠٣: ٢٤٧.

الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد الدمشقي بها، أخبرني جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان السلمي ،حدثنا محمد بن جعفر السامري، حدثنا يموت بن المزرع، حدثنا عيسى ، حدثنا أبو زيد الأنصاري، قال : وقف أعرابي بأبي الأسود الدؤلي وهو على دكان له على باب داره يأكل تمراً فقال له : أصلحك الله : شيخ هم غابر ماضين ،و وافد محتاجين، أكله الدهر و أذله الفقر، فناوله أبو الأسود تمرة ، فرمى بها الأعرابي في وجهه ثم قال له: جعلها الله حظك من حظك عنده، و الجأك اليَّ كما ألجاني إليك ليبلوك بي كما بلاني بك)[1].

قد وظف السارد الدعاء في هذا الخبر للكشف عما يجول في خاطر الأعرابي بعد اساءة أبي الأسود الدؤلي له، فهو لم يعطه ما يكفيه من التمر ليسد به جوعه، و قد بين الأعرابي في بدء الكلام حاله لأبي الأسود، فكان جديرا بأبي الأسود أن يحسن له، ولاسيما أن الأعرابي شيخ كبير وفقير في الوقت نفسه، ولكن أثار أبو الاسود الدؤلي بفعلته هذه سخط الاعرابي، فدعا عليه بأن يكون حظ أبي الاسود بحجم التمرة لمن كان حظه عنده، وأن يبتلى بما ابتلى به، ونجد إن أسلوب الدعاء قد دخل في بناء الخبر بشكل فاعل، فجاء كنهاية متوقعة لردة فعل الأعرابي حيث تنامت أحداث الخبر و وصلت إلى ذروتها حينما أعطى أبو الاسود الدؤلي تمرة واحدة للأعرابي، ومن ثم بدأت الأحداث تهبط تدريجيا حتى وصلت إلى الخاتمة، إذ بفن الدعاء أعلن السارد نهاية الخبر.

ومن الأخبار التي اختتمت بأسلوب الدعاء هذا الخبر أيضا يقول الخطيب: **(أخبرني الحسن بن أبي بكر ،أخبرني أبي ، أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي حدثنا سليمان بن الربيع قال : سمعت كادح بن رحمة النهدي، عن سليمان الفارسي قال :إذا مات السخي المعسر قالت الأرض و الحفظة: ربِّ تجاوز عن عبدك لسخائه في الدنيا و استخفافه بها ،و إذا مات البخيل قالتْ: اللهم احجب هذا عن الجنة الدائمة كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا)**[2].

([1]) البخلاء: ١٤٩-١٥٠.
([2]) نفسه: ٥٦-٥٧.

و نلاحظ إن الخبر كله عبارة عن دعاء الأرض للسخي بالخير، ودعاء الأرض على البخيل بالحجب عن الجنة و نعيمها لأنه كان يحجب ما بين يديه من رزق الله تعالى عن الناس المحتاجين .

الخواتيم الشعرية: إن المتتبع لأخبار كتاب البخلاء يجد أن بعض الحالات يختتم الخطيب البغدادي الخبر في تبيّن ما يورد من الأخبار و الأشعار و صحة نسبتها إلى قائليها اذ يقول في أحد أخباره: **(قرأت على الجوهري، عن أبي عبيد اللَّه المرزباني، قَالَ: أخبرني علي بْن عبد اللَّه الفارسي، عن أَحْمَد بْن منصور المروذي، قَالَ: قَالَ لي الجاحظ وأنا أقرأ عليه كتابه في البخلاء، وتذاكرنا ما دقق الشعراء فيه من ذم البخل لا أعرف شيئا أبلغ في الهجاء بالبخل من قول أبي الشمقمق، {من الوافر}:**

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب

وقوله، {من البسيط }:

الحابس الروث في أعفاج بغلته خوفا على الحب من لقط العصافير

" قلت: أما البيت الأول فلم يسم لنا المهجو به، وقبله بيت هو، من الوافر:

شرابك في السحاب إذا عطشنا وخبزك عند مقتطع التراب

وبعده: وما روحتنا. . . . . وأما البيت الثاني فالمهجو به أوفى بْن نوفل، وقبله بيت هو، {من البسيط}:

ما كنت أحسب أنّ الخبز فاكهة حتى نزلت على أوفى بْن خنزير

وقد روي هذا الشعر لغير أبي الشمقمق)[1]

إن الخطيب البغدادي هنا قد اختتم الخبر بجملة (قد روي الشعر لغير أبي الشمقمق) ليؤكد للمتلقي أن البيت منسوب لأكثر من شاعر وإن كان الجاحظ قد نسبه لأبي المشقمق، فلعل

(1) البخلاء: ١٠٤-١٠٥،و الأبيات لأبي الشمقمق ينظر: ديوانه، تحقيق: واضح محمد الصمد ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٩٥: ٢٩-٤٥ باختلاف الشطر الثاني (حتى نزلت على أرض ابن منصور).

الخطيب البغدادي قد لقاه في مصادر أخرى لم تكن متوفرة لدى الجاحظ ، و إن خاتمة هذا الخبر تبين للمتلقي مسائل: أهمها مدى اطلاع الخطيب البغدادي وسعة علمه، و المسألة الأخرى مدى حرصه و أمانته في نقل ما يورد، فهو لم يغير كلام الجاحظ وإنما أضاف ملاحظة على ما أورد بأن الشعر منسوب لغير أبي الشمقمق، أما المسألة الأخيرة فهو إخلاء مسؤوليته عما أورده الجاحظ، وإعطاء إشارة للمتلقي من أجل التحري والتقصي عن نسبة الأبيات ومن قالها، فهو بهذه الخاتمة لم يكن يريد أن تكون الأبيات موثقة في كتابه لأبي الشمقمق، وأن يعتمد من يأتي بعده على ما نقله عن الجاحظ.

وكانت للخاتمة الشعرية الخالصة حضور في الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي ومنها قوله: **(قرأت على الجوهري ،عن المرزباني قال: حدثني أحمد بن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء محمد بن القاسم اليمامي قال :كان مروان بن أبي حفصة من أبخل الناس ،خرج يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله : ما لي عليك إن رجعت بالجائزة ؟ قال : إن اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما . فأعطى ستين ألفاً فدفع إليها اربعة دوانيق.**

وكان قد اشترى يوما لحما بدرهم، فدعاه صديق له ،فرد اللحم على القصاب بنقصان دانق و قال: أكره الإسراف، و هجاه بعض الشعراء فقال{من الطويل} :

وليس لمروان على العرس غيرةٌ ولكن مروان يغار على القدر)[1].

يختتم السارد هنا الخبر ببيت فيه خلاصة ما تقدم، إذ وصف الشاعر مروان بعدم غيرته على زوجه كغيرته على الطعام وهذا البيت يحمل مفارقة في السجايا و الخصال، فالغيرة على الزوجة من شيم الرجال وهي خصلة حميدة، أما أخذ الحمية على الطعام و البخل فهي من الخصال المذمومة المنبوذة، وقد أبدل الشاعر السجية الحميدة بالمذمومة مبالغة منه في الهجاء و السخرية و قد أختتم السارد خبره بهذا البيت تعضيدا لما ذكر.

ومنه قوله: **(أخبرنا ابو الحسن علي بن أيوب القمي ، أنبانا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، انبأنا أبو بكر محمد بن دريد ، انبأنا ابو الحاتم قال : كتب أحمد بن يوسف القاسم بن صبيح إلى سعيد بن سلم : لولا إن الله ختم نبوته بمحمد (ص)، وكتبه بالقرآن**

([1]) البخلاء: ٨٢.

لأنبعث فيكم نبي نقمة، و أنزل فيكم قرآن غدر، وما عسيت أن أقول في قوم محاسنهم مساوئ السفلة، ومساوئهم فضائح الأمم، و ألسنتهم معقولة بالعي و أيديهم معقودة بالبخل، و أعراضهم أغراض للذم، فهم كما قال الشاعر {من البسيط} :

لا يكثرون و إن طالت حياتهم ولا تبيد مخازيهم و إن بادوا)[1].

إن هذه الخاتمة الشعرية هي بمثابة الوصف للكلام الذي تقدم، فمحاسن الفرد تذكر على مدى الدهر وإن فنى و مساوئه أيضا تبقى وتذكر وإن أبلى عليه الزمن .

خواتيم أخرى: حيث نجد بعض خواتيم الأخبار تنتهي بالحكمة و النصيحة إذ يقول الخطيب البغدادي : **(أخبرني أبو محمد يحيى بن الحسن بن علي بن المنذر القاضي ، أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن سعيد بن سويد المعدل ، أنبأنا محمد بن الحسن بن دريد، أنبأنا عبد الرحمن يعني: ابن أخي الأصمعي ، عن عمه قال : سمعت أعرابيا يقول : الحسد ماحق للحسنات ، و الزهو جالب لمقت الله عز وجل ومقت الصالحين ، و العُجب صارفٌ عن الازدياد من العلم ، داعٍ إلى التحمطّ والجهل ، و البخل أسوء الأخلاق و أجلبها لسوء الأحدوثة)**[2].

إذ نلاحظ هنا أن أغلب الجمل التي وردت في الخبر هي عبارة عن حكم، وتصلح أن تكون نصيحة فعلى سبيل المثال قوله : (الحسد جالب لمقت الله...الخ) هي جملة ذات دلالات عظيمة يمكن نصح الأفراد بها للابتعاد عن الحسد وتجنبه، و ينتهي الخبر بجملة (البخل أسوء الأخلاق ...الخ) إذ أختتم السارد خبره بها، وهي أيضا جملة فيها معان جلية تنصح الناس بالابتعاد عن البخل وتجنبه .

ومنها أيضا هذا الخبر (**أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي ، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ، حدثنا أبو بكر بن أبي الثلج الكاتب ، حدثنا علي بن عبدة ،حدثنا الأصمعي ، عن المبارك بن سعيد أبن أخي سفيان الثوري ، عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت شيخا أدرك الناس وهو يقول : ثلاث هن أحسن شيء فيمن كن فيه نصيب لغير دنيا . وجود لغير ثواب ، وتواضع في غير ذل، وخمس هن أقبح شيء فيمن كن**

([1]) البخلاء: ١٠١-١٠٢/والبيت الشعري للطرماح بن حكيم ينظر :ديوانه ،تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤: ١٢٩.
([2]) نفسه: ٥٧-٥٨.

فيه الحرص في العالم، والفسق في الشيخ، والبخل في الغني، والكذب في ذي الحسب، والحدة في السلطان)[1].

إن هذا الخبر مختوم بالحكمة و النصح، إذ إن الشيخ قد أدرك الناس يخبرهم عما أكتسبه من الحكمة بفضل تجاربه و رشده، فابتدأ خبره بالخصال المحمودة التي يجب أن يقتدي ويتصف الناس بها، و ينتهي خبره بحكمة الابتعاد عن الخصال المذمومة المنبوذة التي تسيء إلى صاحبها و يجب الحد من انتشارها بين الناس .

وأحيانا أن الخطيب البغدادي يختتم أخباره بفن الوصايا ومنه هذا الخبر إذ يقول: **(قال عمر: وحدثني عبد الرحمن بن حبيب الحارثي قال : أنبأنا محمد بن سلام الجمحي، قال : قال يزيد بن عمير لبنيه : يا بني! اعلموا أنه يكون عند أحدكم مائة الف أعظم له من صدور بني تميم، و أعظم شرفا من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال :لأحدكم شحيح وهو غني، خيرٌ من أن يقال: سخيٌ وهو قد افتقر ،و لأن يقال: لأحدكم جبان وهو حي خيرٌ من أن يقال :شجاع وقد قتل ،وتعلموا الردَّ، فوالله لهو أشد من الإعطاء)**[2].

إن هذه الخاتمة جاءت كنوع من الوصية التي يوصي بها الأب ابناءه، ولكن مثل هذه الوصايا لا يؤخذ بها، لأن الأب يحث ابناءه على التقتير و الشح و رد السائل و الفرار بدل المواجهة، و لعل الخطيب البغدادي قد أورد هذه الوصية من أجل التعريف بشخصية(يزيد بن عمير)و إثبات البخل و الجبن عليه، و هذا الخبر يحتوي على الطرفة أكثر من الجدة ، فكيف لرجل عاقل أن يوصي بنيه أن تكون لهم مثل هكذا خصال مذمومة في الدين و العرف و المجتمع .

ونلاحظ بعض الأخبار تنتهي بخواتيم مفتوحة، فمن الخواتيم المفتوحة التي وردت في كتاب البخلاء هذا الخبر يقول الخطيب البغدادي : **(أخبرنا علي بن محمد بن عبدالله المعدل ، أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الحوزي ، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن بنان ، عن الشعبي ، قال: ما أدري أيهما أغور في النار الكذب أو البخل؟)**[3].

([1]) البخلاء: ٥٧.
([2]) نفسه: ١٩٠.
([3]) نفسه: ٥٧.

إذ نلاحظ انتهاء الخبر بالاستفهام الذي يفتح الأفق لدى المتلقي أو القارئ ليرد هو على الجواب إذ أن السارد هنا لم يختتم خبره بخاتمة مغلقة لا تترك للمتلقي مجالا للتأويل أو الاستنتاج بل جاءت الخاتمة هنا مفتوحة للمتلقي تفتح فكره على مصراعيه شاحذة عقله ليجيب عن السؤال كيفما يشتهي تاركة له خيار التأويل مستفيدا من ثقافته و اطلاعه، إذ كلما كان القارئ مثقفا متمرسا في القراءة و الاطلاع استطاع أن يستنتج بسهولة ودقة ما لم يرد أن يقوله المؤلف أو السارد في الخبر، واستطاع أيضا إكمال الجانب غير المكتوب حسب رؤيته .

ومن الخواتيم الأخرى الواردة في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هي الخاتمة بالنتيجة الطبيعية، إذ تنتهي بانتهاء الخبر من دون أن يلونها بآية قرآنية، أو حديث، أو شعر، ويُختتم الخبر من النسيج الخبري نفسه ومنه قول الخطيب: **(أخبرنا ابو يعلي أحمد بن عبد الواحد الوكيل ، أنبأنا اسماعيل بن سعيد المعدل ،حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا المبرد ، قال : قيل لأبي الحارث جمين : تغديت عند فلان ؟ قال لا و لكنني مررت ببابه وهو يتغدى . قيل وكيف علمت ذلك ؟ قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء)**[1].

نلاحظ هنا أن الخبر قد أختتم من النسيج الخبري، نفسه من دون إضفاء اقتباس من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر، فقد ابتدأ الخبر بسؤال أبي الحارث جمين، و أنتهى بجوابه وما رآه ، وأراد السارد بهذه الخاتمة أن يبين شدة بخل من مر به أبو الحارث جمين، إذ تفسير ما قال أن الرجل يأمر بخروج غلمانه من الدار حينما يأكل من شدة بخله، فهو لا يحب أن يشاركه أحدٌ طعامه وبهذا قد أختتم السارد خبره دون إضفاء.

ومنها هذا الخبر أيضا **(أخبرنا أبو محمود بن عمر بن جعفر العبكري ،قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن الفرج بن أبي روح قال : حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثنا أبو محمد المقري ، قال : قيل لبعض الحكماء أكتسب فلانٌ مالاً. قال أكتسب أياماً يأكله فيها؟ قيل ومن يقدر على ذلك ؟ قال فما أراه أكتسب شيئاً)**[2] .

إذ إن الخبر ابتدأ بإخبار الحكيم أن أحد الأشخاص قد اكتسب مالاً، فرد عليهم الحكيم مهما أكتسب وبلغ ماله فهل لديه الوقت الكافي ليصرف هذا المال، أو هل يستطيع بهذا المال أن

([1]) البخلاء: ٩٧.
([2]) نفسه: ١٩٣.

يكتسب عمرا اضافيا، فكان الجواب (لا) فقال: الحكيم إنه لم يكسب شيئا إذا، إن جواب الحكيم وضح إن المال لا يستطيع إن يضيف إلى الأشخاص عمراً، و جاءت الخاتمة من نسيج الخبر، ولم تترك للمتلقي مساحة لتأويل الخاتمة، فهي جاءت مغلقة تنتهي بقول الحكيم وإبداء رأيه فيما قيل له، فكان جوابه صارما متوخيا فيه المجاملات.

وعلى نحوه هذا الخبر(**أخبرنا أبو القاسم الأزهري، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حميد الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد الحكيم، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يونس، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حبيب، قَالَ: لقي أبو العتاهية العباس بْن مُحَمَّد، فقال: جعلني اللَّه فداك، تسمع مني؟ قَالَ: هات، فأنشده، {من الكامل}:**

إن المكارم لم تزل معــقولة حتى حللت براحتيك عــقالها

لو قيل للعباس يا ابن مُحَمَّد قل لا وأنت مخـــلد ما قالها

فدخل ووجه إليه بدينارين، فقال أبو العتاهية للخادم: انتظر حتى أكتب جواب ما جئت به، فأخذ رقعة وكتب فيها، {من الوافر}:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت

فهبها مدحة ذهبت ضـــياعا كذبت عليك فيـــها واعتديت

ورد الدينارين، فغضب العباس بْن مُحَمَّد من ذلك، وطلبه ليقتله، فلم يقدر عليه)[1] .

قد جاءت خاتمة هذا الخبر من جنس الخبر نفسه، و إن كان للتداخل الأجناسي دور في إتمام الخبر، ولكن بقيت الخاتمة محافظة على مركزيتها في إنهاء الخبر، إذ ابتدأ السارد الخبر بقصة دخول أبي العتاهية على العباس و إنشاده لأبيات يمدحه فيها، فلما أساء العباس لأبي العتاهية بقلة عطاءه سخط عليه أبو العتاهية وهجاه، مما أثار حفيظة العباس وطلب قتله، فكانت الخاتمة هي التي أغلقت الخبر وأعلنت نهايته.

ونجد أن خواتيم كتاب البخلاء للخطيب البغدادي متنوعة وإن كان التنوع فيها محدودا، ولكن لا يخلو الكتاب من التنوع ما بين خاتمة تحتوي على آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو خاتمة شعرية

([1]) البخلاء: ١٣٢.

ولكن ما يطغي على كتاب البخلاء الخواتيم التي تنتهي بانتهاء الخبر، وهي أصعب الخواتيم من ناحية حسن تخلصها، فالاختتام بالقران الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر يعطي إشارة للمتلقي بأن الكلام قد وصل إلى ذروته و أنتهى، و غالبا لا تولّد سخطا لدى المتلقي، على عكس الاختتام بالنتيجة الطبيعية للخبر فغالبا هي لا ترضي المتلقي إذا لم يمتلك المؤلف براعة في حسن تخلصه واختتامه للخبر، أما الاختتام بالقرآن أو الحديث فلعل المؤلف يريد أن يقوي الخبر و ذلك بإسناده إلى نص ديني لا يجادل فيه و لا يختلف عليه أحد، ونجد أن الخطيب البغدادي لم يتأثر بنزعته الدينية في هذه المسألة فلم يعمد إلى أن تنتهي جميع أخباره بنصوص دينية، بل على العكس فأغلب الأخبار في كتاب البخلاء انتهت بالنهاية الطبيعة للخبر، و الأخبار التي تنتهي بالنهاية الشعرية أكثر من الأخبار التي تنتهي بالنصوص الدينية ، فهو أراد أن يكون كتابه أدبيا بحتا فيه بعص اللمسات الدينية التي تناسب موضوع البخل و البخلاء.

ومما تقدم يمكن القول إن العناية بالخواتيم قد شكلت بنية مهمة من بناء الخبر في كتاب البخلاء، فقد تنوعت لديه الخواتيم حرصا منه على عدم التكرار الذي يسبب الملل و الضجر للمتلقي، و إن هذا التداخل بين الفنون الأدبية تلفت نظر المتلقي و تطرد السؤم عنه و تبين له مدى ترابط هذه النصوص من دون الشعور بأنها قد أقحمت على النص، بل على العكس تماما فهي جاءت من ضمن الوحدة العضوية للخبر، و اكسبت الآيات و الأحاديث و الأشعار النصوص الواردة نوعا من التعضيد و التوثيق، وزادت بالتأثير في المتلقي، فنجد الخطيب البغدادي ينتقل و يتنوع في الخواتيم دون تعثر حركة النص الخبري لغرض تأدية وظيفة أخرى.

إن هذا التنوع عكس لنا مدى براعة الخطيب البغدادي في إلحام هذه النصوص و تذويبها ضمن النسيج الخبري وحسن تخلصه في الخواتيم المفتوحة ، وأيضا برهنت على سعة ثقافته واطلاعه، وعكست لنا بيئة الخطيب البغدادي الثقافية التي كانت تتأثر بهذا التداخل والتنوع في النصوص.

الفصل الثاني

(ملامح السرد)

المبحث الأول: الشخصيات

المبحث الثاني: الأحداث

المبحث الثالث: الزمان والمكان

المبحث الأول

الشخصيات

تعد الشخصيات إحدى المكونات الأساسية في الخبر السردي إذ لا يمكن للخبر أن يتطور أو يستقيم من دونها ،فللشخصية دور حيوي في بناء أحداثه وهي دعامة من دعامات المنجز السردي ، إذ نميز من خلالها الأعمال السردية عن أجناس الأدب الأخرى إذ لو ذهبت الشخصية من أي قصة لصنفت ربما في جنس المقالة [١] ،فهي "مرآة قد تنعكس من خلالها تركيبة الإنسان النفسية بما فيها من انفعالات وصراعات داخلية أو علاقاتها الاجتماعية بما تفرزه من سلوك و تصرفات "[٢]، إذ إنها توجه مسار الأحداث من خلال أفعالها و تصرفاتها و كلامها " وترتبط الشخصية ارتباطا وثيقا بعناصر السرد وتؤثر فيها ، حيث "تعطي للقصة بعدها الحكائي ...وهي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الاحداثيات الزمانية و المكانية"[٣]، إن الشخصية تكسب سلوكياتها من البيئة المحيطة بها وتعكس ذلك من خلال تصرفاتها كذلك من ناحية الزمان إذ إن للزمان الذي تعيش فيه الشخصية دورا في تركيب الشخصية، أما من ناحية الحدث فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا به فـ"طبيعة الشخصيات و قدراتها بوجه عام تأتي بالمقدار الذي يتطلبه الحدث "[٤]. و للشخصية دور بارز في صناعة الحوار "حيث إنها هي التي تصطنع اللغة وهي التي تبث أو تستقبل الحوار وهي التي تضطلع المناجاة وهي التي تصف معظم المناظر"[٥]. وهذا يوضح لنا مدى التصاق الشخصية بالسرد القصصي و بقية العناصر السردية ، فالنسيج السردي ينمو ويتقدم بما تقدمه الشخصية من نشاطات في داخل البناء السردي ، وهي أهم مكونات العمل الحكائي لأنها تمثل العنصر الوحيد الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في المجرى الحكائي[٦]، لذلك نجد أن الأحداث تدور حول الشخصية إي للحدث علاقة حول شخصية واحدة تتصل بها

---

(١) ينظر: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،عبدالملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ١٩٩٨: ٩٠.

(٢) السرد عند الجاحظ البخلاء انموذجا، فادية مروان أحمد الونسة، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة الموصل، ٢٠٠٤: ١٣٦.

(٣) بنية الشكل الروائي : ٢٠.

(٤) بناء الرواية ،اوردين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي ،دار الجيل للطباعة،١٩٦٥ :١٦.

(٥) في نظرية الرواية : ٩١.

(٦) ينظر :قال الراوي(البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)،سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط١، ١٩٩٧: ٨٧.

الشخصيات الأخرى والفكرة العامة وقد تتشعب الأفكار في الموضوع و تتعدد فيها الشخصيات و المصائر[١].

إن كل ما يرد في الحكاية "يمكن أن يضيف للشخصية وكل الصفات التي تتعلق بالشخصية تغير من مسار الحكاية وهكذا يجتمع الزمن بالمكان بالشخصية ليشكلوا الحدث"[٢] . اما من ناحية واقعية الشخصية أو خيالها فاختلف النقاد والدراسون في ذلك فمنهم من رأى أن الشخصية حقيقة ماهي إلا انعكاس لأشخاص و واقع المجتمع مع إضافة بعض التغييرات التي يراها السارد مناسبة كتبديل الاسماء و الأماكن وبعض التفاصيل و يضيف أيضا الراوي بعض الصفات التي تناسب الأحداث أو تغير من مجراها فتكسب الشخصية مواطن قوة أو ضعف ، أي إن الشخصية مقلوبة للذين يعيشون في المجتمع وهي صورة دقيقة أو قريبة من الدقة لحقيقة المجتمع و واقعه[٣] ، أما البعض الآخر فيرى أن الشخصية هي من خيال الكاتب و لا تمت للواقع بالصلة إذ يخلقها الكاتب ويرسم الأحداث حولها لكي ينجز العمل السردي ، ويرون "أن الشخصيات في الأساس كائنات ورقية "[٤] ، ويجب أن نميز بين القصص التي تحمل بعدا تاريخيا و فيها أسماء لأناس حقيقيين وأسانيد و شهود على وقوعها وبين القصص الأسطورية والحكايات الشعبية و السير التي يحكيها الحكواتيون فلا يمكن أن تكون الأولى من خيال السارد وذلك لوجود دليل على وقوعها بينما يحتمل في الثانية التلاعب و الاختلاق حسب خيال و قدرة الكاتب الإبداعية على تكوين أحداث و شخصيات مختلفة.

بعد هذا التقديم النظري للشخصيات و أثرها في العمل السردي يحاول الباحث أن يقرأ شخصيات بخلاء البغدادي و أول ملاحظة يمكن أن تسجل هنا بعد استقصاء لشخصيات الكتاب أن الشخصيات كانت من الواقع الاجتماعي على عصور فقد صور لنا الخطيب البغدادي الشخصيات البخيلة في المجتمع العربي بما تحمله من صفات قبيحة و مذمومة وخبث تصويرا فنيا و أدبيا يحمل بعضا من الفكاهة و السخرية ، و أبرز الخطيب البغدادي جوانب من

---

(١) ينظر: في النقد الأدبي الحديث(منطلقات و تطبيقات)،فائق مصطفى ،عبد الرضا علي، مكتبة اللغة العربية، بغداد،ط٣، ٢٠١٤: ١١٥.

(٢)تمثلات العجيب في السيرة(سيرة الملك سيف بن ذي يزن أنموذجا)، صفاء ذياب، دار صفحات ،دمشق ،سورية، ط١، ٢٠١٥: ١٥٦.

(٣)ينظر : في نظرية الرواية : ١٤.

(٤)مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة ،رولان بارت ،ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط١، ١٩٩٣: ٧١.

شخصيات بعض الأناس المعروفين وما يحملونه من سلوكيات وتصرفات غير متوقعة ،إن الأحداث التي تجسدها الشخصية في أخبار البخلاء هي أحداث حقيقية لها أبعاد و واقعية ومرجعيات تاريخية نقلت عن طريق رواة اشتهر أغلبهم بالصدق و الأمانة ، أما من ناحية إبراز الحدث الذي تصنعه هذه الشخصيات فلم يكن الغاية منه إحراج هذه الشخصية بقدر ما كانت الغاية هو لفت انتباه المجتمع لهكذا سلوكيات و تحذيرهم منها وجعلهم على ألا يقتدوا بهكذا نماذج ذات طباع منفرة، حيث ومن خلال كتاب البخلاء برهن المؤلف إلى إن أفعال الشخصية تبقى تذكر و تنتقل من جيل إلى آخر، هذا ما حملته شفرات الكتب التي ألفت حول قضية البخل أو التطفيل حتى وغيرها من الصفات ،فالشخصية تخلد بسيرتها و أفعالها لذلك نجد إن أغلب هؤلاء قد خلدوا بسير و أفعال تسيء لهم لما فيها من لؤم .

طرائق تقديم الشخصية

ويقصد بطرائق تقديم الشخصيات المنهج الذي يصف به السارد الشخصية وصفا دقيقا ، أو ظهور الشخصية من خلال أحداث الرواية أو القصة نفسها[١] ، إن السارد يوظف تقنيات وطرائق يوضح فيها معالم الشخصية للمتلقي ويُعرف القارئ بشخصياته لغرض إزالة الغموض أو الالتباس الذي قد يصيب المتلقي ، وهنالك طريقتان في تقديم الشخصية هما:

١.الطريقة المباشرة: حيث يتولى السارد في هذه الطريقة مهمة الكشف عن شخصياته وتقديمها للمتلقي فيصف أبعادها داخل النص بأسلوب أخباري متدخلا في بلورة سمات الشخصية ورسمها من الخارج شارحا عواطفها و بواعثها و أفكارها و أحاسيسها معقبا على بعض تصرفاتها ومفسرا للبعض الأخر[٢]، ويفيد عرض الشخصيات بهذه الطريقة في مسرحة الصراع في الأحداث وجعله أكثر تأثيرا [٣]، وأيضا تهدف مهمة التقديم إلى الراوي، واستعماله لضمير الغائب في التقديم لا يهدف فقط إلى تنويع نحوي أو لفظي وإنما هو بكل تأكيد موقف جمالي رسخته التقاليد الروائية المتعاقبة، فلهذا التقديم غاية جمالية أيضا[٤]، "إن التقديم وفق هذه الطريقة من شأنه أن يزيل

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات ، مجدي وهبة :٦٥.
(٢) ينظر: فن القصة: ٩٤.
(٣) ينظر :عالم الرواية ،رولان برونوف، ريال أونيليه، ترجمة: فؤاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، ١٩٩١: ١٧١.
(٤) ينظر :بنية الشكل الروائي: ٢٣٣.

الغموض الذي قد يلف الشخصية ويبهمها أمام المسرود له إلا أنه في الوقت نفسه قد تسهم هذه الطريقة في قتل عنصر المتعة التي يجدها القارئ وهو يتعرف إلى الشخصيات من خلالها لا من خلال الراوي"[1] ، ونجد أن السارد في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي قد عمد إلى هذه الطريقة في أكثر من موضع في كتابه ومن الأمثلة على ذلك هذا الخبر**(أخبرنا أبو الحسن علي بْن محمود الزوزني الصوفي، أنبأنا أبو عبد الرحمن مُحَمَّد بْن الحسين النيسابوري فيما أذن لنا أن نرويه عنه، قَالَ: سمعت طاهر بْن عبد اللَّه، يقول: " كان ببغداد أخوان يقال لأحدهما: عقبة، وكان من أجود الناس. ويقال للآخر: عيسى، وكان من أبخل الناس. فقال فيهما ابن بسام الشاعر،{من البسيط}:**

لم يدر ما كرم عيسى فليم كما لم يـــــدر عقبة ما لؤم فلم يـــلم

فزهد عقبة في لا حين نسألـه كزهد عيسى إذا ما سيل في نعم)[2] .

فالسارد هنا قدم لنا شخصيتي الخبر بذكر أسمهما وصفتهما و طبعهما وما قيل فيهما من وصف بطريقة إخبارية لا يحتاج فيها المتلقي إلى تحليل، و زاد في تقديم الشخصيتين من خلال إشارة ابن بسام و وصفه لهما.

وعلى نحوه هذا الخبر **(وقال عمر: حَدَّثَنَا ناجية بْن عبد اللَّه البصري، قَالَ: كان عندنا بالبصرة رجل ميسر، وكان بخيلا على نفسه وعلى عياله، فدعاه بعض جيرانه، فوضع بين يديه طباهجة ببيض، فأكل فأكثر، وجعل يشرب الماء، فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوى، فلما أجهده الأمر، وخاف الموت على نفسه، بعث إلى جار له متطبب، فدخل عليه، فقال: ما حالك؟ قَالَ: أكلت طباهجة ببيض، وشربت ماء كثيرا، وقد نزل بي الموت. فقال: لا بأس عليك، قم فتقيأ ما أكلت وقد برئت .فقال: هاه! أتقيأ طباهجة ببيض؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة ببيض أبدا)**[3] .

([1]) الخبر في كتاب الاغاني ،ضياء غني العبودي، ميادة عبد الأمير العامري، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٣: ١٢٩- ١٣٠.

([2])البخلاء: ٦٨.

([3]) نفسه: ٧١ .

أيضا نلاحظ تقديم السارد لمعلومات عن الشخصية التي دارت حولها أحداث الخبر وهي معلومات كشفت للمسرود له عن مكان الشخصية (كان عندنا بالبصرة) و أيضا عن بعض سجاياه (كان بخيلا على نفسه وعلى عياله) ثم يسرد الخبر الذي يعزز من هذا الوصف وما جرى للشخصية من أحداث جعلت المتلقي يدرك مدى بخل الشخصية ومدى مصداقية السارد في هذا التقديم الذي سبق الأحداث.

وعلى نحوه هذا الخبر **(بلغني أن مُحَمَّد بْن يحيى بْن خالد بْن برمك كان بخيلا قبيح البخل، فسئل نسيب له كان يألفه عنه، وقال له قائل: صف مائدته .فقال: هي فتر في فتر، وصحافه منقورة من حب الخشخاش، وبين نديمه والرغيف نقدة جوزة. قَالَ: فمن يحضره؟ قَالَ: الكرام الكاتبون. قَالَ: أفما يأكل معه أحد؟ قَالَ: بلى! الذباب. فقال: سوأة له! أنت خاص به وثوبك مخرق. فقال: إني واللَّه! ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك مُحَمَّد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوءة إبرا، ثم جاءه جبريل وميكائيل، ومعهما يعقوب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضمنون عنه إبرة، ويسألونه إعارته إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر، ما فعل)**[1] .

إن السارد قد قدم معلومات لشخصية محمد بن يحيى بن خالد بن برمك إذ وصفه في بداية الخبر بأنه يحمل بخلا قبيحا ثم جاء بعد ذلك بشخصية أخرى يوكل إليها مهمة التقديم و الوصف للشخصية التي دار حولها الخبر ولعله أراد بذلك اقناع المتلقي بصدق ما يصف عن طريق جلب سارد آخر يسلط الضوء على الجوانب التي ذكرها في تعريف شخصية محمد .

كما تجلت طريقة الإخبار في هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسن علي بْن أيوب القمي الكاتب، أنبأنا أبو عبيد اللَّه مُحَمَّد بْن عمران بْن موسى المرزباني، أنبأنا ابن دريد، أنبأنا أبو عثمان الأشناني، قَالَ: كان أبو عبيدة، يقول: كان الأصمعي بخيلا، فكان يجمع أحاديث البخلاء ويتحدث بها، ويوصي بها ولده، وكان أبو عبيدة إذا ذكر الأصمعي أنشد {من الكامل}:**

عظم الطعام بعينه فكأنه هو نفسه للآكلين طعام)[2].

([1]) البخلاء: ٧٦-٧٧ .
([2]) نفسه: ٧٨.

إذ قدم السارد لنا وصفا لشخصية الأصمعي بأسلوب مباشر مصرحا بما يحمله من صفة مذمومة وهي البخل ، وأيضا جاء ببيت شعري كي يرسم في ذهن المتلقي صورة أكثر واقعية لهذه الشخصية، والبيت الشعري على لسان رجل لغة ثقة و هو أبو عبيدة بما يؤدي من مصداقية أكثر داخل الخبر.

كما تجلت الطريقة الإخبارية بهذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن المرزباني، قالَ: حدثني أحمد بْن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء، مُحَمَّد بْن القاسم اليمامي، قَالَ: كان مروان بْن أبي حفصة من أبخل الناس، خرج يريد الخليفة المهدي، فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قَالَ: إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما. فأعطي ستين ألفا، فدفع إليها أربعة دوانيق! وكان قد اشترى يوما لحما بدرهم، فدعاه صديق له، فرد اللحم على القصاب بنقصان دانق، وقال: أكره الإسراف. وهجاه بعض الشعراء، فقال {من الطويل}:**

وليس لمروان على العرس غيرة ولكن مروانا يغار على القدر)[1] .

حيث قدم الراوي شخصية الخبر (مروان بن أبي حفصة)عارضا صفاته عرضا مباشرا (كان ...من أبخل الناس..) ويعرض لنا بعدها الأحداث المرتبطة بهذه الشخصية موثقا ما وصفه في بداية الخبر، أي إن هذا التقديم مرتبط بأحداث الخبر غير خارج عنها، و يعد التقديم الإخباري تمهيدا لما سيحمله الخبر

٢. الكشفية: وهي الطريقة التي يتنحى فيها السارد جانبا ،" ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها و تصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها وتعليقاتها على أعمالها" [2]، إن هذا اللون يتيح للشخصية الحرية في التعبير عن نفسها من دون تدخل خارجي من الراوي ويؤدي الحوار الداخلي و الخارجي دورا بارزا في تقديم الشخصية حيث يتم الكشف عن جوانب الشخصية عن طريقه أو عن طريق الحدث ، إن هذه الطريقة تنقل فيها المعلومات من الشخصية نفسها أو إحدى شخصيات الأخرى إلى المتلقي بيحث يزداد عنصر المتعة عند المتلقي حينما يتعرف على الشخصية ويكشف جوانبها وصفاتها بنفسه ، ولكن من المآخذ على هذه الطريقة إنها تبقي على

---

(1) البخلاء : ٨٢.

(2) فن القصة ،محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت ،١٩٩٥ :٩٤.

بعض الغموض في بعض التفاصيل وتبقى مبهمة على المتلقي ومن الأمثلة على هذا النوع في كتاب البخلاء هذا الخبر(**أخبرنا أبو القاسم الأزهري، أنبأنا مُحَمَّد بْن الحسن الدقاق، عن جعفر الخلدي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مسروق، حَدَّثَنَا إبراهيم بْن عبد الرحمن الطائفي، حدثني أبو جعفر مُحَمَّد بْن الأصبغ الحارثي، قَالَ: سمعت عمي، قَالَ: " كان زبيدة بْن حميد الصيرفي، استلف من بقال كان على بابه درهمين ونصف دانق ، فقضاه بعد ستة أشهر درهمين وثلاث، حبات شعير ،فاغتاظ البقال فقال: سبحان اللَّه، أنت رب مال، وأنا بقال أملك مئة فلس، وإنما أعيش باستفضال الحبة والحبتين، وإنما صاح على بابك جمال وحمال فلم يحضرك شيء، وغاب وكيلك، فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات، فتقضيني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات! ؟ فقال له زبيدة: يا مجنون، أسلفتني في الصيف وقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربع شعيرات صيفية، وما أشك أن معك فضلا كثيرا**)[1] .

ففي هذا الخبر يمكننا القول إن السارد لم يتدخل ولم يشارك في مهمة تقديم الشخصية (شخصية البقال)، وأوكل المهمة إليه لوصف نفسه (وانا بقال أعيش باستفضال الحبة والحبتين...) حيث عمدت شخصية البقال إلى تعريف نفسها من خلال الحوار لتشعر المتلقي بما وقع عليها من ظلم من قبل زبيدة بن حميد الصيرفي، فأستخدم شخصية البقال ضمير المتكلم لتفصح عن مكنونات نفسها ولتعرف المتلقي بها.

وعلى نحوه هذا الخبر(**قلت: وممن شهر بالبخل من المتقدمين أبو الأسود الدؤلي، فأخبرني أبو الحسن أَحْمَد بْن عبد الواحد بْن مُحَمَّد الدمشقي بها، أخبرني جدي أبو بكر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عثمان السلمي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جعفر السامري، حَدَّثَنَا يموت بْن المزرع، حَدَّثَنَا عيسى، حَدَّثَنَا أبو زيد الأنصاري، قَالَ: " وقف أعرابي بأبي الأسود الدؤلي، وهو على دكان له على باب داره يأكل تمرا، فقال له: أصلحك اللَّه، شيخ هم، غابر ماضين، ووافد محتاجين، أكله الدهر، وأذله الفقر ،فناوله أبو الأسود تمرة، فرمى بها الأعرابي في وجهه، ثم قَالَ له: جعلها اللَّه حظك من حظك عنده، وألجأك إليّ كما ألجأني إليك، ليبلوك بي كما بلاني بك)**[2] .

([1]) البخلاء: ٩٤-٩٥.
([2]) نفسه : ١٤٩-١٥٠

فالراوي قد تنحى جانبا فاسحا المجال لشخصية الأعرابي للتحدث عن نفسها بصورة مباشرة من غير تدخل منه حيث جعلها تكشف للمتلقي ما بها من خلال حوارها مع أبي الأسود الدؤلي (شيخ هم، غابر ماضين، ووافد محتاجين...) حيث إن هذه الطريقة تجعل المتلقي يقتنع أكثر من خلال تعريف الشخصية بنفسها ويتأكد من صحة أدعاها من خلال الاطلاع على أحداث الخبر فالحوار أوضح وسيلة للكشف عن الشخصيات و تقديمها بشكل موجز.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة هذا الخبر(**أخبرنا الحسن بْن علي المقنعي، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو عمر مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، قَالَ: سمعت أبا أيوب ابن الحلاب، يقول: سمعت إبراهيم الحربي رحمه اللَّه، يقول: جاء رجل يسأل يحيى بْن أكثم، فقال له: أيش توسمت في؟ أنا قاض والقاضي يأخذ ولا يعطي، وأنا من مرو وأنت تعرف ضيق مرو، وأنا من تميم والمثل إلى بخل تميم**)[1].

حيث تولت شخصية (يحيى بن أكثم) تقديم نفسها من خلال الحوار تقديما تمثيليا فنجدها تكشف عن مهنتها (أنا قاضي) و يعطي سمات القضاة (والقاضي يأخذ و لا يعطي) وأيضا يكشف عن مكان نشأته (وأنا من مرو) كاشفا عن الصفة المشهورة في أهل مرو (ضيقهم)أي بخلهم، ويعرض أيضا اسم قبيلته (تميم) والبخل الذي اشتهرت به قبيلة تميم حتى ضرب المثل بها، فنجد إن الراوي قد ألقى عن عاتقه مهمة تعريف الشخصيات عن طريق الأخبار وأسند هذه المهمة للشخصية نفسها تكشف ذاتها من خلال الحوار فتصبح تواصلها مع المتلقي مباشرة و دون تدخل منه.

ومن الأمثلة التي يمكن ان تصاغ على طريقة الكشف هذا الخبر (**أَخْبَرَنَا أَبُو عُثْمَانَ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْخَلَنْجِيُّ الْمُعَدَّلُ بِأَصْبَهَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، حَدَّثَنَا مِقْدَامُ بْنُ دَاوُدَ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ السَّمَّانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ حَيٌّ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو سَلِمَةَ، رَهْطُ مُعَاذِ بْنِ**

([1]) البخلاء: ١٨٣ / لقد تقصى الباحث أغلب كتب الأمثال و لم يعثر على مثل يشابه ما ورد ولكن وجدنا هذه القصة مذكورة في كتاب أخر وهو :تهذيب الكمال في اسماء الرجال، للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢: ٢٢٧/٣١.

جَبَلٍ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ، مَنْ سَيِّدُكُمْ؟» قَالُوا: سَيِّدُنَا جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَإِنَّا لَنُبَخِّلُهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ»؟)[1] .

فنجد أن السارد لم يعرف بشخصية سيد بني سلمة بل ترك الأمر لبني سلمة أنفسهم يعرفون بشخصيته فقدموا للمتلقي اسمه (جد بن قيس) و أيضا صرحوا بما يحمله من صفة قبيحة (و إننا نبخله) حيث تم الكشف عن شخصية جد بن قيس عن طريق الحوار الذي دار بينهم وبين رسول الله (ص) ولم يكن للراوي يد في ذلك.

والملاحظ أن الطريقة الكشفية للشخصيات تعتمد في أغلب الأحيان تقنية الحوار الذي يساعد على إبراز الشخصية وشارك في إظهار تفصيلات تلك الشخصية، كما نلاحظ أن بعض الأخبار التي اعتمدت هذه الطريقة أو الطريقة الأولى ركزت على إبراز صفة البخل للشخصية، وعليه فهنالك ترابط وثيق بين ثيمة الكتاب وعناصره الشخصية وتقنياته.

أنواع الشخصيات

١.الشخصية الرئيسة: وتعرف بأنها "الشخصية التي تقود الفعل و تدفعه إلى الأمام في الدراما و الرواية أو أي أعمال أدبية أخرى"[2] ، فهي التي تتمحور عليها الأحداث و السرد و الفكرة الرئيسية التي تنسج حولها الحوادث[3] فهذه الشخصيات تشغل مساحة سردية داخل النص و هذا ما يميزها عن الشخصيات الثانوية فهي تمد النص بالحيوية وهي قادرة على أن تدهش القارئ ادهاشا مقنعا لمرات عديدة لأنها تمتلك عمقا واضحا وابعادا مركبة وتطورا مكتملا [4] فالشخصيات المتحركة عموما هي الشخصيات المركزية في السرد وإن درجة تحركها مرتبطة بالظروف والحدث ولكن عادة ما تتحرك بحرية لتفاجئ المتلقي بأفعالها الجديدة و أحداثها المتغيرة[5] ، إن الحضور المستمر و الفاعل التي تؤديه الشخصية الرئيسية في النص السردي يجعلها في تطور دائم لأنها تتفاعل فيما يحدث من حولها من وقائع فهي تمسها من قريب أو من

---

(1) نفسه: ٣٨.
(2) معجم المصطلحات ، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس ط١ ، ١٩٨٦ :٢١١-٢١٢.
(3) ينظر: معجم المصطلحات المعاصرة: ١٢٦.
(4) ينظر: معجم المصطلحات: ٢١١-٢١٢.
(5) ينظر :شعرية التأليف(بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي) ،بوريس أوسبنسكي ،ترجمة: سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٩٩: ١٦٦.

بعيد وتؤثر فيها "وليس من الضروري إن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما ولكنها دائما هي الشخصية المحورية في العمل"[1].

وعليه فإن الشخصية الرئيسة هي التي تمتلك مساحة واسعة داخل النص السردي وتمتلك حضورا واسعا يختلف عن حضور باقي الشخصيات فتدور أغلب الأحداث حولها مضيئة جوانب النص، إن الدارس لشخصيات البخلاء التي أوردها الخطيب البغدادي يجد أن الأحداث أغلبها تدور حول شخصية رئيسية فهي مركز للحدث تنسج حولها الأفعال التي تصور لنا عمق بخلها و غالبا ما نجدها ثابته غير نامية لقصر الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي ولأن الخبر متعلق بفكرة وحدث واحد وهو توضيح البخل عند الأشخاص الذين أوردهم.

ومن الأمثلة على الشخصيات الرئيسة في كتاب البخلاء هذا الخبر (**أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبيد اللَّه الكاتب، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن زكريا، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن عبد الرحمن، قَالَ: " دعا مديني أخا له، فأقعده إلى العصر فلم يطعمه شيئا، فاشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قَالَ: صوت المقلى**)[2] .

حيث تعد شخصية الرجل المديني شخصية رئيسة و محورية في الخبر إذ أوردها السارد للاستدلال على قضية البخل فدارت حولها بقية الأحداث حيث إن الرجل المديني هو من قاد الحدث و دفعه إلى الأمام ابتداء من دعوته للرجل و انتهاء بمحاولته إلهاء الرجل عن الطعام عن طريق العزف ولو كان الخبر أطول لرأينا نموا في هذه الشخصية.

و أيضا من الأمثلة على هذا النوع من الشخصيات هذا الخبر(**أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري، أخبرنا المعافي بْن زكريا، قَالَ: حدثني الحسين بْن القاسم الكوكبي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عبيد، قَالَ: " كان جعفر بْن يحيى يعيب الأصمعي برثاثة الهيئة، وذلك بعد أن أوصل إليه خمسمائة ألف درهم، وقد كان جعفر في يوم من الأيام ركب ليقصد الأصمعي في منزله، وأمر خادما له بحمل ألف دينار، ليصله بها عند انصرافه، فلما دخل منزله ورأى رثاثة حاله ووسخ منزله، ورأى في دهليزه حبا مكسورا، أمر الخادم برد ألف دينار، فقيل لجعفر في ذلك، فقال:**

([1]) معجم المصطلحات: ٢١١.
([2]) البخلاء: ٧٦.

إن لسان النعمة أنطق من لسانه، وإن ظهور الصنيعة أمدح وأهجى من مديحه وهجائه، فعلام نعطيه الأموال إذا لم تظهر الصنيعة عنده وتنطق النعمة بالشكر عنه، ويتزيا بزي أهل المروءات، ويتغذى غذاء أهل الجدات)[1] .

فالسارد أورد خبرا حول الأصمعي وفي هذا الخبر شخصية رئيسة وهي شخصية جعفر بن يحيى فهو من كان يعيب الأصمعي برثاثة الهيئة و هو الذي قصد دار الأصمعي فهو مركز الأحداث و إن كان الخبر يخص الأصمعي ويريد السارد منه إبراز سجية البخل لديه، لكن لم يكن ليقدر السارد على إبراز هذه الصفة عند الأصمعي و ونسج هذه الأحداث دون وصف جعفر بن يحيى و وصفه لدار الأصمعي فشخصية جعفر بن يحيى هي التي وصفت ثم كونت الحدث بقصدها دار الأصمعي ،وهو الذي كون ملمحا بسيطا من ملامح الحوار بطلبه من الخادم برد الدنانير و رد على من استغرب ذلك ،لذلك رجحنا أن تكون هذه الشخصية هي الرئيسة كون كل أحدث الخبر قد انطلقت من خلالها.

وعلى نحوه هذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن أبي عبد اللَّه المرزباني، قَالَ: أخبرني يوسف بْن يحيى بْن علي المنجم، عن أبيه، قَالَ: حدثني ابن مهرويه، قَالَ: حدثني علي بْن مُحَمَّد النوفلي، قَالَ: قَالَ سمعت أبي، يقول: " كان مروان بْن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه، فإذا قرم أرسل غلامه، فاشترى له رأسا فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ فقال: نعم، الرأس أعرف سعره، فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك، وآكل منه ألوانا، آكل عينه لونا، وأذنيه لونا، وغلصمته لونا، ودماغه لونا، وأكفى مئونة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق)**[2] .

ففي هذا الخبر يمكن عد شخصية مروان بن أبي حفصة شخصية رئيسة محورية قد كشفت عن صفاتها من خلال أفعالها ،لذلك فكانت هذه الشخصية مركزا للأحداث وإن الأحداث قد رتبت حولها لإبراز ما تحمله هذه الشخصية من بخل و هذا ما كشف عنه سلوك الشخصية مع الغلام ،فسلوك الشخصية و أفعاله بصورة عامة قد دفعت العمل وقادته إلى الأمام، فلذلك يمكن عد

([1]) البخلاء: ٧٨-٧٩.
([2]) نفسه: ٨٠-٨١.

شخصية مروان أهم عنصر في الخبر ولو حذفناها على سبيل الفرضية لما بقي هنالك أي حدث.

ومنه هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسين أَحْمَد بْن عمر بْن روح النهرواني، حَدَّثَنَا المعافى بْن زكريا الجريري، حَدَّثَنَا الحسين بْن القاسم الكوكبي، حَدَّثَنَا إسماعيل بْن ميمون، أخبرني حماد بْن إسحاق بْن إبراهيم، عن أبيه، قَالَ: أنشدني ابن محرز لابن مارية، " وكان صاحب له بالعقيق قد وعدهم أن يذبح لهم كبشا، وأن يصنع لهم طعاما، فلما أتوه جعل يحدثهم وينشدهم، وأتاهم بقصيدة ويزعم أنه خبأها لهم، فقال ابن مارية، {من الكامل}:**

أأتيت تخبرنا بأنك شاعر والشعر ليس بنافع للجوع

اجعل مكان قصيدة أهديتها للقوم أقرن ذا قوائم أربع)[1] .

إن السارد هنا يخبرنا عما جرى لابن مارية من أحداث وسبب إنشاده لهذه الأبيات فيمكن عد شخصية ابن مارية من الشخصيات الرئيسة في الخبر و لا نبالغ إذا قلنا إنها بؤرة الخبر حيث دار الخبر كله حولها فلا يمكن للسارد أن يستغني عنها لأن الحدث قد نسج حولها ومما لاحظناه على هذا الخبر هو غياب صوت الشخصيات في الخبر و بروز صوت السارد فالسارد هو من روى ما جرى مع ابن مارية و إن القصة كلها متعلقة بابن مارية الذي كان ضحية لبخل صاحبه الذي يعده بذبح الكبش و لا يفي بوعده ففعل البخل قد وقع على الشخصية الرئيسة .

٢.الشخصيات الثانوية: "وهي الشخصيات التي لا تتطور و تكون مفتقدة التركيب و لا تدهش المتلقي بما تقول أو تفعل"[2] ، حيث يمكن أن نعتبر وجودها كمكمل لتكوين الأحداث و الحوار فهي تساعد في تطويرهما وتكون مساحتها أقل من مساحة الشخصية الرئيسة و لا يتم عرض جميع جوانب الشخصية بل يعرض منها ما يخص أو يناسب طبيعة الحدث ، ان هذه الشخصيات تدور حول فكرة معينة، فلا يحدث تغيرا في سلوكها وإنما التغيير يحدث في علاقتها مع الشخصيات الأخرى ، إن هذه الشخصيات" لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب و القارئ...حيث

---

(1) البخلاء: ١٢٦.
(2) معجم المصطلحات الأدبية: ٢١٢.

يستطيع بلمسة واحدة أن تقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال القصة وهي لا تحتاج إلى تقديم أو تفسير"[١] ، إن أغلب التصرفات التي تفعلها الشخصية الثابتة تكون متوقعة ، لكونها قد رسمت لحدث أو موقع محدد ضمن القصة لا تخرج عن إطاره إلا ما ندر و أيضا يرتبط ظهورها و اختفاؤها بما رسم المؤلف لها من موقع ضمن الأحداث حيث تكون وظيفتها المساعدة في إبراز الشخصية الرئيسة " إذ لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل إلا بفضل الشخصيات الثانوية" [٢] .

ومن الأمثلة على الشخصيات الثانوية في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر **(قَالَ المرزباني: وأخبرني يوسف بْن يحيى، عن أبيه، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة، عن جهم بْن خلف، قَالَ: " آتينا اليمامة، فنزلنا على مروان بْن أبي حفصة، فأطعمنا تمرا، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري له زيتا، فلما جاء بالزيت، قَالَ: خنتني. قَالَ: من فلس؟ كيف أخونك؟ قَالَ: أخذت الفلس لنفسك واستوهبت زيتا)**[٣] .

إن السارد قد أورد في هذا الخبر شخصية ثانوية لها فضل في تطوير الحدث و ساهمت في خلق حوار بينها وبين الشخصيات الرئيسة مما ساهمت في ترابط بنية الخبر وشدت أجزائه وهي شخصية الغلام ،إذ إنها ساهمت في اختلاق الحدث فهي التي أرسلها الشخصية الرئيسة و خونها في الوقت نفسه فولدت هذه الشخصية حدثا و ساهمت هذا الشخصية الثانوية في إبراز الشخصية الرئيسة من خلال تحفيزها، و وقع فعل البخل عليها.

ومنه هذا الخبر أيضا **(أخبرني الحسن بْن علي بْن عبد اللَّه العطار، أنبأنا أبو الحسن مُحَمَّد بْن جعفر التميمي المعروف بابن النجاد، أنبأنا أبو القاسم السكوني، قَالَ: حدثني الحسن بْن مُحَمَّد، قَالَ: حدثني يوسف بْن تميم، قَالَ: حَدَّثَنَا بعض شباب أهل البصرة: " أنّ رجلا كان موسرا كثير المال، وكان ينظر في دقيق الأشياء، فاشترى حوائج له، فدعا بحمال، فقال: بكم**

---

(١) فن القصة: ٩٩.
(٢) في نظرية الرواية : ٨٩.
(٣) البخلاء: ٨١-٨٢.

تحمل هذه الحوائج؟ قَالَ: بحبة. قَالَ: أحسن. قَالَ: أقل من حبة؟ لا أدري كيف أقول. قَالَ: نشتري بالحبة جزرا، فنجلس جميعا فنأكله)[1] .

حيث تعد شخصية الحمال هنا شخصية ثانوية قد ساهمت هذه الشخصية في خلق حوار بينها وبين الشخصية الرئيسة فشدت أجزاء الخبر وطورت من الحدث ، وقد ساعدت أيضا في إظهار مدى ما تخفيه هذه الشخصية الرئيسة من بخل إذ لولا وجود شخصية الحمال الثانوية في هذا الخبر لما تكونت أحداثه ولما وجد حوار على الرغم من عدم أخذه لمساحة واسعة في النص.

ومثله هذا الخبر **(أخبرنا علي بْن أبي علي البصري، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إبراهيم بْن شاذان، حدثني أبو بكر بْن العلاف المعروف بالمخرف، قَالَ: " وجهت إلى حنانان النصراني بقنينة، وسألته أن يوجه لي فيها نبيذا، فاحتبس الرسول، ثم جاءني ومعه قنينة ناقصة، وإذا قد مزجها بالماء، فقلت فيه، {من المتقارب}:**

نبيذ حنانان في بيتـــــه أعز من الماء في واقصه

بعثنا إليه بقنـــــــــينة وأبصارنا نحوها شاخــصه

فأمزجـــها الماء من بئره وجاء بها بعد ذا ناقــصه)[2].

ففي هذا الخبر يمكن عد شخصية الرسول الذي بعثه أبو بكر بن العلاف شخصية ثانوية فهي لا تمتلك دورا كبيرا في النص و لا لديها أي صوت داخل الخبر ، ولكن يبقى وجودها مهما في النص إذ لو حذفناها لختل الخبر و نقصت منه جزئية مهمة ،فلولاها ما علم أبو بكر بن العلاف بخل حنانان النصراني فهو من أرسل القنينة بيده و هو من قام حنانان بحبسه فوقع عليه فعل البخل كما وقع على أبو بكر بن العلاف .

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو مُحَمَّد الجوهري، أنبأنا مُحَمَّد بْن عمران المرزباني، حدثنا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عيسى المكي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن القاسم بْن جلاد أبو العيناء، قَالَ: " سلم أعرابي على أبي الأسود، قَالَ: كلمة مقولة، قَالَ: أتأذن في الدخول؟ قَالَ: وراءك أوسع عليك.**

([1]) البخلاء: ٩٤.
([2]) نفسه: ١١٥.

قَالَ: هل عندك شيء يؤكل؟ قَالَ: نعم. قَالَ: أطعمني. قَالَ: عيالي أحق به. قَالَ: ما رأيت ألأم منك. قَالَ: نسيت نفسك؟)[1].

وأيضا من الشخصيات الثانوية التي وردت هي شخصية الأعرابي الذي وقف بأبي الأسود الدؤلي فقد أوردها السارد لتسهم في إبراز سلوكيات أبي الأسود الدؤلي و إظهار بعض تصرفاته على الرغم من إن المساحة التي شغلها كلاهما متساوية في النص ولكن يبقى محور القصة هي الشخصية الرئيسة إذ وظف السارد شخصية الأعرابي لخدمة شخصية أبي الأسود و لتطوير الحدث وتوليد الحوار فوقع عليها فعل الشخصية الرئيسة الذي دفع بالشخصية الثانوية أن تغضب حيث ساعدت ففي توليد الأحداث و نسجها و تطويرها و إن كانت الأحداث بسيطة ، ونجد إن الخطيب البغدادي قد ذكر أنواعا للشخصيات مسلطا الضوء على ما تحمله من بخل فهي شخصيات حقيقية في المجتمع العربي ليست بالضرورة أن تكون كلها موجودة في عصر واحد ،إذ نجد أن الخطيب البغدادي ذكر أخبارا تعود لعدة عصور ولعله أراد بذلك أن يبرهن بأن قضية البخل مذمومة عبر كل العصور وهي سبة تلحق بصاحبها وأن أبلى عليه الدهر ، وأيضا لعله أراد بذلك ان يشعر المتلقي عبر هذا التنقل بأن لديه إحاطة بالموضوع الذي يريد أن يضع الكتاب لأجله وإن لديه سعة به ويمكن أن نقول إن الشخصيات في أدناه أهم ما ذكره الخطيب البغدادي في كتابه:-

١.**الشخصيات المرجعية:** وتعرف بالشخصيات التي "تقف على مرجعية خاصة بها و بأسمائها وماهيتها التاريخية ، أي الشخصيات ذات الوجود الحقيقي في مسيرة التأريخ"[2] ،فهي لها سند مرجعي و معرفي و تحيل على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما[3] ، إذ تعتبر شخصيات موجودة بالفعل على أرض الواقع و تحدد ظروف النشأة و البيئة رسم ملامحها وقد ورد مستويات منها

أ.**المستوى الواقعي:** وهي الشخصيات التاريخية و الأدبية التي ذكرها الخطيب حيث تعد شخصية أبي الأسود الدؤلي من الشخصيات المرجعية فهي لها بعد تأريخي وقد خصها

([1]) البخلاء: ١٥١-١٥٢.
([2]) بنية السرد في القصص الصوفي(المكونات ،الوظائف ،التقنيات)، ناهضة ستار ،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،٢٠٠٣: ١٨١.
([3]) ينظر: الخبر في السرد العربي: ١٩٨.

البغدادي بالذكر في أكثر من خبر في الكتاب وكانت كل الأخبار الواردة تسلط الضوء على جانب البخل الذي تحمله هذه الشخصية هي أخبار فيها بعض الفكاهة.

ومن الشخصيات الأدبية الواقعية التي ذكرها الخطيب البغدادي هي شخصية الأصمعي فقد أوردها أحيانا كشخصية رئيسة تدور حولها أحداث الخبر و أوردها أحيانا أخرى كشخصية ناقلة للأخبار أو كواعظ يذم البخل فبرزت هذه الشخصية كشخصية واعظة وشخصيته فيها شيئا من الفكاهة و السخرية ، وكذلك من هذه الشخصيات شخصية أبي العتاهية التي برزت كشخصية رئيسة في أحدى الأخبار و أبرز السارد جانب البخل لديه، ومنها شخصية مروان ابن أبي حفص الشاعر الذي تعد من الشخصيات الرئيسة التي تدور حولها أخبار مصورة جانب البخل لديه ، ومنها شخصية أبي الشمقمق الذي أورده السارد كشخصية ذامة للبخل ومن الشخصيات الأدبية الذي وقع عليهم فعل البخل هي شخصية بلال بن جرير و البحتري فالأول ظهر كشخصية رئيسة وقع عليها فعل البخل و غضب لذلك فهيجي من يجفيه و الثاني أيضا وقع ضحية للخبل في أحدى الأخبار التي أوردها السارد كما وقع البخل على جحظة البرمكي في أحدى الأخبار وغيرها من الشخصيات الأخرى التي تكون أحيانا راوية للحوادث و الأخبار التي تتعلق بالبخل ، وعليه إن الشخصيات الأدبية التي أوردها الخطيب البغدادي هي على صنفين الصنف الأول ان تكون حاملة لسجية البخل وتدور الأحداث حولها، أما الثاني هي التي وقعت ضحية لفعل البخيل مما أثار غضبها فراحت تهجو كل من أساء التصرف لها، ونجد إن الخطيب البغدادي لم يكتف بذكر شخصيات تاريخية و أدبية بل تعدى ذلك ليذكر شخصيات أخرى غير معروفة ولكل منها عملها كشخصية أبي الحارث جمين "صاحب النوادر و الملح"[1] ، فقد أوردها في أكثر من موضع وبين ما وقع عليه من فعل البخيل ، ونجده أيضا يورد خبرا حول محمد بن يحيى بن خالد بن برمك و زياد بن عبد الله الحارثي وهما من الولاة في العصر العباسي ذاكرا ما يحملانه من بخل.

([1])توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة و انسابهم و القابهم وكناهم ،لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي(ت٨٤٢)،تحقيق :محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٩٩٣: ٢٥٢/٣.

ب .الشخصيات المحاكاتية التخيلية: وتعرف بأنها "الشخصيات القريبة من الواقعية التاريخية إلا أنها لا تحيل في مرجعيتها على الواحد المتفرد بقدر ما تحيل على المتعدد في الواقع"[1] فهي التي لا تمتلك ملامح محددة بل هي مصداق ينطبق على عدة أشخاص ليس لها ملامح و لا لها أسم بل تورد بأسماء مختلفة مثل (الأعرابي، فلان ، الجارية ، الخادم ، الرجل ، الغلام ، الجار) فهي لا تمتلك اسما يميزها فلم تعرف هويتها وليس هنالك ما يميزها عن بقية الشخصيات ولم تذكر إلا بفعلها ولعلها كانت شخصيات من عامة الناس حتى وأن ذكر أسمها واصبح للمتلقي علما به فلا يخدمه بشيء أو إن أحد الرواة قد غفل عنها و اسقط أسمها دون قصد أو بقصد.

٢. الشخصيات الإشارية : "هي التي تدل على حضور المؤلف أو القارئ أو ما ينوب عنهما داخل النص "[2] ، فهي الحلقة الواصلة بين الشخصيات في الخبر و بين المتلقي وهم ما يسمون بالرواة أو الساردين وقد احتوت جميع الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي عليهم إلا ما ندر منها وهي أخبار معدودة ومن هؤلاء الساردين (الحسن بن علي الجوهري، ابو الحسن محمد بن احمد بن رزقويه ، علي بن عبدالله المعدل ...)وغيرهم الكثير من اسماء الرواة الذين سبقوا الأخبار التي أوردها .

نستنتج من هذا كله احتواء كتاب البخلاء على شخصيات متنوعة لها دور و موقع داخل الخبر في المحور التي تدور حولها الأحداث وقد برز نمطان منها، هما الشخصية الرئيسة و التي تؤدي دورا في تحريك الأحداث والشخصية الثانوية التي تبرز من خلالها الشخصية الرئيسة وأيضا من الأمور التي يمكن أن نلاحظها في كتاب البخلاء هو اعتماد السارد على طريقتي الأخبار و الكشف في عرض الشخصيات للمتلقي، ففي الأولى يعطي اسما ووصفا للشخصية ويرسم ملامحها ،أما في الطريقة الثانية يترك للشخصية نفسها أو لشخصية أخرى داخل الخبر مجالا لتخبر المتلقي عن جانب من جوانب الشخصية التي يراد الكشف عنها ، أو يستكشف ذلك من خلال أفعالها أو حوارها مع الشخصيات الأخرى .

---

(1) ينظر :الخبر في السرد العربي: ١٩٩.
(2) ينظر: نفسه :١٩٨.

المبحث الثاني

الأحداث

وهو عنصر من عناصر البناء السردي و يعد وجوده ضروريا لاكتمال عملية الإخبار عن طريق نقل جملة المواقف التي تحصل بين الشخصيات فهذه المواقف قائمة على أساس الحدث ، فالحدث هو سلسلة من الوقائع التي يتم من خلالها ترجمة تحرك الشخصيات فهو يعنى بتصوير الشخصية في أثناء عملها و لا يتحقق الحدث إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه و المكان و الزمان الذي قام لأجله [١]، ويعد الحدث العمود الفقري للعناصر الفنية من شخصيات و زمان ومكان ،ويختلف الحدث السردي في تكوينه عن الواقع وإن كان منطلقا منه حيث يختزل الكاتب بعضا من المواقف ويبقى على ما يراه مناسبا أو يضيف من مخزونه الثقافي أو خياله الفني مما يجعله مخالفا للحدث الحقيقي و هذا الاختزال أو الإضافة تولد لنا تقنيات سردية كالاسترجاع و الاستباق و القفز و التخليص و الوصف[٢]، إن الحدث هو الرابط الذي يربط عناصر السرد ببعضها إذ "من البديهي إنه ما من حدث يقع بالطريقة المعينة التي وقع بها إلا وكان نتيجة لوجود شخص معين أو أشخاص معينين كما أن وجود شخص معين أو أشخاص معينين يترتب عليه وقع الحدث بطريقة معينة "[٣] ، فهو يؤثر في الشخصيات و تتأثر هي به حيث "ما من تغير يطرأ على بنية الأحداث إلا وينعكس مدا أو جزرا على موقف الشخصيات ويؤثر سلبا أو إيجابا على الصلات التي يجمع هذه الأخيرة بمن يشاركها في النهوض في السرد"[٤] ،وعليه يكون الحدث هو الشخصية وهي تعمل أو هو الفاعل وهو يفعل و وحدته لا تتحقق إلا بتصوير الشخصية وهي تعمل تصويرا متكاملا له وحده[٥]، فأينما وجد الحدث وجدت الشخصية القائمة و الصانعة له فلا حدث يقع دون شخصية ، أما من ناحية علاقة الحدث بالزمان و المكان، فالزمان و المكان هما أشبه بالإطار الذي يؤطر الحدث حيث يستحيل على السارد أن يروي

---

(١) ينظر : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية(١٩٤٧-١٩٨٥) ،شريبط أحمد شريبط، منشورات أتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٨ :٢١.

(٢) ينظر : تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ،آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان، ط٢، ٢٠١٥: ٣٧.

(٣) فن القصة القصيرة ،رشدي رشاد ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٢، ١٩٦٤: ٣٠.

(٤) بنية الشكل الروائي(الفضاء ،الزمن ،الشخصية)حسن بحراوي ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠: ٢٤٢.

(٥) ينظر: فن القصة القصيرة :٣٠.

جميع الحوادث في تسلسل خطي ويستحيل أيضا تتابع الوقائع في تسلسل زمني معين و لكن تأتي الأحداث على شكل دفعات وبين هذه الأمواج من الدفعات قد تقفز موجة قفزة كبيرة على غير هدىً منها أو تهدأ موجة فتولد عملية تسريع السرد أو إبطائه[١] ،فالزمن هو ضابط الأحداث حيث يتم من خلاله وعلى نبضاته تسجيل وقائعه[٢]، أما من ناحية علاقة الحدث بالمكان فالمكان "هي المساحة التي تقع فيها الأحداث" [٣] وقد يوظف المكان أحيانا توظيفا جماليا تعرض في إطاره الحوادث و الوقائع "فالمكان وسيلة فاعلة في الحدث وسيلة محتوية على تاريخية الحدث ...فكل مكان له دلالة يحاكي شيئا ما في ذات الكاتب أو في الذات الاجتماعية لتصبح مؤثرة و فاعلة ذات الكاتب أو في الذات الاجتماعية لتصبح مؤثرة و فاعلة لا أماكن وعاء و أماكن اتكاء "[٤]، وعليه يكون الحدث مرتبطا بكل العناصر السردية ليكون وحدة سردية متكاملة فأي خلل قد يصيب جزءاً من هذه الوحدة يؤثر في النص كله فالحدث هو تصوير الشخصيات و هي تقوم بعمل كامل و العمل لا يكون متكاملا من أجل الحدث نفسه ،فالحدث للسارد لا يعني له مجرد خبر ينقله كما يفعل الصحفي، وهو ليس مهما في حد ذاته يدونه كما يفعل المؤرخ، بل يصوره بطريقة خاصة تحتوي على معان يريد إيصالها للمتلقي أو المسرود له وهذه المعاني غالبا ما تكون مقصودة[٥]، "إن الحدث يتشكل ضمن بنية كبرى لا تستقر على وضعية فيتغير مع تغير المسار السردي بحيث لا يغدو الحدث هو شغل الكاتب الأساس بقدر ما يمتزج البناء الفني مع مسار الحدث ليشكلا في الأخير بنية النص العامة"[٦] .

إن هذا المبحث سيسلط الضوء على دراسة مكون مهم من مكونات السرد وهو الحدث في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي وما تحتويه أخباره من انساق للأحداث حيث تهدف هذه الدراسة للكشف عنها فمن ضمن هذه الانساق :

---

(١) ينظر :بحوث في الرواية الجديدة، ميشيل بوتور، ترجمة :فريد أنطونيوس ،وزارة الثقافة و الرياضة ،دولة قطر،٢٠١٩: ١٥.

(٢)ينظر :دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها ،أتجاهتها، أعلامها) ،محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الاسكندرية: ١٣.

(٣)بناء الرواية: ١٠٣.

(٤) الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد: ١٨-٢٠.

(٥) ينظر : فنون النثر العربي الحديث ،حسني محمود، إبراهيم أبو هشهش ،صالح أبو أصبع ،منشورات جامعة جامعة القدس المفتوحة،ط١، ١٩٩٥: ٣٠.

(٦) مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، عبدالقادر بن سالم، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق،٢٠٠١: ٧١.

١.نسق التتابع :

ويعرف هذه النسق "بمجموعة من العلاقات بين التتابع الذي تحدث فيه الوقائع و التتابع الذي تحكى فيه ويمكن ان تحكى الوقائع حسب تتابع حدوثها"[١] حيث يكون " المتن فيه يترتب في الزمان على نحو متوال و بحيث تتعاقب فيه مكونات المادة السردية جزءا بعد جزء دون التواء أو ارتداد في الزمان"[٢] إن القص يتمثل في قول يتضمن تتابعا لمجموعة من الأحداث البشرية التي تكون حدثا متكاملا متوحدا فانعدام التتابع يؤدي إلى تلاشي القصة وتحويلها للوحة وصفية لا يربط بين عناصرها سوى التجاور المكاني و إذا فقدت أحداثها خاصية التكامل و التواحد فإنها تصبح مجموعة من الوقائع المتسلسلة التي تربطها ضرورة و لا يوحدها محور[٣]، إن هذا النسق من التتابع قد عرف منذ زمن طويل وقد هيمن مدة طويلة على فن القصص بمختلف أجناسه فقد كانت الأحداث تقدم للسامع بنفس تراتيب وقوعها أو سردها وبحسب ترتيبها الزمني[٤] ومن الأمثلة على هذا النوع في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن رزقويه، أنبأنا أبو الحسن المظفر بْن يحيى الشرابي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عبد اللَّه المرثدي، عن أبي إسحاق طلحة بْن عبيد اللَّه الطلحي، قَالَ: أخبرني أبو مُحَمَّد عمر بْن عيسى التميمي، قَالَ: " كان زياد بْن عبيد اللَّه الحارثي خال أبي العباس أمير المؤمنين، واليا لأبي العباس على مكة، فحضر أشعب مائدته في أناس من أهل مكة، وكان لزياد بْن عبيد اللَّه صحفة يخص بها، فيها مضيرة من لحم جدي فأتي بها، فأمر الغلام أن يضعها بين يدي أشعب، وهو لا يعلم أنها المضيرة، فأكلها أشعب حتى أتى على ما فيها، واستبطأ زياد بْن عبيد اللَّه المضيرة، فقال: يا غلام! الصحفة التي كنت تأتيني بها، قَالَ: قد أتيتك بها أصلحك اللَّه! فأمرتني أن أضعها بين يدي أبي العلاء. قَالَ: هنأ اللَّه أبا العلاء وبارك له! فلما رفعت المائدة، قَالَ: يا أبا العلاء! وذاك في استقبال شهر رمضان، قد حضر هذا الشهر المبارك، وقد رققت لأهل السجن لما هم فيه من الضيق ثم لانهجام الصوم عليهم، وقد رأيت أن أصيرك إليهم،**

---

(١) المصطلح السردي(معجم مصطلحات) ،جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة، ط١، ٢٠٠٣: ١٦٥.

(٢) المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص و الرؤى و الدلالة)،عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط١، ١٩٩٠: ١٠٨.

(٣) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي، صالح فضل ،دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨: ٢٧٨.

(٤) ينظر: الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري ،دار تموز للطباعة والنشر و التوزيع، دمشق ،ط١، ٢٠١٣: ٧٩.

فتلهيهم بالنهار، وتصلي بهم بالليل. وكان أشعب حافظا، فقال: أو غير ذلك، أصلح اللَّه الأمير! ؟ قَالَ: وما هو؟ قَالَ: أعطي اللَّه عهدا ألا آكل مضيرة جدي أبدا)[1].

حيث إن السارد يروي تفاصيل أحداث هذا الخبر وبصورة متتابعة فابتدأ هذا الخبر

- حضور أشعب لمائدة زياد بن عبيد الله الحارثي .
- إحضار المائدة لعبيد الله و أمره لوضعها بين يدي أشعب دون علمه.
- استبطاء زياد للمضيرة الخاصة به و سؤاله عنها.
- إخبار الغلام لزياد بأنه قد أمره أن يضعها بين يدي أشعب.
- دعاءه لأشعب بالبركة .
- رفع المائدة .

فهو في هذا الخبر قد روى تفاصيل الحادثة على وفق تسلسل زمني دون تقديم أو تأخير فقد سرد ما رآه من أحداث على شكل دفعات متلاحقة فالأحداث كلها مرتبطة بشخصيتين هما زياد بن عبيدالله الحارثي و أشعب، أن الخبر هنا قد رتب على وفق صيغة امتدادية تهتم بالدرجة الأولى بالتسلسل و التعاقب أي المرور بالزمن بشكل متعاقب فهي لا تعرض حدثا أخرا تجعلنا نشعر بغرابة إقحامه ضمن السرد [2] ،إن الأحداث هذه قد وضحت لنا ما يحمله شخصية زياد من بخل و ذلك عن طريق العقوبة التي أراد أن يعاقب بها أشعب حيث أراد أن يرسله إلى السجن ولكن بصورة غير مباشرة و إن الاستهلال قد جعل المتلقي يتيقن بأن هذه الشخصية قادرة على فعل ذلك ،فالشخصية لها مكانة اجتماعية فهو والٍ وهو خال أبي العباس السفاح في الوقت نفسه ،ولكن نجا أشعب من ذلك بعهد قد قطعه على نفسه بأن لا يأكل مضيرة جدي ، ومما لاحظناه على أحداث هذا الخبر، وإن السارد راو مشارك فيه حيث كان موجودا حينما وقعت هذه الأحداث و قد رواها لنا كما وقعت من دون أن يتصرف فيها فلم يقدم و لم يؤخر ما جرى منها ما قد يسبب بخلل في تسلسلها الزمني فقد قدم السارد سببا و نتيجة لما جرى حيث كان سبب العهد

([1]) البخلاء: ٩٠-٩١.

([2]) ينظر : البنيوية وعلم الإشارة ،ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة ،دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١، ١٩٨٦: ٦٠.

الذي قطعه أشعب هو أكله لمضيرة زياد بن عبيد الله وسبب إعفاء زياد من إرسال أشعب للسجن هو العهد الذي قطعه أشعب على نفسه.

ومنه هذا الخبر **(أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بْن عبد اللَّه بْن طاهر الطبري، حَدَّثَنَا القاضي أبو الفرج المعافى بْن زكريا الجريري، حَدَّثَنَا الحسن بْن أَحْمَد بْن سعيد الكلبي، أخبرنا الغلابي، حدثني مهدي بْن سابق، قَالَ: " أقبل أعرابي يريد رجلا، وبين يدي الرجل طبق تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكساء كان عليه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئا؟ قَالَ: نعم. قَالَ: فاقرأ. قَالَ: فقرأ الأعرابي: {وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ} . قَالَ الرجل: فأين التين؟ قَالَ: التين تحت كسائك)**[1].

حيث جاء تسلسل أحداث الخبر متتابعا و على النحو الآتي :

- إقبال الأعرابي على الرجل و رؤيته له وهو يأكل التين.
- أبصار الرجل للأعرابي و إخفاءه للتين تحت كساءه
- ملاحظة الأعرابي للرجل وهو يقوم بذلك.
- جلوس الأعرابي بين يدي الرجل.
- سؤال الرجل له إن كان يحفظ شيئا من القرآن.
- جواب الأعرابي له و قراءته لسورة التين مع حذف لفظة التين من الآية.
- سؤال الرجل له عن التين.
- إخباره بأنه يخفي التين تحت كسائه.

فالملاحظ على هذا الخبر تتابع التسلسل من لحظة قدوم الأعرابي كبداية وانتهى بجواب الأعرابي و سخريته من الرجل حينما أخفى التين كنهاية، ونلاحظ إن السارد قد عمل على المزاوجة بين الحدث و الحوار فالقدوم و الجلوس و إخفاء التين هي حوادث و أفعال تدل على الحركة أما سؤال الرجل وجواب الأعرابي فهي حوار ولكن الحوار هنا كان جزءا مكملا للحدث

([1]) البخلاء: ٧٥-٧٦/ سورة التين الآية:١-٢

فهذه المزاوجة جاءت ضرورية للوقوف على تفاصيل ما فعلته الشخصيات من حركات و أفعال " إن وجود قضية جوهرية يفرض حدثا متماسكا موحدا لأنها تكون سببا لتركيز كل وقائع الحدث حول هذه القضية"[1] فالقضية الجوهرية هنا هي إبراز وتبيين ما تحمله شخصية الرجل من بخل.

ومنه هذا الخبر **(أخبرنا علي بْن أبي علي البصري، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إبراهيم بْن شاذان، حدثني أبو بكر بْن العلاف المعروف بالمخرف، قَالَ: " وجهت إلى حنانان النصراني بقنينة، وسألته أن يوجه لي فيها نبيذا، فاحتبس الرسول، ثم جاءني ومعه قنينة ناقصة، وإذا قد مزجها بالماء، فقلت فيه، {من المتقارب}:**

نبيذ حنانان في بـــيته أعز من الماء في واقصـــه

بعثنا إليه بقنـــــــينة وأبصارنا نحوها شاخـــصه

فأمزجها الماء من بـئره وجاء بها بعد ذا ناقـــصه)[2].

نلاحظ أن طبيعة أحداث هذا الخبر متتابعة حيث عرضها السارد وفق تسلسل زمني مرتب من دون إيلاج أي أحداث أخرى داخلها ودون اللجوء إلى تقنية الاستباق فقد نقل الأحداث كما وقعت وعلى النحو الآتي:

- توجيه أبي بكر ابن العلاف قنينة لحنانان النصراني.
- سؤاله بأن يضع فيها نبيذا له.
- احتباس حنانان لرسول ابن العلاف.
- إرسال حنانان للقنينة ناقصة وخلطها بماء البئر.
- سخرية أبي بكر ابن العلاف منه شعرا.

فلم يُقتطع جزءا من الخبر أو يقدم جزء على أخر بل جاء متتابعا "فمن أخص خواص الخبر

([1]) البناء الفني لرواية الحرب في العراق ،عبدالله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية،بغداد،العراق،ط١ ، ١٩٨٨: ٣٥.

([2]) البخلاء: ١١٥.

تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية نقلا متتابعا من دون إجراء أية انحرافات تخلل بنية متنها"[1]

فكشف الخبر من خلال تتابعه ما تحمله شخصية حنانان من بخل إذ من خلال احتباسه للرسول و إرساله للقنينة ناقصة ومخلوطة بماء البئر يتبين للمتلقي إن حنانان كان بخيلا ،إن هذه الأحداث على الرغم من بساطتها كانت سببا لسخرية أبي بكر بن العلاف منها وقد جاء السارد بشعر أبي بكر مؤكدا من خلاله على ما جرى من حدث حسب ما وقع وفق تسلسلها الزمني أيضا حيث جيء به بمثابة التعضيد على هذا الترتيب المتتابع الذي جرت به الأحداث حتى لا يفتح مجالا للشك في وقوعها أو بنقصان جزئية منها .

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حميد الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد الحكيم، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يونس، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حبيب، قَالَ: لقي أبو العتاهية العباس بْن مُحَمَّد، فقال: جعلني اللَّه فداك، تسمع مني؟ قَالَ: هات، فأنشده، {من الكامل}:**

إن المكارم لم تزل معــقولة حتى حللت براحتيك عقالها

لو قيل للعباس يا ابن مُحَمَّد قل لا وأنت مخلد ما قـالها

فدخل ووجه إليه بدينارين، فقال أبو العتاهية للخادم: انتظر حتى أكتب جواب ما جئت به، فأخذ رقعة وكتب فيها، {من الوافر}:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت

فهبها مدحة ذهبت ضــياعا كذبت عليك فيها واعــتديت

ورد الدينارين، فغضب العباس بْن مُحَمَّد من ذلك، وطلبه ليقتله، فلم يقدر عليه)[2] .

قد كشف السارد في هذا الخبر و من خلال الوقائع المتتابعة على إن أحداث هذا الخبر مرتبطة بموضوع البخل و تعلقت بشخصيتي أبي العتاهية و العباس بن محمد حيث جاء تتابع هذا الأحداث على الشكل الآتي:

([1]) المتخيل السردي: ١٠٧

([2]) البخلاء : ١٣٢.

- لقاء أبي العتاهية للعباس بن محمد واستأذنه ان ينشده قصيدته.
- إصغاء العباس بن محمد لأبي العتاهية.
- توجيه دينارين له مع الخادم.
- مجيء الخادم لأبي العتاهية.
- طلب أبي العتاهية من الخادم الانتظار .
- كتابة أبي العتاهية للأبيات و إرسالها بيد الخادم مع الدينارين.
- غضب العباس بن محمد من أبي العتاهية وطلبه لقتله.

نلاحظ هنا ترتيب الأحداث حسب وقوعها ولكن تفتقر هذه الأحداث إلى حبكة واضحة ولعل هذا ما يميز بين السرد الفني و السرد الإخباري "الذي يفتقر إلى الحبكة"[1]، ونرى السارد مزج بين الحوار و الأفعال كي يكون نسيجا خبريا متكاملا من حيث بنائه فابتدأ السارد الخبر بطلب شفاهي من أبي العتاهية بالإنشاد وهذا الطلب قد كون حركة فعلية في النص كدخول العباس بن محمد و إرسال الخادم و انتظار الخادم و رجوعه بالرسالة، فهذه أفعال كلها تدل على الحركة أي أنها أحداث حدثت نتيجة طلب شفاهي حواري ،ونجد أيضا دورا مهما قد لعبته الأبيات في تنمية أحداث الخبر إذ من خلالها توضح لنا ما تحمله شخصية العباس بن محمد من بخل فهو لم يعط أبا العتاهية ما يناسب مكانته الشعرية ،فالشعر هنا جاء جزءا من الحدث و الأفعال جاءت نتيجة هذه الابيات .

ومنه هذا الخبر **(أخبرنا القاضي أبو مُحَمَّد الحسن بْن الحسن بْن رامين الأستراباذي، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بْن مُحَمَّد بْن جعفر الجرجاني، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الفضل بْن عبد اللَّه العدني، قَالَ: حَدَّثَنَا ابن فارس بهراة، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن شعيب، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد البغدادي، قَالَ: " كنا في بيت أبي إسحاق نلعب بالشطرنج، إذ تعالى النهار وجعنا .قَالَ: فتركنا اللعب، وجعلنا ننظر إلى جدار البيت، فإذا في ناحية الجدار مكتوب، {من البسيط}:**

([1]) بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، هاشم ميرغني ،شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ،السودان،ط١، ٢٠٠٨: ١١٨.

نعم الصديق صــديق لا يكـــــــلفنا ذبح الفراخ ولا ذبح الفراريج

يرضى بلونين من كشك ومن عدس وإن تشهى فــباقلى بطسوج

قال: فقلنا: ما كان ولو باقلى، فإنا قد رضينا، فإنا جياع قَالَ: فعدنا في اللعب حتى ضجرنا. قَالَ: فرفعنا رؤوسنا، وتركنا اللعب، فإذا في ناجية أخرى مكتوب، {من السريع}:

اشرب على الخيري والريق فنحن في بعد من السوق

لا ترجون الخبز في بــيتنا ما لك إلا النفخ في البوق

قال: فقمنا وتركناه)[1]

قدم السارد هنا تواليا في تتابع الأحداث وكان هذا التتابع متكاملا متماسكا فيما بينه دون احتواء هذا الخبر على قصة أخرى وقد جاء هذا الترابط و التتابع على النحو الآتي:

- لعبهم بالشطرنج في بيت أبي أسحاق.
- جوعهم وتركهم للعب و رؤيتهم لجدار البيت.
- علمهم أن صاحب البيت لا ينوي ذبح الفراخ والفراريج .
- رجوعهم للعب مرة أخرى.
- تركهم للعب مرة أخرى و رؤيتهم لما هو مكتوب على جدار البيت.
- خروجهم من البيت وتركه بعد علمهم إن أبا أسحاق لا يريد اطعامهم.

فتم تصوير هذه الحادثة المتعلقة بالبخل تصويرا متتابعا مبتدأ بمقدمة استهلالية يذكر فيها السارد مكان تواجدهم و ما كان للمكان من دور مهم في صناعة الحدث فالمكان في هذا الخبر هو المنمي في صناعته ،ويعد صاحب الدار شخصية بارزة تعد مرتكزا للأحداث إذ من خلال الشخصية ومكان هذه الشخصية ظهرت صفات البخل وذلك من خلال مجموعة من الأفعال

([1]) البخلاء : ١٥٨-١٥٩/ والأبيات لأبي سعد المخزومي ينظر: شعر أبي سعد المخزومي، جمع وتحقيق: رزوق فرج رزوق ، مطبعة الأيمان، بغداد، ١٩٧١: ٢٧-٤٥.

المتتالية و التي تربطها علاقة سببية إذ أنهم كانوا يلعبون حتى تعالي النهار وجاعوا لأنهم لعبوا لوقت طويل و تركوا اللعب لأنهم جاعوا ،فلاحظوا ما مكتوب على الجدار بسبب تركهم للعب، و رضوا بأكل باقلى لأنهم قرأوا ما مكتوب على الجدار ، و رجعوا إلى اللعب لأن الطعام لم يصلهم ، وضجروا من اللعب لأن الوقت طال و هم يلعبون ، ونظروا للزاوية الأخرى من الدار لأنهم تركوا اللعب، وتركوا الدار لأنهم قرأوا ما هو مكتوب، فأحداث هذا الخبر قد توالت وفقا لعلاقة لها فيما بينها إذ تماسكت حلقاتها بارتباط السابق باللاحق[1]، وينتهي السارد من سرد أحداث الخبر حينما خروجهم من الدار و ذلك لاكتشافهم ما تحمله هذه الشخصية من بخل فهو لم يقدم الطعام لهم وكان قد جهز في بيته نصوصا شعرية مكتوبة على الحائط يخبرهم فيها بطريقة فكاهية أنه لا يريد اطعامهم حتى هذه النصوص قد جاءت بصورة متوالية متدرجة فقد أخبرهم في البداية أن الضيف لا يكلف صاحب الدار ذبح الفراريج أو الفراخ وإنه يرضى بباقلى بعدها أخبرهم أن لا يترجى الضيف خبزا في بيته إذ لم يخبرهم من البداية بذلك و لكن إنما أخبرهم تدريجيا فالنصوص كانت جزء مهما في تكوين وسط الحدث وخاتمته.

ومنه هذا الخبر **(حَدَّثَنَا أبو طاهر مُحَمَّد بْن علي بْن مُحَمَّد السماك، أنبأنا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن موسى القرشي، أنبأنا علي بْن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، أخبرني أبو بكر الربيعي الشاعر، وكان كالمنقطع إلي، قَالَ: " دعانا أبو مُحَمَّد بْن الشار يوما، وكان فيه بخل على الطعام، ودعا جحظة، فطال حبسه للطعام جدا، فأخذ دواة ورقعة، وكتب إلي {من السريع}:**

ما لي وللـــــــشار وأولاده لا قدس الوالد والوالــده

قد حفظوا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقراتها، وكان ابن الشار يقرأ، فأومأت بها إليه، فقرأها، ووثب خجلا، فقدم الطعام وكان بعد ذلك يجهد جهده في أن يجيئه جحظة، فلا يفعل، ويقول لي: حتى يحفظ تلك السورة، ثم أجيئه)[2].

([1])ينظر : الراوي :الموقع و الشكل (دراسة في السرد الروائي)،يمنى العيد ،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٨٦: ٥٥-٥٦.

([2])البخلاء: ١٤٨-١٤٩/ والبيتان لجحظه البرمكي ينظر: ديوانه، جمع وتحقيق: جان عبدالله توما ،دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٧٢.

أيضا نجد أن أحداث هذا الخبر قد رتبت ترتيبا متتابعا ومتواليا وعلى النحو الآتي:

- دعوة ابن الشار لجحظة.
- حبسه للطعام.
- أخذ جحظة لدواة و رقعة و كتابته فيها شعرا.
- رميها لأبي بكر الربيعي الشاعر.
- قراءة ابو بكر لها و رميها لابن الشار.
- وثوب ابن الشار خجلا وجلبه للطعام.
- جهد ابن الشار في مجيئ جحظة إليه مرة اخرى.
- سخرية جحظة منه و رفض دعوته

فالسارد نسج أحداثه على شكل تسلسل خطي لا يتضمن الخبر حدثا أخر فهو يدور حول ما جرى بين ابن الشار و جحظة ومن دعاهم ابن الشار مبتدأ بمقدمة استهلالية أطرت للمادة الحكائية ومهدت لجريان المتن الحدثي وعرض ما جرى على جحظة من وقوع فعل البخل عليه وفق تسلسل سببي حيث قدمت الأحداث في الخبر في متوالية زمانية جاعلة من السرد تكوين روابط سببية بين الحدث وما يليه حيث يكون ما لاحق نتيجة لما هو سابق[1] ،فنجد أن كتابة جحظة للأبيات جاء نتيجة لتأخر الطعام و جلب ابن الشار للطعام كانت نتيجة لقراءته لأبيات جحظة وطلبه لجحظة بزيارته مرة أخرى كي يبرهن لجحظة أن ليس فيه بخلا، و اختتم السارد بسخرية جحظة من ابن الشار و نلاحظ أن السارد قد نوع ما بين الأحداث و الحوار و التداخل النصي الشعري في تصوير ونقل هذا الخبر للمتلقي ولو أن أحداث الخبر غير مقتصرة حول قضية البخل لوجدنا تناميا فيها و اتساعا ولكن السارد قد حدد منهجه مسبقا بجمع أخبار تحتوي على أحداث تدور حول قضية البخل وقد أبرز السارد في هذا الخبر ما تحمله شخصية ابن

(1) ينظر: السيمياء و التأويل ، روبرت شولز، ترجمة :سعيد الغانمي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١ ،١٩٩٤: ١١١.

الشار من بخل وذلك حينما أطر للخبر بمقدمة استهلالية ذكر فيها ما وقع على جحظة من فعل البخل و إن شعر جحظة جاء تعضيا على ما جرى له .

٢.نسق التضمين:

ويقصد به تضمين الخبر أو القصة قصة أو قصص فرعية أو داخلية[١] ،حيث تكون أحداث القصة الأم متداخلة مع أحداث قصة ثانية قد تكون بمعزل عنها ولكن هنالك ما يربط بين أحداث كلا القصتين كأن تكون إحدى الشخصيات هي الرابطة أو للأحداث علاقة بمجرى أحداث القصة الفرعية أو تشابه المواقف و استخلاص العبر، أما الغاية من ذلك أما أن تكون غاية جمالية أو سببية توضيحية وقد تكون تعضيدية ، وبإمكان الراوي الواحد أن يروي مجموعة من الأحداث فيعقد علاقات بينها و بين مقاطع حكائية أخرى مختلفة من حيث زاوية الرؤيا وهذا الأمر يتطلب معالجته بمهارة وفن[٢] ويتم الاعتماد في هذا النسق "على أكثر من حكاية ما تفرض على الشخصية المحورية القيام بأحداث مختلفة ،إذ تعمل حكاية ما على استيعاب حوافر و مؤثرات حكاية أخرى وهكذا تتوالى حكايات تتضمن مجموعة من المقاطع الحكائية تحتفظ كل واحدة باستقلالية عن الأخرى بوساطة شخصية مشتركة"[٣] ، وليس ضروريا أن يكون التضمين هذا محاطا بإطار يحدد بدايته ونهايته و لا بالضروري أن يكون مكتملا ويأتي دفعة واحدة كذلك تختلف العلاقة بين الضامن و المضمون في اختلاف الأخبار و القصص فقد تأتي الأحداث الفرعية مقطوعة الصلة بشخصيات الحكاية الأصلية و لا صلة بينهما سوى العبرة التي تحملها الحكاية الضامنة، وقد يريد السارد أن يقيم علاقات بين الحكايتين من خلال اشراك أحدى شخصيات من الحكاية الأساسية في الحكاية الأخرى الثانوية أو من الثانوية في الفرعية لوظيفة برهانية تقدم مثالا واقعيا على فكرة مطروحة[٤].

---

(١) ينظر : نظرية الأدب ، رنيه وليك، آوستن وآرن ،تعريب : عادل سلامة، دار المريخ ،الرياض ،المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢: ٢٥٧.

(٢).ينظر :بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد الحمداني المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ ،١٩٩١: ٤٩.

(٣) سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر و الملح والنوادر للحصري القيرواني، رائد حميد البطاط، تغريد خليل حامي،دار أمل الجديدة دمشق سوريا،ط١، ٢٠١٨: ٢٢٠.

(٤) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية: ٥٨.

ومن الأمثلة المذكورة في كتاب البخلاء هذا الخبر **(وأخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري، حَدَّثَنَا المعافى بْن زكريا الجريري، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن منصور الحارثي، حَدَّثَنَا الغلابي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبد الرحمن التيمي، حَدَّثَنَا هشام بْن سليمان المخزومي، قَالَ: " كان عرقوب رجلا من الأوس فجاءه أخ له، فقال: إذا أطلعت هذه النخلة فهي لك. فلما أطلعت، قَالَ: دعها حتى تصير بلحا، فلما صارت بلحا، قَالَ: دعها حتى تشقح. فلما أشقحت، قَالَ: دعها حتى تصير رطبا. فلما صارت رطبا، قَالَ: دعها حتى تصير تمرا. فلما صارت تمرا، جاء ليلا فجدها، ولذلك قَالَ جبيهاء الأشجعي، {من الطويل}:**

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

فضربته العرب مثلا في إخلاف العدات ".

وقد ذكره كعب بْن زهير في كلمته التي قالها في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومدحه فيها، واعتذر إليه، وأظهر توبته من سالف كفره، ورغب إليه في عفوه عنه وإعفائه إياه مما توعده به، فقال في ذلك، {من البسيط}:

نبئت أن رسول اللَّه أوعدني والعفو عند رسول اللَّه مأمول

وبيته الذي ذكر فيه عرقوبا في هذه الكلمة، قوله:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل)[1].

حيث أورد السارد هنا خبرا متعلقا بشخصية عرقوب وما أدته هذا الشخصية من دور مهم في تكوين أحداث هذا الخبر حيث نسجت جميع أحداث هذا الخبر حوله فهو من وعد الرجل بإعطائه تمرا و هو من اخلف الوعد وماطل وتحايل وخدع الرجل حيث جاء ليلا ليجتذ التمر و أخلف وعده للرجل بخلا منه و لؤما، فقد أورد السارد هذا الخبر لإظهار ما تحمله شخصية عرقوب من بخل وكذب ولكن تبقى سمة البخل هي التي أراد السارد اظهارها لأنها ثيمة الكتاب ومن ثم أورد السارد خبرا آخر له علاقة بالخبر الضامن إذ يكشف فيه ما جرى مع كعب بن زهير حينما جاء معتذرا لرسوال الله (ص) بقصيدة البردة وقد جاء فيها بيت يذكر فيه عرقوب

(1) البخلاء: ١٢٩-١٣٠/ والبيتان لكعب ابن زهير :ينظر ديوانه ،تحقيق :علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،١٩٩٧: ٦٢-٦٥.

وهو الشخصية الرئيسية للخبر الضامن حيث إن هذه الشخصية في قصيدة كعب و إيراد السارد لما جرى مع كعب مع ذكر ما ذكره فيما يخص شخصية عرقوب قد أعطى للأحداث الأولى بعدا ومرجعية تاريخية و واقعية فقد عضد شعر جبيهاء الأشجعي ما جرى من أحداث و ما ضرب في عرقوب من مثل ثم جاء كعب بن زهير ليعضد ذلك أكثر و إن تعضيد كعب قد أعطى لهذه القصة بعدا زمنيا حيث أصبح النص محددا بحقبة ما قبل الإسلام فمن خلال هذين الشاعرين نعلم إن عرقوبا قد عاش قبل الإسلام ،أما الغاية من ذكر عرقوب هي لتصوير ما تحمله هذا الشخصية من بخل و أيضا الغاية من ذكره هو أخذ العبرة من قضية البخل و مسألة إخلاف العهد، ونلاحظ إن كلا الحدثين قد ربطت بشخصية عرقوب وقد جاء بها السارد ليضفي قيمة مركزية مشتركة على الطرفين بارتداد الواحد منها على الأخر[1]فلم يؤتى بحدث خارجي لا يرتبط بالحدث الضامن بل جاءت الأحداث الفرعية مترابطة مع الخبر الرئيس عن طريق الشخصية الرئيسية.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرني أبو الحسين مُحَمَّد بْن الحسين بْن الفضل القطان، أنبأنا أبو بكر مُحَمَّد بْن الحسن بْن زياد النقاش، أن مسبح بْن حاتم أخبرهم بالبصرة، قَالَ: أخبرني عمرو بْن بحر الجاحظ، قَالَ: أخبرني سعيد بْن سلم الباهلي، قَالَ: دخل على بشار بْن برد يوما، فقال: إني قد امتدحتك وأعزك اللَّه، بقصيدة لم يقل مثلها عربي ولا أعجمي، وإني فيها لأشعر الناس.**

قَالَ: قلت: هاتها، قَالَ: فأنشدني، {من الخفيف}:

حييا صاحبي أم الـــــــعلاء	**واحذرا طرف عينها الحـــوراء**
عذبتني بالحب عـــذبها الله	**بما تشتهي من الأهـــــــواء**
إنما همة الجواد ابن ســـلم	**في عطاء ومركب لـلـــــــقاء**
ليس يعطيك للرياء وللـــخوف	**ولكن يلـتذ طعم الـــــــعطاء**
يسقط الطير حيث ينتثر الحب	**وتغشى منازل الـــــــكرماء**

(1) ينظر :الصورة –الحركة أو فلسفة الصورة ،جيل دولز، ترجمة حسن عودة، منشورات وزارة الثقافة- المؤسسة العامة للسينما، دمشق ،١٩٩٧: ٧١.

قال: فقلت: يا بشار، أراك تبجح في شعرك، وقد جاءني أعرابي منذ مدة، فمدحني ببيتين لم أسمع أجود منهما، فأغفلت ثوابه فهجاني ببيتين لم أسمع أوجع منهما. قَالَ: فقلت: فما البيتان اللذان امتدحك بهما؟ قَالَ: قوله،{من الطويل}:

فيا سائرا في الليل لا تخش ضلة سعيد بْن سلم ظل كل بلاد

لنا سيد أربى على كل ســـــــيد جواد حثا في وجه كل جواد

قال: قلت: فما البيتان اللذان هجاك بهما؟ قَالَ: قوله، {من الطويل}:

لكل أخي مدح ثواب يـــــعده وليس لمدح الباهلي ثـواب

مدحت سعيدا والمديح مهزة فكان كصــفوان عليه تراب

قال: فقال بشار: وهذا أشعر مني ومن أبي وأمي)[1] .

إن السارد قد أورد في هذا الخبر ما جرى من أحداث بين بشار بن برد وبين سعيد بن سلم الباهلي ،حيث عرض لنا الخطيب البغدادي ما قاله بشار بن برد لسعيد وما مدحه به من قصيدة أراد بها أن يحصل على عطائه فلم تعجب القصيدة سعيد بن سلم الباهلي ثم سرد عليه سعيد أحداث أخرى جرت معه وذلك حينما جاءه أعرابي مدحه بقصيدة و ذمه بأخرى فقد ضمنت الأحداث الأولى التي جرت بين بشار و سعيد بن سلم الباهلي بأحداث أخرى جرت بين سعيد و الأعرابي فكانت شخصية سعيد هي رابطا سببيا يجمع بين نسيج الخبر الضامن مع أحداث الخبر المضمن فحذف هذه الشخصية قد يخل بالترابط السببي[2] ، فوظف السارد شخصية سعيد لتوسيع الأحداث وسد الفراغ الذي قد يصيب النص حينما ينقطع الخبر الأم ،إن إدخال أحداث ما جرى بين بشار وسعيد بأحداث ما جرى بين سعيد و الأعرابي جاءت لسبب تعضيدي برهن به سعيد لبشار أن ما قاله من شعر ليس على القدر الذي وصف به بشار نفسه حيث كان شعره جيدا ولكن هناك من هو أشعر منه و قد أثبت ذلك لبشار من خلال سرد ما وقع من أحداث بينه وبين الأعراب و أنشده ما قاله الأعرابي في حقه و قد أعترف بشار بأن هذا الأعرابي أشعر منه

([1]) البخلاء: ١٣٣-١٣٤.

([2]) ينظر: الشعرية، تزفيطان طودوروف، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب ، ط٢، ١٩٩٠: ٦٩.

حيث عضد سعيد بن سلم رأيه في بشار حينما أخبره بأنه يتبجح في شعره عن طريق ذكر هذه التفاصيل.

وعليه فإن لنسق التضمين حضورا في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي إذ أورد الخطيب البغدادي أخبارا تحتوي على أحداث متداخلة مع أحداث أخرى لها علاقة بإحدى شخصيات الخبر الرئيس وكان الغاية من إيراد أحداث متنوعة داخل الخبر الواحد هي إيصال فكرة للمتلقي بأن السارد على مقدرة من نسج الأحداث مع أحداث أخرى وذلك بواسطة أحدى شخصيات العمل وأيضا إن السارد لديه معلومات وسعة إطلاع على ما جرى مع هذه الشخصية حيث يذكر له عدة وقائع مع عدة أشخاص كما ذكرنها في خبر عرقوب إذ تتبع السارد ما جرى لعرقوب في العصر الجاهلي و ما ذكره كعب بن زهير وهو شاعر مخضرم في شعره ،كذلك نستطيع القول بأن السارد حينما يسرد أكثر من حدث داخل إطار القصة أو الخبر الواحد يريد أن يخرج المتلقي من الملل و السؤم الذي قد يصيبه جراء ذكر تفاصيل واحدة حيث تكون الغاية هنا غاية جمالية تنوعية هدفها ارضاء المتلقي أو تكون الغاية هي تتمة لتحقيق أهداف أراد السارد إيصالها ولم تسعفه تفاصيل الحادثة الأولى فلجأ إلى إدخال أحداث ثانية يتم من خلالها إيصال الفكرة للمتلقي وذلك بذكر أحداث أخرى و ربط بعضها ببعض عن طريق أحدى الشخصيات و هذا ما جرى في الخبر الذي ذكرناه والذي صور لنا ما حدث مع سعيد بن سلم الباهلي و بشار حيث إن التفاصيل الأولى لم توضح ما تحمله شخصية سعيد بن سلم من بخل حيث دارت الأحداث فقط على ما مدح به بشار سعيد من سلم و ما قاله سعيد في حق بشار ولكن الخبر الثاني قد وضح للمتلقي ما تحمله شخصية سعيد بن سلم من بخل حيث لم يعط للأعرابي حقه حينما مدحه لذلك اضطر الأعرابي إلى هجائه و تصوير هذه الشخصية من بخل وقد ذكر السارد هذه الحادثة لكي يتم من خلالها ربط أحداث الخبر مع ما وضع الكتاب لأجله حيث تصبح أحداث هذا الخبر دائرة حول قضية البخل فالأعرابي قد وقع عليه فعل البخل لذلك نجده قد سخر من سعيد بن سلم وهجاه.

٣. نسق التكرار:

ويقصد به عودة السرد إلى تكرار حدث واحد إذ يوظف للتعبير عن حالات و وجهات نظر فيتكرر النص مع الاختلاف في الاسلوب الذي عبر به مسبقا أو مع اختلاف في سير

المضمون[1] إن السارد لم يكتف بتقديم بعض الأحداث مرة واحدة و إنما يعتمد نظاما يكرر فيها هذه الأحداث لأكثر من مرة تبعا لعدد الشخصيات المشاركة في المادة الحكائية ويمتاز هذا النسق بأن المتن فيه تعاد روايته وهذا يؤدي إلى ضمور قد يصيب حركة سير الأحداث[2] ،ومن الأمثلة على هذا النوع في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر **(أخبرني أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا أبو بكر بْن الأنباري، حَدَّثَنَا أبي القاسم بْن مُحَمَّد الأنباري، حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّد عبد اللَّه بْن قحطبة الصلحي، أخبرنا أبو حاتم الرازي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أبي الفضل، حَدَّثَنَا سعيد الوراق، قَالَ: " كان للأعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل، يقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحا. فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم، فوافق جوع الأعمش، فقال: مر بنا. فدخل عليه، فقرب إليه كسرة وملحا، إذ سأل سائل، فقال له رب المنزل: بورك فيك! فأعاد إليه المسألة، فقال له: بورك فيك! . فلما سأل الثالثة، قَالَ له: اذهب، وإلا خرجت إليك بالعصا. قَالَ: فناداه الأعمش، فقال: أذهب ويحك، فلا واللَّه، ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه، هو منذ سنة يعدني على كسرة وملح، فلا واللَّه، ما زادني عليهما)**[3] .

فالسارد يقوم بعرض ما جرى من أحداث مع الأعمش إذ يبتدأ بسرد تفاصيل الخبر من دعوة جار الأعمش له و رفض الأعمش لهذه الدعوة وتكرار الدعوة عليه وقبول الأعمش بسبب جوعه سردا تسلسليا ومن ثم نجد أن السارد يتوقف وسط هذا السرد ليكرر ما حدث بين السائل وجار الأعمش إذ كرر ذلك عدة مرات ونجد أن السارد لم يختزل أو يحذف هذا التكرار إذ أراد بذلك أن يبرهن و يوضح و يؤكد للمتلقي على شدة ما يحمله جار الأعمش من بخل إذ رغم تكرار السائل عليه وإلحاحه بالمسألة إلا أن جار الأعمش بقي ثابتا على موقفه ولم يعطه شيئا في المرتين أما في المرة الثالثة قام بتهديد السائل إذ لم يرحل بضربه بالعصا ،إن هذه التكرار مع الأحداث التي جرت مع الأعمش تثبت و توضح شدة بخل جاره لذلك كان ضروريا من السارد الابقاء عليها إذ أسهمت في رسم صورة في ذهن المسرود له عما حملته هذه الشخصية من بخل.

---

(1) ينظر :معجم مصطلحات نقد الرواية: ٦١.
(2) ينظر المتخيل السردي: ١١١-١١٢.
(3) البخلاء: ٩١.

وعلى نحوه الخبر هذا **(أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، قَالَ: أخبرني أبي، أن أبا عبد اللَّه بْن أَحْمَد بْن سعيد حدثه، أن العسكري حدثه، قَالَ: " كنت أكتب لأبي أَحْمَد بْن ماذويه الأهوازي، وهو يومئذ عامل خوي أرذك والأنهار، وكان من أبخل من رأيت على شيء من المأكولات، وكان يحتبسني للأكل، فأجلس معه على الطعام، ولا آكل كثير شيء، فاحتبسني يوما وعنده جماعة، فأكلوا وأكل، وجريت على عادتي في التنقير، وكان الطعام أرزة جدي مشوي ولونين، من أطرافه وسقطه، فلما فرغنا من ذلك أقبل غلامه وعلى يده طيفورية فيها الجدي، فأقبل هو علينا، فقال: أما أنا فقد شبعت، ولم يبق في فضل، فما تقولون أنتم؟ فقلت: أما أنا فقد شبعت. فقالت الجماعة كقولي. قَالَ فنجعل الجدي لغد ونأكله مبردا. فقلت: هذا هو الصواب. فقال: ما أظنكم إلا وفيكم فضلة للأكل، وإنما قلتم قد شبعتم مساعدة لي. فقلت لا واللَّه يا سيدي، ما في فضل. فقال للذي يليني: ما تقول؟ فقال: ما في فضل. فقال لو كنت شبعان لحلفت كما حلف أبو عبد اللَّه. فحلف الرجل الرجل أنه شبعان، فقال للآخر الذي إلى جانبه، فحلف، فلم يزل يستقري واحدا واحدا، ويحلف أنه شبعان ومن لم يحلف، قَالَ له: لو كنت شبعان لحلفت. فيحلف الرجل، فلما استوثق من جماعتنا بالأيمان، وثلج صدره أنه لا حيلة لأحد منا في الأكل، قَالَ: أما أنا فقد تتبعت نفسي أكل شحم كلاه حارا. فقلنا له: كل هناك اللَّه. فقال: يا غلام، ضع الطيفورية. فتركت بين يديه، فأكل أكثر الجدي وحده، وأمر برفع باقيه وحفظه)**[1].

فنجد أن السارد ذكر ما جرى من أحداث مستهلا بمقدمة وصفية عن شخصية أبي أحمد ماذويه الأهوازي، ومن ثم نجده يقف على تفاصيل الأحداث وكيف كان يحبس العسكري عن الطعام، و سرد ما جرى من أحداث عن هذه القضية، وكرر السارد ما فعله أبو أحمد ماذويه إذ كان يستحلف جميع الحاضرين، ونجد أن السارد لم يكتف بالإشارة إلى ذلك بل يذكر ما جرى و يوضح ذلك للمتلقي من خلال إبقائه على إشارات وعبارات مثل (فقال للذي يلني) و(قال للأخر) ويكرر ذلك أكثر من مرة جاعلا من المتلقي أن يشعر" بأن الحدث أي حدث ليس فقط له أمكانية أن ينتج ، ولكن أن يعاد إنتاجه أي يتكرر مرة أو عدة مرات في النص الواحد"[2]

([1]) البخلاء:١٤٣-١٤٤.

([2]) تحليل الخطاب الروائي ،سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط٣، ١٩٩٧: ٧٨.

ليرسم هذا التكرار صورة في ذهن المتلقي عما تحمله هذه الشخصية من شدة في البخل وحرصه البالغ على الطعام وذلك من خلال أخذ المواثيق من الحاضرين على عدم مشاركته في الطعام إن هذا التكرار جاء معضدا ملما قدم له السارد من مقدمة استهلالية حول ما تحمله هذه الشخصية من بخل على الطعام وقد أدى التكرار دورا في تصوير ذلك ، ومن خلال ذلك نستنتج إن للتكرار حضورا في أخبار البخلاء للخطيب البغدادي إذ وظف السارد نسق التكرار لرسم ما تحمله الشخصيات من بخل فالتكرار على أفعالها يوضح شدة بخلها.

وعليه فقد جاءت أغلب أخبار الكتاب بنسق متتابع في بنائها مترابط في وحدته فلم يتلاعب السارد في تسلسل وقوعها وهذا التوالي و الترابط مبني على أساس علاقة سببية فيما بينها إذ تماسكت حلقاتها بارتباط السابق باللاحق ،ولم يخلو الكتاب من أنساق بناء الحدث الأخرى فكان لنسق التضمين حضورا في بعض الأخبار وكان الغاية من إيراد هذا النسق هي إيصال فكرة للمتلقي بأن السارد على مقدرة من نسج الأحداث مع أحداث أخرى وداخل الخبر الواحد وذلك بواسطة أحدى شخصيات العمل ،وأيضا تعريف المسرود له بأن لديه معلومات وسعة إطلاع على ما جرى مع هذه الشخصية حيث يذكر لها عدة وقائع مع عدة أشخاص أخرين، وقد ورد أيضا نسق أخر في أخبار الكتاب و هو نسق التكرار حيث أراد السارد بذلك رسم ما تحمله الشخصيات من بخل ،فهذا التكرار على أفعالها يوضح شدة بخلها.

المبحث الثالث

الزمان و المكان

إن الزمان و المكان عنصران مهمان من عناصر الدراسات السردية فلابد من تسليط الضوء عليهما في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي كون إن دراسة الخبر هي جزء من دراسة السرد، ، أما السبب الذي حال دون استقلالهما في مبحث منفرد، هو طبيعة الأخبار التي احتواها كتاب البخلاء إذ جاءت أغلبها ذات طابع سردي مقلص وقصير وتخص قضية واحدة (قضية البخل) فكان لابد من وضع الزمان والمكان في مبحث واحد يسلط الضوء على هاتين التقنيتين في الكتاب وفقا لطبيعتهما، و تختلف طبيعة الزمان و المكان باختلاف الأجناس السردية فقد يكون ملمحا بارزا في العمل و أحيانا لا يكون كذلك فقد " يدفع ضيق المكان و الزمان... الكاتب إلى الاعتماد في الأسلوب على التركيز و الإيحاء"[١] .

ونجد أن الزمان و المكان شغلا حيزا في الدراسات السردية توصل فيها الباحثون إلى كم هائل من التعريفات و النظريات لا يسع المجال لذكرها كلها ولكن سنذكر منها ما يتلاءم مع هذا الدراسة

الزمان

يعد الزمان عنصرا من أهم العناصر السردية و ركنا من أركانها فهو أشبه بالخيط الذي" يربط الأحداث ببعضها و يؤسس لعلاقات الشخصيات مع بعضها"[٢] فينظم العملية السردية وفق معين حتى لا تتشابك الأحداث و تتداخل عند المتلقي فتفقد قيمتها الجمالية و الدلالية و الإبداعية، وعليه يمكن تعريف الزمان بـ" نظام تلك العلاقات المتتابعة لكل حدث مع الآخر كالماضي و المضارع و المستقبل ، فهو غير محدد بل دوام و مستمر ويعتبر بذلك الذي يتبع فيه الحدث الحدث الأخر "[٣] ، وهو بمثابة الإطار للسرد حيث" لا سرد دون زمن فمن المتعذر أن نعثر على سرد خال من الزمن"[٤] ، و يعد القص "أكثر الأنواع السردية التصاقا بالزمن"[٥] . إذ لا

---

(١) في النقد الأدبي الحديث :١٣٤.
(٢) في نظرية الرواية: ١٩٣.
(٣) معجم المصطلحات الأدبية: ١٤٧.
(٤) بنية الشكل الروائي: ١١٧.
(٥) بناء الرواية: ٣٧.

يمكن إهمال العنصر الزمني لأي قصة كون لا بد من أنها حدثت في زمان معين، و يعد الشكلانيون الروس من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب و عملوا على بعض جوانبه على الأعمال السردية الأخرى فقد جعلوا نقطة ارتكازهم ليست طبيعة الأحداث في ذاتها و إنما العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث وتربط أجزائها[١] ، وقد تناول تودوروف هذا المسألة بشكل مفصل وقد ميز بين نوعين من الأزمنة في النص هي الأزمنة الخارجية وتشمل زمن الكاتب ، و زمن القارئ ،و الزمن التاريخي ، أما الداخلية فتشمل زمن القصة ، زمن الكتابة ، وزمن القراءة [٢]، وهذه الأزمنة معقدة و مختلفة نسبيا عن الأزمنة النحوية ، فزمن الكاتب يعني المرحلة الثقافية و الأنظمة التمثيلية التي ينتمي إليها المؤلف ، و زمن القارئ هو المسؤول عن التغيرات الجديدة التي تعطي لأعمال الماضي ، و الزمن التاريخي و يظهر في علاقة التخيل بالواقع ، أما زمن القصة فهو الخاص بالعالم التخيلي ، وزمن الكتابة و السرد هو المرتبط بعملية التلفظ ، و زمن القراءة أي ذلك الزمن الضروري لقراءة النص [٣] ،و على ذلك " يصير الزمن إنسانيا بقدر ما يتم التعبير عنه من خلال طريقة سردية ، ويتوفر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطا للوجود الزمني"[٤] ، وللزمن أهمية في تنظيم العلاقات الرابطة بين الأحداث و الشخصيات و الأمكنة حيث يعمل على بلورتها و مزجها من أجل تحقيق الخطاب الذي يمنحه شكله و صورته النهائية ...وهو شرط أساسي ليكمل بنية السرد الذي لا يمكن انتاجه كغيره من الأشياء الأخرى ، إلا داخل الزمن الذي يعطيه ديمومة و فاعلية للتحرك ، إذ لا سرد دون زمن"[٥]، كما إنه "يترتب عليه عناصر التشويق و الإيقاع و الاستمرار، ويحدد في الوقت نفسه دواع أخرى محركة مثل السببية و اختيار الأحداث"[٦] ، فهو أشبه بالإيقاع الموسيقي للمنجز السردي إذ" يقيسه و يقسمه ويجعله ثمينا ، مسليا ، حافلا بالأحداث ...كما إنه عنصر السرد الروائي الذي يتتابع و يتعاقب فيه حتى لو حاول أن يكون حاضرا كله في لحظة معنية"[٧]،و

---

(١) ينظر: بنية الشكل الروائي: ١٥٧.
(٢) ينظر: انفتاح النص الروائي(النص والسياق)،سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب،ط٢، ٢٠٠١: ٤١-٤٢.
(٣) ينظر: بنية الشكل الروائي: ١١٤-١١٥.
(٧) الزمن و السرد (الحبكة والسرد التأريخي)، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ،لبنان،ط١، ٢٠٠٦: ٩٥.
(٥) الهوية والسرد، بول ريكور، ترجمة :حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع،٢٠٠٩: ١٣٢.
(٦) بناء الرواية: ٣٨.
(٧) لحظة الأبدية(دراسة الزمان في أدب القرن العشرين)،سمير الحاج شاهين ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،ط١، ١٩٨٠: ٢٠-٢١.

أيضا يساعد الزمن القارئ من تحديد العتبة الزمانية كي لا يتلف العمل فهو يوجهه في بناء مضمون النص و في فهم مجريات الأحداث فهو يرتب نسج الخطاب السردي[١].

وقبل التحدث عن تقنيات الزمن لا بد من الإشارة و التنويه على أن أغلب النصوص الخبرية التي وردت في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي إن لم تكن كلها قد خلت من الزمن النفسي كون إن هذه الأخبار لم تخرج عن منهجية جمعها فهي أخبار تخص البخل و البخلاء ،فالزمن الذي جاء في هذه الأخبار هو زمن طبيعي و دلالاته واضحة يذكر السارد بعض أوقاته على عكس الزمن النفسي ، اذ إن الفرق بينهما يكمن في أن الأول يمكن قياسه ،أما الثاني فهو متعلق بالشخصية لا يخضع لمعايير موضوعية وهو غير قياسي[٢].

أما من ناحية تقنيات الزمان المستعملة في الأخبار التي حملها الكتاب فهي كالآتي :-

١.الترتيب :-

ويعرف بـ" مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها بالقصة"[٣] ، إذ من المستحيل ان تكون كل القصص ذات طابع ترتيبي واحد فتصبح القصة مجرد تقليد تتغير فيه الأحداث و الشخصيات فيها نوع من الرتابة و الملل، لذلك يعمد السارد إلى التلاعب بتقنيات الزمن وبحسب معايير ذوقية وجمالية لديه ليضفي من خلال الزمن عنصر التشويق و الإثارة على الأحداث وهو عمل لا يؤثر على مجرى الأحداث من حيث طبيعتها ولكن يؤثر من حيث صياغتها وترتيبها ، إن هذا الترتيب و التتابع يُمكن للراوي من ذكر عدة أحداث لعدة شخصيات داخل المنجز السردي الواحد إذ يوظف تقنية "يجعل من الشخصية التي تعيش حاضرا ما تتذكر حادثا أو أمرا وقع لها في الماضي فتحكي عنه، أو كأن يدخل قصّه حكاية عن الماضي ، فيضمن إذ ذاك حكايته حكاية أخرى أو حكايات أخرى أو كأن يورد سياق حاضر قصّه وعلى سبيل التدليل أو الشهادة"[٤] .

---

(١) ينظر : الهوية و السرد: ١٣٢.
(٢) ينظر: في نظرية الرواية: ١٧٦.
(٣) خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ،جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم، عبدالجليل الازدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢، ١٩٩٧: ٤٧.
(٤) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي ،بيروت لبنان، ط٣، ٢٠١٠: ١١٣.

وهكذا يتبنى عرض الأحداث على ترتيب يكون أما باستباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة ، أو استرجاعا لإحداث ماضية[١].

وسنقف في هذا المبحث على كلا التقنيتين لتوضيح ما ورد من أخبار نستطيع أن نصوغ أمثلة تطبيقية عليها:-

أ.الاسترجاع :

هو" مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر"[٢]، "إذ يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها"[٣].

إن الاسترجاع هو انقطاع سلسلة الأحداث المتتابعة زمانيا فتخلي مكانا له[٤]، حيث يتم إعادة الأحداث إلى الماضي مما يفتح النص على أحداث أخرى و شخصيات أخرى تحمل للمتلقي شيئا من التغيير أو التوضيح لأمور لم يكن على علم بها أو تكون الغاية منه جمالية فيها بعض من المفاجئات و التشويق، ومن الأمثلة على تقنية الاسترجاع في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر (**أخبرنا أبو يعلى أَحْمَد بْن عبد الواحد الوكيل، حَدَّثَنَا إسماعيل بْن سعيد بْن سويد المعدل، حَدَّثَنَا أبو علي الحسين بْن القاسم الكوكبي، قَالَ: قَالَ لي أبو العباس المبرد: قيل لأبي الحارث جمين: لو لقيت فلانا لحباك ونالك ببر، واستظرفك. قَالَ: قد أتيته فوجدته ألفا. قَالَ: وما ألف؟ قَالَ: ألف نصف لا وهو ثلث لاش. قال: وقيل له مرة: بلغنا أنك صرت إلى نصر بْن رستم، فكيف وجدته؟ قَالَ: مشجب. قيل: وما معنى مشجب؟ قَالَ: من أين أتيته رأيت "لا")**[٥] .

فالخبر يحمل استرجاعا في الزمن إذ يبدأ السارد من إخبار شخص ما لأبي الحارث جمين بالذهاب إلى شخصية ما مجهولة لم يذكر السارد لنا اسمها (فلان) لعله يستظرفه وينال أبو الحارث منه براً ،ليرجع أبو الحارث جمين بالسرد إلى الوراء ويخبره بأنه قد لقيه (قد أتيته فوجدته....) فالفعلان (اتيت ، وجدت) يدلان على حدث وقع وانقضى في زمن الماضي وهذا

---

(١) ينظر: بنية النص السردي: ٧٤.
(٢) قاموس السرديات: ١٦.
(٣) بناء الرواية: ٥٨.
(٤) ينظر: قاموس السرديات: ١٦.
(٥) البخلاء: ٦٩.

الاسترجاع قد وظف لإعلام القائل إنه قد لقي (فلان) فقد كشف الاسترجاع لنا عما حدث مع أبي الحارث جمين حينما لقيه و ما حملت شخصية (فلان) من بخل ومن الملاحظات التي تسجل على الاسترجاع هي السرعة المتزايدة التي أعاد بها السارد الزمن إلى الماضي و انضغاطه[1] ، ولعل سبب ذلك هو قصر الخبر الذي لا يحتمل أن يكون فيه الاسترجاع واسعا و أيضا اختصار أبي الحارث جمين الكلام بجواب على قدر السؤال ، فكل هذا كان له دور في تقليص السرد وانعكاس ذلك على الزمان ايضا.

وأيضا من الأخبار التي فيها استرجاع هذا الخبر **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، أنبأنا مُحَمَّد بْن الحسن الدقاق، عن جعفر الخلدي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مسروق، حَدَّثَنَا إبراهيم بْن عبد الرحمن الطائفي، حدثني أبو جعفر مُحَمَّد بْن الأصبغ الحارثي، قَالَ: سمعت عمي، قَالَ: " كان زبيدة بْن حميد الصيرفي استلف من بقال كان على بابه درهمين ونصف دانق، فقضاه بعد ستة أشهر درهمين وثلاث حبات شعير، فاغتاظ البقال، فقال: سبحان اللَّه، أنت رب مال، وأنا بقال أملك مئة فلس، وإنما أعيش باستفضال الحبة والحبتين، وإنما صاح على بابك جمال وحمال فلم يحضرك شيء، وغاب وكيلك، فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات، فتقضيني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات! ؟ فقال له زبيدة: يا مجنون، أسلفتني في الصيف وقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربع شعيرات صيفية، وما أشك أن معك فضلا كثيرا)**[2].

حيث يبدأ الخبر هنا بذكر ما جرى على البقال من ضرر بسبب بخل زبيدة بن حميد الصيرفي حيث إنه استلف من البقال درهمين ونصف دانق ثم قضاه بعد مدة طويلة درهمين و ثلاث شعيرات مما أثار البقال وجعله يسترجع الزمن إلى الوراء ليذكر زبيدة بما جرى من أحداث متخذا من تقنية الاسترجاع وسيلة للعودة إلى الأحداث، وغاية ذلك هو التذكير ساردا ما جرى حيث صاح على باب زبيدة قبل ستة أشهر حمال وجمال ولم يحضر زبيدة شيء و غاب وكيله فنقد البقال عنه درهمين و أربع شعيرات إذ استعمل البقال الفعلين (صاح) و(نقدت) وهما فعلان

([1]) ينظر :نظرية السرد ما بعد الحداثية، مارك كوري، ترجمة: السيد إمام، دار شهريار، البصرة العراق، ط٢، ٢٠٢٠: ١٢١.

([2]) البخلاء:٩٤-٩٥.

ماضيان ليعيد السرد إلى الوراء وهي مدة استغراقية طويلة طولها (ستة أشهر) ولكن سعتها قصيرة حيث يبلغ سعتها في الخبر فقرة واحدة ووظف الاسترجاع هنا "في الإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانبا فاتخذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في القصة "[1] ، ففي النص أشار البقال إلى سبب استلاف زبيدة بن حميد المبلغ منه إذ لم يذكر في بداية السرد سبب ذلك و لكن الاسترجاع وضح ذلك لاحقا.

ويمكن أن نورد الخبر الآتي مثالا آخر على الاسترجاع **(أخبرنا أبو يعلى أَحْمَد بْن عبد الواحد الوكيل، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد المعدل، حَدَّثَنَا أبو علي الحسين بْن القاسم الكوكبي، حَدَّثَنَا المبرد، قَالَ: " قيل لأبي الحارث جمين: تغديت عند فلان؟ قَالَ: لا، ولكنني مررت ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمت ذلك قَالَ: رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء)**[2].

فالخبر هنا يبتدأ باستهلال حواري عن طريق سؤال أبي الحارث جمين إن كان قد تغدى عند فلان فأجاب أبو الحارث جمين بـ"لا" ثم استرجع أبو الحارث الزمن إلى الوراء ليخبرهم إنه قد مر به و هو يتغدى ففعل المرور هو ملمح من ملامح الاسترجاع ،إن الحوار الذي دار بين أبي الحارث جمين ومن سأله يدل على الاستمرارية في الكلام أما الفعل (مررت) فهو يدل على حدث انقضى حيث كسر الحاضر بواسطة الجواب عن حدث انفتح على الماضي و وفق نظام السؤال و الجواب عن أحداث جرت في الماضي ولد خبرا و أصبح له شكل متماسكا و متناسقا في تماسكه[3].

وعليه فإن أخبار كتاب البخلاء قد احتوت على تقنية الاسترجاع على شكل مبسط وليس فيه تعقيد كما هو الحال في الأنواع السردية الأخرى كالروايات و القصص وكانت وظيفة الاسترجاع في هذه الأخبار وظيفة توضيحية كما حدث في الأخبار التي خصت أبا الحارث جمين حيث وضح أبو الحارث عن طريق الاسترجاع ما جرى له للسائل الذي يسأله في كلا الخبرين إذا كان

([1]) بنية الشكل الروائي: ١٢٢.
([2]) البخلاء : ٩٧.
([3]) ينظر :تقنيات السرد في ضوء المنهج البنيوي: ١٢٣-١٢٤.

قد (لقي فلان) أو (مر بفلان) أما الخبر الذي يخص زبيدة بن حميد الصيرفي فقد استرجع البقال فيها الأحداث ليذكر زبيدة بما جرى من خلال العودة إلى الماضي.

ب. الاستباق:

وهي تقنية من تقنيات الزمان ويقصد بها " عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آتٍ أو الإشارة إليه مسبقا وهذه العملية تسمى النقد التقليدي بسبق الأحداث "[١] ، فالاستباق إذن عكس عملية الاسترجاع إذ ينطلق الراوي بنا نحو المستقبل ممهدا لما سيأتي من أحداث أما الاسترجاع فهو عودة الراوي إلى الوراء في استرجاعه لأحداث حصلت في الماضي، "إن الاستباق يعني فيما يعنيه الولوج إلى المستقبل ، إنه رؤية الهدف أو ملامحه قبل الوصول الفعلي إليه، أو الإشارة إلى الغاية قبل وضع اليد عليها"[٢] ، إذ يقلب الاستباق نظام الأحداث وذلك عن طريق تقديم متواليات حكائية سابقة بالحدوث على أخرى وبعبارة أخرى أي التطلع على أحداث أو إعطاء خيوط عن أحداث ما ستحصل فيها مستجدات و قفزها على فترة ما من زمن القصة [٣] ، وتجدر الأشارة إلى أن الاستباق قد " يؤدي إلى قتل عنصر التشويق و المفاجأة الفنيين ، لدى المتلقي حيث يعلن الراوي التقليدي عن الأحداث قبل وقوعها في حين إن التوقع الذي ليس بالضرورة أن يتحقق كله أو بعضه يحافظ على بقائهما"[٤] ، أما إذا جاء الاستباق كتمهيد الغاية منه " التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث ...فتكون المناسبة منه سانحة لإطلاق العنان للخيال و معانقة المجهول و استشراف آفاقه"[٥] ،حينها يصبح الاستباق أشبه بالعتبة التمهيدية التي تهيء القارئ لما سيأتي من أحداث كي يتفاعل معها ، ومن الأمثلة على الاستباق في كتاب البخلاء هذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن المرزباني، قَالَ: حدثني أَحْمَد بْن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء مُحَمَّد بْن القاسم اليمامي، قَالَ: " كان مروان بْن أبي حفصة من أبخل الناس، خرج يريد الخليفة المهدي، فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قَالَ: إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما. فأعطي ستين ألفا، فدفع إليها أربعة دوانيق! وكان قد**

([١]) مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية ،بغداد،١٩٨٦: ٧٦.

([٢]) إيقاع الزمن في الرواية العربية، المعاصرة، أحمد حمد النعيمي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤: ٣٨

([٣]) ينظر: بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

([٤]) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: ١٢٠-١٢١.

([٥]) بنية الشكل الروائي: ١٣٣.

اشترى يوما لحما بدرهم، فدعاه صديق له، فرد اللحم على القصاب بنقصان دانق، وقال: أكره الإسراف .وهجاه بعض الشعراء، فقال {من الطويل}:

وليس لمروان على العرس غيرة ولكن مروانا يغار على القدر) [1] .

حيث نجد أن السارد قد فتح الخبر بوصف لشخصية مروان ومن ثم انتقل للحوار بين شخصية مروان بن أبي حفصة و المرأة فكان في الحوار استباقا لأحداث قد تحصل في المستقبل و ذلك من خلال قول مروان للمرأة (أن أعطيتُ مائة الف) فالسارد لمح إلى المستقبل عن طريق الاستباق بوساطة شخصية مروان وهذا التلميح لم يقتل هذا العنصر بل زاده فجهل المتلقي بالأحداث سيجعله متواصل في قراءته للخبر من دون توقف للوقوف على علة الاسباب حيث كان للاستباق دور مهم في خلق حالة انتظار عند المتلقي[2] ، وهيئته في استقبال الأحداث القادمة و التفاعل معها ،من ثم بدأ السارد بسرد القصة بتسلسل زمني متتابع من حصول مروان على المال ومن ثم اعطاء مروان المال للمرأة ، وحيلة جحظة للفرار من هذا العرض، فهذه الأحداث كلها مترابطة ببعض فإذا فقدت حلقة منها أختل توازن النص لوما تحقق و انسجم الاستباق مع ما ورد من أحداث ،ففي هذا الخبر على وجه الخصوص لم يكن الاستباق حتمي الحدوث فتقدمت الأحداث اللاحقة المتحققة حتما في امتداد بنية الخبر السردي[3] ، فجعلت من المتلقي متابعا للنص لتكتمل عنده الصورة ويفهم مجريات الاحداث .

٢.المدة :-

و هو من المطالب و التقنيات المتعلقة بزمن السرد و التي يتم من خلالها "ضبط العلاقة التي تربط بين زمن الحكاية الذي يقاس بالثواني و الدقائق و الساعات و الأيام و الشهور و السنوات و طول النص القصصي الذي يقاس بالأسطر و الصفحات و الفقرات و الجمل"[4] ، إذ من خلال السرد يمكن أن نلخص حياة الإنسان في بضعة جمل وهو ما تفعله كتب تراجم الموتى وعلى العكس من ذلك يمكن أن نحكي عن أربع وعشرين ساعة من حياة إنسان في ألف

([1]) البخلاء: ٨٢.
([2]) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٨٠.
([3]) ينظر :تقنيات السرد في النظرية و التطبيق: ١١٩.
([4]) مدخل إلى نظرية القصة: ٨٥.

صفحة[1]، وعلى كل حال من الأحوال فإن الزمن الطبيعي لوقوع الأحداث لا يذكر في كلمات النص الروائي ليستطيع الباحث أن يتبين النسبة الصحيحة ولكن يبقى توصل الباحث إلى نسبة تقديرية تكشف له عن حقائق هامة [2]، إن التحكم بهذا الزمن يتم من خلال تسريع السرد و إبطاءه ،أما تسريع السرد فيكون أما الخلاصة أو الحذف ،وإبطاء السرد فيكون بطرق أخرى كالحوار و الوصف ، وسنقف على عملية تسريع السرد عن طريق الخلاصة و الحذف في هذا المبحث ، كون أننا سندرس "الحوار" ، و "الوصف" في مباحث مستقلة في الفصل القادم و لا داعي لتكررها هنا.

أ.التلخيص أو الخلاصة :-

وهو قيام الراوي بتلخيص الأحداث الروائية الواقعة في فترات طويلة بمقاطع وفقرات معدودة أو صفحات قليلة دون أن يقف على تفاصيل الأشياء و الأقوال[3] ، إذ يرى المؤلف أن هذه الفترات ليست جديرة بالاهتمام فيمر عليها مرورا سريعا ويتصرف بها حسب وجهة نظره و يقدمها بشكل ملخص و موحي بالسرعة [4] ، و"من الواضح أننا لا نستطيع تلخيص الأحداث إلا عند حصولها بالفعل إي عندما تكون قد أصبحت قطعة من الماضي "[5] ، ويؤدي التلخيص وظائف عدة تختلف من نص إلى آخر ولكن تبقى وظيفة التلخيص التقليدية هي " المرور عبر سنوات طوال في عدد محدود من الأسطر أو بضع فقرات"[6] ، فهذا الاختزال يوفر على القارئ الوقت الذي قد قد يضيعه في قراءة وذكر تفاصيل غير مهمة وكذلك تساعد هذه التنقية السارد في الوقوف على التفاصيل المهمة و إنجاز منجزه السردي ووضعه بين يدي المتلقي بحث لا يجد فيه المتلقي صعوبة في قراءته بسبب طول المنجز بل يسهل من عملية القراءة و بالتالي يسهل من جعل المتلقي يقرأ عددا من الكتب السردية بوقت قليل.

([1]) ينظر: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جينيت وأخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، ط١، ١٩٨٩: ١٢٥.
([2]) ينظر: بناء الرواية: ٧٧-٧٨.
([3]) ينظر :تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: ١٢١.
([4]) ينظر: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ١٢٦.
([5]) بنية الشكل الروائي: ١٤٥.
([6]) بناء الرواية: ٨٣.

ومن الأمثلة الواردة على تقنية التلخيص في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر **(قرأت على الجوهري، عن المرزباني، قَالَ: حدثني أَحْمَد بْن عيسى الكرخي، أخبرنا أبو العيناء مُحَمَّد بْن القاسم اليمامي، قَالَ: " كان مروان بْن أبي حفصة من أبخل الناس، خرج يريد الخليفة المهدي، فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قَالَ: إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما. فأعطي ستين ألفا، فدفع إليها أربعة دوانيق! وكان قد اشترى يوما لحما بدرهم، فدعاه صديق له، فرد اللحم على القصاب بنقصان دانق، وقال: أكره الإسراف .وهجاه بعض الشعراء، فقال {من الطويل}:**

وليس لمروان على العرس غيرة ولكن مروانا يغار على القدر)[1] .

إذ يحمل هذا الخبر تلخيصا لأحداث قد يراها السارد غير مهمة فأعرض عن ذكرها ومن جملة هذه الأحداث هي التعريف بشخصية مروان ابن أبي حفصة، ولما خرج يريد المهدي؟ ولما كانت المرأة اشبه بالواثقة من حصول مروان على الجائزة؟ وما دار بينه وبين الخليفة المهدي ليعطيه الجائزة؟ وأين ومتى لقي المهدي؟ إذ لم يذكر السارد هذه الأحداث و نؤول بعضا من أجوبتها على هذا النحو كان مروان ابن أبي حفصة شاعرا [2]، خرج يريد لقاء المهدي محضرا قصيدته في مدحه ولعل المرأة قد سمعت قصيدته أو على علم بمكانة مروان الشعرية و قربه من الخلفاء العباسيين فلقي المهدي وأنشده قصيدته ونالت القصيدة إعجاب المهدي وحصل على الجائزة ،فنجد أن السارد قد أختصر ذلك كله لكي يركز على مسألة بخل مروان وليس مسألة خروجه أو إنشاده فقد يشغل ذكر ذلك المتلقي أو المسرود له بأمور تجعله يضيع الهدف الرئيسي من إيراد الخبر ،فساعدته تقنية الخلاصة في ذلك.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بْن مخلد بْن جعفر المعدل، إجازة، وأنبأنا أبو عبد اللَّه الحسين بْن مُحَمَّد بْن عثمان النصيبي عنه، قراءة عليه، أخبرني عبد اللَّه بْن جعفر بْن درستويه النحوي، حَدَّثَنَا المبرد، قَالَ: " أتى أبو الشمقمق باب رجل يمدحه، فأقام ببابه أربعا، فخرجت في اليوم الرابع جارية تستقي ماء في جرة، فكتب على جرتها، {من السريع}:**

([1]) البخلاء: ٨٢.
([2]) ينظر : وفيات الأعيان: ٥/١٨٩-١٩٠.

آويـــت دهلـــــيزك مــذ أربع ولم أكن آوي الــدهـاليزا

خبزي من السوق ومدحي لكم تلك لعمري قسمة ضيزى

قال ابن درستويه: أنشدنا المبرد، {من المنسرح} :

أصبحت لا تعرف الجميل ولا تفضل بين القبيح والحـسن

إن الذي ظل يرتـجيك كــمـن يحلب تيسا من شهوة اللبن)[1].

حيث إن الخبر قُدم وبشكل موجز ،فقد لخص السارد بعض التفاصيل التي قد يراها هو غير مهمة فلم يقف على اسم الرجل الذي يمدحه أبي الشمقمق ،ولم يبين لنا صفة له أيضا لم يذكر لنا سبب أصرار أبي الشمقمق على ملاقاته وجلس ببابه أربعا ،حتى لفظة أربع فهي لفظة نكرة لا تدل على وقت معين ولها عدة دلالات زمنية قد تكون أربع أيام أو أسابيع أو أشهر ولكن تؤول لأربع أيام ، ولم يذكر السارد إذا كان قد دخل أحد إلى الدار أو خرج منها في هذه المدة و لكنه ذكر ما جرى بعدها وهي خروج المرأة للاستسقاء الماء ليكتب أبو الشمقمق الشعر على جرتها فتصل إلى رب المنزل .

ب.الحذف :-

الحذف أو الاسقاط وهو شكل السردي يُسقط فيه جزء من الحدث أو مادة المتن الخام فيكتفي السارد بالإشارة إلى الحذف و بصورة ظاهرة أو ضمنية [2] إذ ينتقل السارد أو الراوي من فترة زمنية إلى أخرى ، ولا يذكر أي شيء عما جرى في الفترة التي أسقطها[3]. إذ يختلف الزمان في الأحداث الحقيقية عن الزمان الذي يكتب في السرد بسبب تغير سرعة الرواية إذ تغفل فترة من الزمن و تسقط حين لا يكون الحدث لسير الرواية أو لفهمها[4]،"و يلعب الحذف إلى جانب الخلاصة دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته ...عن طريق إلغاء الزمن الميت في

([1]) البخلاء:١٠٨/ لم نعثر على البيتين الأولين في ديوان أبي الشمقمق وقد نسبت للعباس بن طرخان أبو الينبغي، ينظر :الوافي بالوفيات: ٣٧٨/١٦. أما البيتين الأخيرين فهما لأبي العتاهية ،ينظر في ديوانه : ٢٦٨.
([2]) ينظر: بنية السرد في القصص الصوفي: ٢١٢.
([3]) ينظر: خطاب الحكاية:١١٨.
([4]) ينظر : معجم مصطلحات الراوية: ٧٤-٧٤.

القصة و القفز بالأحداث إلى الأمام بأقل إشارة"[1]، إن السارد في تقنية الحذف يكتفي بعبارات يحدد من خلالها المدة الزمنية الدالة على مكان الفراغ الحكائي[2]، وينقسم الحذف على نوعين هما حذف صريح الذي يحدده السارد ويشير إليه بعبارات و ألفاظ قصيرة وموجزة ، وحذف ضمني وهو الذي لا يصرح به السارد و يحدده بفترة زمنية بل يستلخصها المتلقي ويستدل عليها من خلال إدراكه الثغرات في التسلسل الزمني[3] .

ونجد أن الخطيب البغدادي قد أورد أخبارا و إن كانت قليلة تحتوي على تقنية الحذف وكانت أغلب الحذوفات الواردة برغم قلتها هي حذوفات ضمنية خالية من العبارات و الإشارات يستدل عليها المتلقي بالقراءة و الإدراك ومن هذه الأخبار هذا الخبر **(وبلغنني أن بغداديا لحاما نزل بالكوفة، وفتح فيها حانوتا ليبيع فيه اللحم، فمكث زمانا لا يشتري أحد منه شيئا، ثم جاءته امرأة في قناعها نخالة، وقالت له: أعطني بهذه النخالة لحما. فصاح عليها وانتهرها، وقال: أي خير يرتجى من قوم يريدون ابتياع اللحم بالنخالة؟ فولت المرأة وهي تضحك تعجبا منه، وقالت: هذا البغدادي طريف، لا يبيع اللحم إلا بنوى)**[4].

إذ نجد أن الخبر يحتوي على فترة زمنية غير محددة محذوفة منه وهو في قوله (مكثت زمانا) فلم يحدد السارد كم استغرق من الوقت مكوث شخصية اللحام فقفز عليها و أغفل ما جرى فيها من أحداث أخرى لهذه الشخصية كي يتم التركيز فقط على الأحداث التي يُستدل بها على البخل و تنسجم مع بقية الأخبار التي أوردها السارد فلا تشذ عنها، "فأضطر السارد إلى القفز بين الحين والآخر على الفترات الزمنية [5]، كي يربط حدث الخبر مع أحداث بقية أخبار الكتاب.

ومن الأخبار التي فيها حذف ضمني هذا الخبر أيضا **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبيد اللَّه الكاتب، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن زكريا، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن عبد الرحمن، قَالَ: دعا مديني أخا له، فأقعده إلى**

([1]) بنية الشكل الروائي: ١٥٦.
([2]) ينظر :تقنيات السرد في النظرية و التطبيق: ١٢٦.
([3]) ينظر: خطاب الحكاية: ١١٧-١١٨.
([4]) البخلاء: ١٨٨.
([5]) ينظر : بنية الشكل الروائي: ١٦٢.

العصر فلم يطعمه شيئا، فاشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قَالَ: صوت المقلى)[1] .

أيضا هذا الخبر يحتوي على ثغرة زمنية قفز السارد عليها وهي فجوة زمنية قصيرة متمثلة بقوله (فأقعده إلى العصر) حذف فيها السارد ما جرى من أحداث وحوار وحديث قد تكون دارت بين المديني والرجل الضيف في فترة تقديرها نصف يوم إذ رأى السارد انها غير مهمة و لا تؤثر في الحدث الرئيس الذي يريد التركيز عليه فتركها لأنها قد تشتت من ذهن المتلقي أو المسرود له وتبعده عن مقصد المؤلف من إيراد الخبر.

أما من الأمثلة على الحذف المعلن فجاء في خبر (زبيدة بن حميد الصيرفي و البقال)الذي أوردناه مثالا في تقنية الاسترجاع إذ هنالك إشارة على حذف معلن وذلك في قوله "كان زبيدة بن حميد الصيرفي استلف بقال على بابه درهمين ونصف دانق فقضاه بعد ستة اشهر درهمين وثلاث حبات شعير..."فالسارد قد حذف فترة زمنية طولها ستة أشهر وهذا ما يسمى حذفا معلنا اذ جرى تعيين المدة المحذوفة من الزمن بكامل وضوح في النص[2] ،خفى فيها السارد ما جرى من أحداث هامشية عن المسرود له إذ يراها لات تفيد المتلقي فلا يخوض فيها و لا يذكر تفاصيلها واكتفى بالإشارة إلى الفترة المحذوفة فقط.

وعليه يمكن القول أن الكتاب لا يخلو من إشارات على الزمان ،إذ نجد في بعض الأخبار تقنيات الزمن التي وظفها السارد وهي تقنية الترتيب إذ أورد السارد أخبارا فيها استرجاع وكانت الغاية من إيرادها التوضيح بعض الأمور و تذكير الشخصيات ببعض الحوادث ،أيضا قد أورد السارد تقنية الاستباق وكانت الغاية من إيرادها هي تشويق المتلقي وجعله متواصلا في قراءة الأحداث للوصول إلى التفاصيل و الأسباب ،أما التقنية المدة فقد أراد بها السارد السيطرة على سرعة الخبر فتجه إلى استعمال وسيلتين هما الخلاصة التي قوم فيها السارد خلاصة للأحداث ،والحذف التي اسقط فيها السارد بعض الأحداث الغير هامة ولعله أراد بذلك هي السيطرة على مضمون الحدث و عدم خروجه من الخطة أو منهجية الكتاب تلك المنهجية التي أراد بها جمع

([1]) البخلاء:٧٦.
([2]) ينظر: بنية الشكل الروائي: ١٧٥.

أخبار البخلاء و السبب الأخر الالتزام بأخبار ذات مضمون سردي مقلص وقصير كما في بقية الأخبار التي أوردها.

المكان

وهو أحد العناصر المكونة للنص السردي وهو أرضية للحدث ،فالمكان " هو المساحة التي تقع فيها الأحداث و التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية و له دور أساسي في تشكيل النص"[١] .

"إذ إن المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا و يتضمن معاني عديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"[٢] ، إن المكان يعد "جزءا من الحدث ويخضع له خضوعا كليا فهو وسيلة لا غاية ولكنه وسيلة فاعلة في الحدث فهو وسيلة محتوية على تاريخية الحدث"[٣] ، إذ إن القصص قائمة على المحاكاة أساسا و لابد لها من أحداث أو حدث واحد على الأقل وهذا الحدث يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا إلا إن المكان هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي و تنهض به في كل عمل [٤] ، وللمكان دور في تكوين الشخصيات كونه البيئة التي تنمو فيه الشخصية فيتأثر و يؤثر فيها حيث " من خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة"[٥] .

وللمكان حضور في أخبار البخلاء للخطيب البغدادي و إن كان هذا الحضور قليلا و متشابها في الغالب ، إذ عرض الخطيب البغدادي الأماكن التي عاش فيها البخيل و تأثر فيها كونها أماكن وسمت بأطباع ساكنيها وغيرها من الأماكن وسنعرض في هذه الدراسة بعض الأماكن التي ذكرها الكتاب أنواعها .

أ.الأماكن المفتوحة :-

وهي الأماكن التي لا تحيطها حدود وتوحي بالحرية والانفتاح ويستطيع الفرد أن يتنقل فيها بسهولة دون الشعور بالتقييد أو وجود عائق يمنع تنقله أو دخوله إليها و ارتيادها كالمدن و القرى والطرق و الشوارع و الأسواق و الدكاكين و غيرها ، ومن الأمثلة على هذا النوع الخبر الآتي **(قلت: وممن شهر بالبخل من المتقدمين أبو الأسود الدؤلي، فأخبرني أبو الحسن أَحْمَد بْن عبد الواحد بْن مُحَمَّد الدمشقي بها، أخبرني جدي أبو بكر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عثمان السلمي،**

---

(١) بناء الرواية: ١٠٣.
(٢) بنية الشكل الروائي:٣٣.
(٣) ينظر: الرواية و المكان: ١٨.
(٤) ينظر: بنية الشكل الروائي: ٢٩.
(٥)الرواية و المكان: ١٧.

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جعفر السامري، حَدَّثَنَا يموت بْن المزرع، حَدَّثَنَا عيسى، حَدَّثَنَا أبو زيد الأنصاري، قَالَ: " وقف أعرابي بأبي الأسود الدؤلي، وهو على دكان له على باب داره يأكل تمرا، فقال له: أصلحك اللَّه، شيخ هم، غابر ماضين، ووافد محتاجين، أكله الدهر، وأذله الفقر. فناوله أبو الأسود تمرة، فرمى بها الأعرابي في وجهه، ثم قَالَ له: جعلها اللَّه حظك من حظك عنده، وألجأك إلى كما ألجأني إليك، ليبلوك بي كما بلاني بك)[1] .

على الرغم من أن الدكاكين هي أماكن خاصة لأصحابها وتكون ملكا شخصيا لهم يفتحونها و يغلقونها متى أرادوا إلا أنها تبقى من الأماكن المفتوحة التي يستطيع أي شخص الدخول إليها والتبضع منها و رؤية ما فيها من حاجات و أشياء حينما تكون مفتوحة وقد يرتادها أكثر من شخص في آن واحد ونجد أن أبا الأسود الدؤلي حينما كان في دكانه قد دخل عليه شخص دون استئذان يسأله حاجته وهذا دليل على انفتاح المكان كون أن الأعرابي شخص غريب لا يعرفه أبو الأسود ولكن طبيعة المكان الذي تواجد به الدؤلي أعطى للرجل حرية الدخول و الحديث مع أبي الأسود دون الحاجة إلى الاستئذان.

وفي هذا الخبر مثال أخر على المكان المفتوح **(أخبرني ابن الجواليقي في كتابه، أنبأنا أَحْمَد بْن علي الخزاز، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن عبد الحكم، حدثني أَحْمَد بْن إسماعيل بْن عمر، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن بحر، حَدَّثَنَا عمر بْن مُحَمَّد بْن عبد الحكم، حدثني أَحْمَد بْن إسماعيل بْن عمر الأنباري، حدثني سعيد بْن يحيى بْن سعيد القرشي، حدثني بعض أهل البصرة، قَالَ: كان عندنا جماعة من القسامل يتواصون باللؤم مقحط الأموال، قَالَ: فقال بعضهم: غدوت إلى البازجاه بسمران إلى رجل عليه قلسان. قَالَ: فقال لي، يعني صاحبا له: فرطت وضيعت وأسأت. قَالَ: وكيف؟ قَالَ: قَالَ ازددت على قوتك، وأخلقت ثوبك، وأبليت نعلك. فقال: كان ثوبي مطويا على عنقي، ونعلي معلقة بيدي، ولم أزدد على قوتي شيئا. فقال: قد حفظت)**[2].

حيث أورد السارد في هذا الخبر مكانا مفتوحا وهو البازجاه وتعني أما المضرب السلطاني أو محطة الرجال كما أوردها المحقق في الهامش وهي لفظة فارسية ولعل الثانية هي الأقرب وهي مكان مفتوح يرتاده الناس أجمع ، وأيضا أورد السارد أشارة أخرى تدل أكثر على انفتاح المكان

([1]) البخلاء: ١٤٩-١٥٠.
([2]) نفسه: ١٨٦.

وهي لفظة (سمران)وتعني سمرقند بالعربية[1]، والمدن تعد من الأماكن المفتوحة وعلى كل حال قد أورد السارد المكان للاستدلال على مكان وقوع الحوار و الحدث.

ونجد أن الخطيب البغدادي قد أورد أكثر من خبر يذكر فيها بخل أهل الكوفة ،ومنها هذا الخبر(**أخبرني ابن الجواليقي في كتابه، أنبأنا أَحْمَد بْن علي الخزاز، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن بحر، حَدَّثَنَا عمر بْن مُحَمَّد بْن عبد الحكم، أنبأنا أبو بكر مُحَمَّد، قَالَ: قَالَ صبي من أهل الكوفة لأبيه: يا أبه، أشتهي رمانا. فقال: وما يدريك ما الرمان؟ ثم قَالَ لأمنه: ذريه حتى يظن أن الذرور هو الرمان**)[2] .

فالسارد هنا عرض لنا مكان أحداث الخبر و كان هذا المكان مفتوحا وهي مدينة الكوفة ،إذ أراد ومن خلال هذا المكان عرض ما يحمله أهل الكوفة من بخل ولعله بهذا العرض أراد أن يضعه بإزاء أهل خراسان وغيرهم من المناطق غير العربية ،حيث إن أهل كلا المدينتين قد اشتهروا بالبخل ،إن السارد هنا أراد أن يحدد جغرافية البخل في المناطق العربية وأن يوثق ومن خلال الأخبار التي أوردها ما غلبت على سكان هذه المنطقة من البخل ، وأن يثبت للآخرين أن الأمر مقصور على بعض المناطق فمسألة البخل ليست صفة عامة لدى العرب أو في المناطق العربية الأخرى.

ب. الأماكن المغلقة:-

وهي الأماكن التي تحاط بحدود معينة و لا توحي بحرية الدخول إليها، بل إن هنالك فيها خصوصية أو عائق يمنع الأخرين من الدخول إلا عن طريق الاستئذان أو الدعوة و ما شابه ذلك ومن الأمثلة على الأماكن المغلقة هي البيوت و المنازل، وقد وردت مثل هكذا أماكن في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ويمكن الإشارة إليها من خلال هذا الخبر (**قَالَ عمر: وسمعت أبا أيوب الأنطاكي، يقول: عن رجل، قَالَ: " دعاني رجل بالكوفة إلى منزله، فأتيته، فإذا شاة مشدودة في ناحية الدار، فبينا أنا كذلك إذ سمعت: الناطف، الناطف. قَالَ: فصاحت الشاة، واضربت اضطرابا شديدا. قَالَ: ففزعت من ذلك، فقال لي الكوفي: يا عبد اللَّه، لا تفزع ولا ترع،**

([1]) ينظر :معجم البلدان ،ياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان:٣/٢٧٩.
([2]) البخلاء:١٨٧.

أن لنا صبيا إذا سمع صوت الناطف جاء إلى هذه الشاة، فنتف صوفها واشترى به ناطفا، فالشاة لما ينزل بها من الوجع من نتف الصوف تصيح هذا الصياح إذا سمعت صوت الناطف)[1].

إذ إن مكان الخبر هنا هو مكان مغلق لا يستطيع أحد الدخول إليه إلا بدعوة من صاحب المنزل وللمكان دور هام في تكوين الأحداث في هذا الخبر ، فلولا دخول الرجل إلى دار الكوفي لما علما بما يفعل الغلام بالشاة ولما تبين بخل صاحب الدار ،إذ إن صاحب الدار لا يعطي للغلام مالا ليشتري به ناطفا فيلجئ الغلام إلى الشاة و ينتف صوفها ليشتري بها فالمكان هنا هو الذي أبرز أحداث الخبر.

وعلى نحوه هذا الخبر **(وقال عمر بْن الحكم: حدثني مُحَمَّد بْن إسماعيل بْن صبح الخراساني، قَالَ: سمعت عبد اللَّه بْن عقبة الباهلي، يقول: " دعاني رجل من أهل الكوفة إلى منزله أتغدى عنده، فأتيته، فأدخلني إلى دار قوراء كبيرة، فأجلسني في بيت منها، فلم أزل حتى انتصف النهار واشتد جوعي، فقلت: يا هذا، قد حبستني. قَالَ: فنادى بأعلى صوته: يا عاتكة، يا حمامة، يا أم غراب. قَالَ: فأجابته جارية من أقصى الدار: لبيك يا مولاي. قَالَ: ويلك أبو مُحَمَّد قد حبسناه منذ غدوة، فهاتي ما عندك. فقالت: يا مولاي، قد نخلت دقيقي، وأنا أنتظر السقاء يجيء حتى أعجن. قَالَ: فقمت، فخرجت)**[2] .

إذ نجد أن السارد قد وصف لنا المكان بعد دخول عبدالله بن عقبة إليه مع صاحب الدار فصاحب الدار قد دعا عبدالله إلى منزله وحبسه فترة من الزمن دون ان يقدم له الطعام و على الأغلب إن صاحب الدار على معرفة بعبدالله بن عقبة إذ نجده حينما تحدث مع جاريته كناه بـ(أبي محمد)ولكن في الوقت نفسه إن عبدالله بن عقبة لم يصرح باسم صاحب الدار ولعله أراد التحفظ على اسمه و لا يفضحه وما يهمنا في هذا الخبر هو المكان (المنزل) إذ تم الدخول إليه عن طريق دعوة من الرجل وهذا خير دليل على انغلاق المكان وخصوصيته وكان المكان نقطة لانطلاق الأحداث ونقطة لاجتماع الشخصيات ومحاورتها واكتشاف بخل الرجل.

([1]) البخلاء: ١٨٧.
([2]) نفسه: ١٨٧-١٨٨.

نستنتج من ذلك أن للمكان حضورا في أخبار البخلاء للخطيب البغدادي وكان المكان الوارد في الكتاب على نوعين أماكن عامة يقصدها أغلب الناس و أماكن خاصة ، وقد لعب المكان دورا في تكوين أحداث بعض الأخبار ونقطة لانطلاقها و ولادتها، و استدل الخطيب البغدادي على بعض الأماكن لتوضيح لؤم ساكنيها كبعض المدن و القرى حيث من خلالها حدد أماكن تواجد البخلاء في المناطق العربية ، إذ رصد ظاهرة البخل لديهم كونها تعد مراكز للبخل تفشت فيها هذه الظاهرة و طرأت عليها نتيجة انفتاح العرب على الأمم الأخرى ودخول أناس من قوميات و ديانات أخرى للإسلام، فنجد أن الخطيب البغدادي يدافع عن فكرة أن العرب غير بخلاء وبطريقة غير مباشرة وذلك بإيراد أخبارا ترصد هذه الظاهرة في تلك المناطق التي ذكرها في الكتاب والغاية منها توثيق أماكن تواجد البخل وهذا التوثيق يستفاد منه ما سيطرأ من تغير على سكان هذه المناطق مستقبلا و على سكان غيرها من المناطق إذ أنه ومن خلال ذكرها حصر هذه الظاهرة الاجتماعية فيها.

الفصل الثالث

(الأداء الفني للخبر)

المبحث الأول: الحوار

المبحث الثاني: الفكاهة و السخرية

المبحث الثالث: الوصف

المبحث الرابع: المفارقة

المبحث الاول

الحوار

وجاء معناه لغةً :"من المحاورة وتعني المجاوبة و التحاور يعني التجاوب، وأحار عليه جوابه : أي ردّه ، والمحاورة :مراجعة المنطق و الكلام في المخاطبة" [١].

أما في الاصطلاح فقد جاء معناه وسيلة تستعمل لتبادل الآراء و الأفكار وتستعمل في الشعر و القصة والروايات والتمثيليات لتصوير الشخصيات ودفع عجلة الأحداث إلى الأمام[٢].

وعليه فلا بد من وجود حوار كي تتقدم أحداث كل من القص والحكايات والأخبار والروايات ولا تبقى ثابته والحوار نمط تواصلي يتم فيه تبادل الكلام بين شخصيتين من شخصيات العمل الأدبي أو أكثر[٣]، ويتم التواصل بين شخصيات النص الأدبي على فكرة الإرسال و التلقي وبهذا التواصل يتم تناول شتى الموضوعات والأفكار التي يريد أن يوصلها الأديب أو مبدع النص ، ويكون الحوار أما حقيقيا أي يدور بين أشخاص حقيقين حيث يقع على عاتق المؤلف نقله من صورته الشفهية إلى صورة كتابية أو مفتعل من خيال المؤلف وغالبا ما يعمد المؤلفين إلى افتعال الحوار في القصص و الروايات كي يضيفوا عنصر الإثارة و التشويق لأعمالهم و للإفصاح عما يدور في خبايا أنفسهم من أفكار وأحيانا "يقع الكلام بين الأديب ونفسه أو من ينزله مقام نفسه كربّة الشعر أو خيال الحبيبة مثلا"[٤]، حيث يكون الحوار في هذه الحالة مفتعلا بقصد من المبدع على أن يراعي مبدع النص التكثيف وعدم الإسهاب فيما يريد أن يوصله للمتلقي.

إن الكتاب يوظفون هذا الشكل اللغوي في تقديم شخصيات أعمالهم و وصف المناظر و الأخبار و الأهواء و العواطف فهو "شكل مركزي لا يمكن الاستغناء عنه"[٥] وهذه الشكل هي لغة السرد الرائجة في الأدب العربي القديم، ولابد في الحوار من وجود متكلم و مخاطب إذا كان الحوار خارجيا حيث يتم تبادل الكلام و مراجعته وغاية ذلك هو "توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني وإغناء للمفاهيم

---

(١) لسان العرب، (مادة حور).
(٢) ينظر معجم المصطلحات الادبية : ١٤٨-١٤٩.
(٣) ينظر معجم المصطلحات الادبية المعاصرة: ٧٨.
(٤) المعجم الادبي ، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ،بيروت، ط ٢ ،١٩٨٤ :١٠٠.
(٥) في نظرية الرواية: ١١٦.

يضيفها إلى تقدم الفكر"[١]حيث الحوار هو الذي يحمل في طياته المفاهيم و الأفكار وتطرح عن طريق الكتابة بأسلوب أدبي فني ، وللحوار شروط حتى يحقق هدفه ويصل إلى غايته في التأثير في المتلقي و إرضائه وهذه الشروط هي :

١. أن يكون الحوار مندمجا في صلب القصة كي لا يحس القارئ بأنه عنصر دخيل عليه ويبدو متطفلا على شخصيات القصة[٢] حيث يبدو الحوار مترهلا عندما يخرج عن صلب موضوع القصة ويكون أيضا غريبا متطفلا عندما يعمد السارد الى إقحام آراءه وتوجهاته الشخصية بصورة مباشرة حيث يفرض ذلك على شخصيات النص.
٢. أن يكون سلسلا مناسبا للمواقف و الدور الذي تقوم الشخصيات بإدائها [٣].
٣. أن يكون مبدع النص واعي عندما يختار المفردات والصور والأفكار فلا يتغلب المضمون على الشكل ولا يعبر على الفكرة بصورة مباشرة حيث كلما زادت تبطين الفكرة ضمن النسيج السردي تزداد متعة القارئ حينما يبدأ بفك شيفرات العمل[٤].

فهذه الشروط يجب توافرها في العمل الأدبي كي تزيد من نجاحه وتضفي المتعة للقارئ ولا تشعره برتابة النص وعدم تماسك نسيجه السردي .

إن للحوار نوعين أحدهما حوار خارجي و الأخر داخلي، فالحوار الخارجي هو الذي يكون المؤلف هو السارد الأكبر فهو "حاضر حضورا قويا من خلال بصماته المتعددة و المثبوتة هنا وهناك وإن احتلاله المستوى الأولي من السرد يجعل منه راويا خارج الحكاية كما إن عدم مشاركته في إي حكاية من حكايات النص المتعددة يجعل منه راويا غير مشارك"[٥]، فالسارد هنا ينظر من موقعه للشخصيات و الأحداث دون أن يشارك في تطوير الحوار أو الحدث ولا علاقة له بالشخصيات ويتم هذا الحوار عن طريق تتبادل الشخصيات الحديث فيه ضمن العمل القصصي في إطار مشهد ما بطريقة مباشرة إذ يقوم السارد بنقل نص الكلام الذي يدور بين

---

(١) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان ، ١٩٨٢: ٥٠١/١.
(٢) ينظر: فن القصة : ١١٣.
(٣) ينظر: فن كتابة القصة ،حسين القباني، مكتبة المحتسب ، عمان ،ط٢ ،١٩٧٤: ٩٥.
(٤) ينظر: القصة القصيرة دراسة ومختارات ، الطاهر احمد مكي ، دار المعارف ،القاهرة ،ط ٨، ١٩٩٩: ٩٢.
(٥) الراوي في السرد العربي المعاصر رواية الثمانينات بتونس، محمد نجيب العمامي، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ط١ ،٢٠٠: ١٩٢.

المتحاورين متقيدا بحرفيته النحوية و صيغته الزمنية[1]، ويلجأ السارد إلى توظيف بعض المؤشرات اللفظية و الإشارات الصريحة المتمثلة في الأفعال (قال، قلت، قالت، أجاب، أجابت، سأل...الخ) من صيغ القول[2]لتبيان تناوب الحوار بين الشخصيات في إطار شكلي، حيث يتحدث فيها المتكلم مباشرة إلى المخاطب ويتم تبادل الكلام بينهما دون تدخل من الراوي ويكون الحوار وفق نظام الدور يتحول فيه المتكلم إلى مستمع و بالعكس[3]، إن ثنائية المتكلم و المستمع ثنائية فعالة في تقدم الحوار وتقنية من تقنيات التواصل بين الشخصيات داخل الإطار القصصي تساعد في تطوير الأحداث و تصوير المشاهد، كما إن الحوار الخارجي يشعر المتلقي بعدم وجود حواجز بين الشخصيات وإن الكلام خارج من ذات الشخصية لم يفرضها السارد عليها و بالتالي يكون الحوار أكثر صدقا و واقعية و تأثيرا، كما إن المواقف تكون في الأغلب حقيقية حيث يجمع الحدث الشخصيات في زمان ومكان محددين و يبدأن بالتحاور ونجد إن السارد يترك المجال للشخصيات في تقديم نفسها من خلال الحديث الذي يدور بينها ويقوم هو بنقل هذا الحديث للمتلقي.

ومن الأمثلة التي ممكن أن نوردها لهذا النوع من الحوار في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي هذا الخبر إذ يقول الخطيب: **(أخبرنا القاضي أبو الطيب ظاهر بن عبدالله بن ظاهر الطبري ،حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري ،حدثنا الحسن بن أحمد بن سعيد الكلبي ،اخبرنا الغلابي ،حدثني مهدي بن سابق، قال : أقبل أعرابي يريد رجلا وبين يدي الرجل طبق تين فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكساء كان عليه ،و الأعرابي يلاحظه فجلس بين يديه :فقال له الرجل : هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال نعم . قال :فاقرأ . قال فقرأ الأعرابي ﴿وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال الرجل :فإين التين ؟ قال التين تحت كسائك)**[4].

إذ نلاحظ الحوار الخارجي في هذا الخبر قد دار بين الأعرابي و الرجل الذي يأكل التين و كانت طريقة الحوار معتمدة على السؤال و الجواب كما يأتي :

---

(1) ينظر: الحوار القصصي، تقنيات وعلاقات السردية ،فالح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،١٩٩٩: ٤١.
(2) ينظر: نفسه : ٤٤.
(3) ينظر: البنية الحوارية في النص المسرحي، ناهض الرمضاني أنموذجا، قيس عمر محمد دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان ،الاردن ،ط١، ٢٠١٢: ٤٠.
(4) البخلاء: ٧٥-٧٦./ سورة التين ، الآية ١-٢.

-هل تحسن من القرآن شيئا ؟

قال :نعم.

قال: فاقرأ .

فقرأ: ﴿وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾

فقال : فأين التين ؟

فقال :التين تحت كسائك

إن الحوار قد دار بين الشخصيتين معتمدا السؤال و الجواب ولم يشارك سارد الخبر في الحوار فهو أشبه بالإطار الذي يحيط في اللوحة فأحاط بالنص كما يحيط الإطار باللوحة فإذا انتقل المتلقي بعد سلسلة الساردين إلى الخبر تلاشى هذا الإطار واختفى وظهرت اللوحة[1] والحوار هنا بسيط يخلو من التعقيد والشرح فهو وسيلة استعملها الرجل الذي يأكل التين ليصرف ذهن وتفكير الأعرابي عن طلب الطعام، ولكن كان الأعرابي أحذق منه وأذكى فوظف الآية القرآنية لكي يصل إلى غايته في استدراج الرجل والوصول إلى التين الذي أخفاه الرجل تحت كساءه بسبب بخله .

وعلى شاكلته هذا الخبر يقول الخطيب: **(أخبرني الحسين بن محمد بن عثمان النصيبي أنبأنا اسماعيل بن سعيد المعدل، أنبأنا أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد ،حدثنا عبدالرحمن ،عن عمه ،قال : مر أعرابي برجل قد وضع بين يديه غداءه وهو يأكل فقال ، لو تعرضت له لعله يدعوني إلى الغداء فقال: السلام عليكم ! قال :كلمة مقولة. ثم طأطأ رأسه يأكل فقال له الأعرابي : أما قد مررت باهلك . قال : عليهم كان طريقك؟ قال :وهم صالحون. قال: كذلك خلفتهم . قال :إن امرأتك حبلى . قال: كذلك عهدتها . قال: إنها ولدت غلامين . قال كذلك كانت أمها . قال: مات احدمها . قال : ما كانت لتقوى على إرضاع اثنين . قال : مات الآخر**

(1) ينظر بناء الرواية: ٢١٥.

. قال: ما كان ليبقى بعد أخيه. قال: ثم ماتت الأم . قال : ما كانت لتبقى بعد ولديها . قال: ما اطيب طعامك! قال نفعه لغيرك . قال: أف لك . قال :اللئيم سباب)[1] .

حيث تناوبت الشخصيتان هذا الحوار وفق نظام الدور إذ يتحول فيه المتحدث إلى مستمع و بالعكس وكما يأتي :

١-السلام عليكم.

٢.كلمة مقولة.

١-أما قد مررت باهلك.

٢.عليهم كان طريقك؟

١-وهم صالحون.

٢.كذلك خلفتهم.

١-امرأتك حبلى.

٢.كذلك عهدتها .

١-ولدت غلامين .

٢.كذلك كانت أمها.

١-مات أحدمها.

٢.ما كانت لتقوى على إرضاع اثنين.

١-مات الآخر.

٢.ما كان ليبقى بعد أخيه.

١-ماتت الأم .

([1]) البخلاء: ١٤٥-١٤٦.

٢.ما كانت لتبقى بعد ولديها.

١-ما اطيب طعامك.

٢.نفعه لغيرك .

١-أف لك.

٢.اللئيم سباب.

فالخطيب البغدادي وظف الحوار هنا لعرض "صيغة مشهدية مجسدة للشخصيات وهم في حالة الكلام"[١]، وأدى الحوار وظيفة مسرحة الأحداث أمام المتلقي وصورت له المشهد عبر تقنية التحاور بين شخصيات الخبر حيث تبادلت الشخصيات نمط الإرسال والتلقي في المحاورة، وهذه الطريقة عكست لنا أفعال الشخصيات فمن خلال الحوار الداخلي نعلم أن الأعرابي كان طفيليا أراد أن يمارس التطفيل على الرجل الذي يتغذى وذلك من خلال الكلام الذي دار بينه وبين نفسه (لو تعرضت له لعله يدعوني)، فاصطنع قصة من أجل مروره بأهل الرجل من أجل الحصول على الطعام ممارس الحيل التي يمارسها الطفيليون فسلم على الرجل وكذب عليه وافتعل الحوار، فابتدأ الحوار بالأول (الأعرابي) وانتهى بالثاني (الرجل)، ونجد أن السارد قد أعطى لكلا الشخصيتين حيزا صوتيا و دورا مساويا في الخبر وأنه قد رسم للمتلقي مظهر الشخصيتين من خلال الحوار وأنتقل من خلاله إلى الخاتمة.

ويمكن أن نورد مثالا أخر تمثيلا لما ذكره الخطيب البغدادي من حوار خارجي إذ يقول: **(أخبرنا أبو محمد الفتح منصور بن ربيعة الخطيب بالدينور، حدثنا عبد الواحد بن سليمان، حدثنا احمد بن مهران، حدثنا الحسن بنن علي بن الحسين السامري إملاءاً، قال أخبرني عمر بن محمد بن الحكم النسائي، حدثنا محمد بن المغيرة، عن الأصمعي قال: قدم أعرابي على غير حيه فقدم على رجل من حيه، فنزل عليه فقال : كيف تركت كلبي بليقا ؟ قال: قد ملأ الحي نباحاً. قال: طاب خبرك فكيف تركت بعيري الأحمر؟ قال: قد ملأ الحي ماءاً. قال: طاب خبرك فكيف تركت ابني عمراً؟ قال: صالحا قد ملأ الحي آنسا. قال: طاب خبرك قال: فما فعلت الدار؟**

([١]) الحوار القصصي: ٤٢.

قال: عامرة بأهلها. قال: طاب خبرك ، ثم قال يا جارية ! هات العشاء. فجعل الأعرابي يأكل أكل الهيم. قال فغاظ الرجل ذلك فأراد أن يشغله بالحديث عن الأكل فقال له : عد في حديثك . قال : سل عما بدا لك. قال : ما فعل كلبي بليق؟ قال: صالح لو كان حيا . قال: وقد مات؟ قال :نعم. قال: من أي شيء ؟ قال أكل من لحم الجمل الأحمر. قال: ومات الجمل الأحمر؟ قال :نعم. قال: ومن أي شيء؟ قال: من نقله الماء إلى قبر أم عمرو. قال: وماتت أم عمرو؟ قال :نعم . ومن أي شيء كان موتها؟ قال: من جزعها على عمرو. قال: ومات عمرو؟ قال: نعم . قال: ما أماته؟ قال: سقط الدار عليه . قال وسقطت الدار؟ قال: نعم . قال : يا جارية ارفعي العشاء هاتي العصا قال فرفع الأعرابي رجليه ولم يلحقه)[1].

فالحوار هذا أيضا هو شبيه بالذي سبقه إذ يدور بين شخصيتين من شخصيات الخبر معتمدا على صيغة السؤال مراعيا فكرة الإرسال و التلقي كما يأتي:

-كيف تركت كلبي بليقا ؟

=قال: قد ملأ الحي نباحاً.

- قال: طاب خبرك فكيف تركت بعيري الأحمر ؟

= قال :قد ملأ الحي ماء.

- قال: طاب خبرك فكيف تركت ابني عمراً؟

=قال :صالحا قد ملأ الحي آنسا.

- قال: طاب خبرك قال: فما فعلت الدار؟

=قال: عامرة بأهلها .قال: طاب خبرك ، ثم قال يا جارية ! هات العشاء.

حيث نلاحظ أن الرجل يسأل و يجيب الأعرابي إجابة تناسب سؤاله دون زيادة أو نقصان فالتناوب على الكلام بين الشخصيات الظاهرة في نص الخبري قد جاء به السارد لأداء وظيفة

([1]) البخلاء: ١٤٦-١٤٧.

رسم شخصيات الخبر والتي بدورها تصور الحدث للمتلقي في إطار فضائه[1]، فالشخصيات هنا هي التي ولدت الحدث وصورت مشاهده للمتلقي حيث إن الحوار الأول لم يكن قصديا من الرجل وإنما كانت غايته هي الاطمئنان على أهله وما ترك في حيه، وحينما اطمئن عليهم طلب من الجارية جلب الطعام للأعرابي، فلما رآه يأكل أكل الهيم اغتاظ من ذلك لما يحمله من بخلٍ فيه، فاصطنع حوار آخر حتى يشغل الأعرابي عن أكل الطعام، فبدأ يسأله مرة أخرى عن أهله وما ترك، فأجابه الأعرابي اجابات هي عكس ما قال له أول مرة، وأخبره أن جميعهم قد ماتوا، وداره قد سقطت، فآمر الجارية برفع الطعام و جلب العصا ولكنه لم يلحق بالأعرابي لأنه هرب، فالحوار الثاني أدى غايته في صرف الأعرابي عن الطعام وكلا الحوارين اعتمدا على طريقة الارسال والتلقي ولم يخرجا عن ذلك .

ويتجلى الحوار الخارجي في هذا الخبر أيضا يقول الخطيب: **(أخبرني علي بن أبي علي البصري، أخبرني أبي، قال :سمعت أبا عبدالله ابن أبي موسى الهاشمي يقول : كنت بحضرة ناصر الدولة ببغداد فستدعى شيئاً يأكله ، فجاؤوه بدجاجة مشوية و رغيف واحد و سكرجتين وخل وملح وقليل بقل فجعل يأكل و أنا احادثه ، إذ دخل الحاجب فأخبره بحضور قوم لابد من وصولهم يحتشمهم ، فأمر برفع الدجاجة فرفعت بسرعة ومسح يده ودخل القوم فخاطبهم بما أراد و انصرفوا فقال : ردوا الطبق، فاحضر فتأمل الدجاجة ساعة ثم جرد وقال : فأين تلك الدجاجة فقالوا: هي هذه. فقال : لا وحق أبي عليَّ بالطباخ فحضر، فقال له: هذه هي تلك الدجاجة؟ فسكت فقال : اصدقني ويلك. قال: لا. قال :فما فعلت بتلك؟ قال :لما شيلت لم نعلم أنك تردها فأخذها بعض الغلمان الصغار فأكلها فلما طلبتها أخذنا هذه فكسرنا منها وشعثنا مثل ما كنت كسرت من تلك و شعثت طمعا في أنك لا تعلم بذلك و قدمناها . فقال :يا حمار تلك كنت كسرت منها الفخذ اليمنى وأكلت جانب الصدر الأيسر وهذه مأكولة جانب الصدر الأيمن ومكسورة الفخذ اليسرى لا تعاود بعد هذا لمثل هذا. فقال: السمع و الطاعة، وانصرف الطباخ فجعلت أعجب من تفقده وهو ملك لمثل هذا و نظره فيه)**[2].

([1]) ينظر: الحوار القصصي: ٤٣.
([2])البخلاء : ١٤٧-١٤٨.

نلاحظ من هذا الخبر أن السارد قد أثث تفاصيل الأحداث قبل دخول الشخصيات في الحوار إذ ابتدأ بدخوله على ناصر الدولة ومن ثم قيام ناصر الدولة بطلب الطعام ودخول القوم عليه و طلب رفع الطعام وجلبه بعد خروجهم ومن ثم ابتداء الحوار بين ناصر الدولة والشخصيات فيتكلم ناصر الدولة أحيانا ويصغي أحيانا كما يأتي:

-فأين تلك الدجاجة؟

فقالوا: هي هذه.

-فقال : لا وحق أبي عليَّ بالطباخ فحضر. فقال له: هذه هي تلك الدجاجة؟ فقال : اصدقني القول ويلك . فقال :فما فعلت بتلك؟

قال: لما شيلت لم نعلم أنك تردها فأخذها بعض الغلمان الصغار فأكلها فلما طلبتها أخذنا هذه فكسرنا منها وشعثنا مثل ما كنت كسرت من تلك و شعثت طمعا في أنك لا تعلم بذلك و قدمناها. -فقال :يا حمار تلك كنت كسرت منها الفخذ اليمنى وأكلت جانب الصدر الأيسر وهذه مأكولة جانب الصدر الأيمن ومكسورة الفخذ اليسرى لا تعاود بعد هذا لمثل هذا.

فقال: السمع و الطاعة.

على الرغم من أن الحوار خارجي في هذا النص ولكن السارد الخارجي يبدو معنياً بإظهار حضوره بدرجة كبيرة داخل النص[1] من خلال عبارة (كنت بحضره ناصر الدولة...) إذ اراد أن يوضح للمتلقي أنه استدعى الكلام من ذاكرته وأنه وقف على تفاصيل الخبر وحضر فيه ولكنه غير مشارك بحواره إذ ينظر إلى أحداث و شخصيات الخبر نظرة فوقية ويفضل أن ينفصل عن الشخصيات لينقل فقط ما جرى من أحداث امامه ويحولها إلى صيغة كتابية دون إضفاء. إن وظيفة الحوار في هذا الخبر هي وظيفة تصويرية حيث صورت للمتلقي ما جرى من أحداث على شكل مشاهد مسرحية تمر أمامه مما يشد خياله في العمل و أيضا يكشف لنا الحوار عن سلوكيات ناصر الدولة وما في نفسه من بخل على الرغم من أنه ملك ولكنه لم يضمر ما يسيء إلى سمعته حينما علم أن الدجاجة قد استبدلت فاثبت الحوار البخل على ناصر الدولة.

([1]) ينظر : تحليل الخطاب السردي في اخبار الطفيليين ، علاء عبد المنعم إبراهيم ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن ،ط١ ، ٢٠٢١: ٢٥٨.

وعلى نحوه الخبر الآتي **(أخبرني ابن الجواليقي في كتابه ، أنبأنا احمد بن علي الخراز ،حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد الحكم ،حدثني أحمد بن اسماعيل بن عمر، حدثنا عبدالله بن بحر، حدثنا عمر بن محمد بن عبد الحكم، حدثنا أحمد بن اسماعيل بن عمر الانباري، حدثني سعيد بن يحيى بن سعيد القرشي ،حدثني بعض أهل البصرة قال: كان عندنا جماعة من القسامل يتواصون باللؤم مقحط الأموال قال فقال بعضهم :غدوت إلى البازجاه بمرَّان إلى رجل عليه قلسان قال فقال لي يعني صاحبا له : فرطت و ضيعت و اسأت .قال: وكيف ؟ قال : ازدت على قوتك و اخلقتَ ثوبك و أبليت نعلك . فقال : كان ثوبي مطويا على عنقي ونعلي معلقة بيدي ولم ازدد على قوتي شيئاً . فقال :حفظتَ)**[1].

حيث يبدأ الحوار الخارجي من قوله :

–فرطت و ضيعت و اسأت .

قال: وكيف ؟

– قال : ازدت على قوتك و اخلقتَ ثوبك و أبليت نعلك .

فقال : كان ثوبي مطويا على عنقي ونعلي معلقة بيدي ولم ازدد على قوتي شيئاً .

–فقال :حفظتَ

فالحوار في هذا الخبر قصير غير مطول وقد مهد السارد لنا في المقدمة بأن هؤلاء القوم يتواصون باللؤم، ومن ثم فسح السارد المجال لهم لكي تتحاور الشخصيات ويكتشف المتلقي كيف لهم أن يتواصلوا بذلك وترسم أحداث الخبر ومشاهده له على أن صوت السارد الافتتاحي ضمن بقاءه داخل الخبر ولكن يبقى ساردا غير مشارك في أحداث الخبر وليس له فيه أي دور سوى إيصاله للمتلقي فحيثما وجد الحكي دل ذلك على وجود حاكٍ و راوٍ والمقصود بالحكي هنا الأخبار أي توصيل الحكاية من مخاطب يحاول التأثير على المستمع بطريقة ما عن طريق السرد[2]، فصوت السارد هنا كانت له وظيفة إيصال فكرة للمتلقي بأن هذا الخبر قد مر عليه زمن معين أي بمعنى أنه أعطى زمانا معينا لأحداث هذا الخبر وتوثيق ذلك ، ويبقى الحوار

(1) البخلاء: ١٨٦.
(2) ينظر: الراوي والنص القصصي ،عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، القاهرة ،ط٢، ١٩٩٦: ٦٨.

الخارجي بين الشخصيات هو الذي يصور أحداث الخبر، أذ أراد الرجل الذي عليه قلسان أن يختبر المتحدث بطريقة غير مباشرة عن مدى التزامه بما قد وصي به من لؤم فقال له (فرطت، وضيعت، واسأت...) فأجابه الاخر (كان ثوبي مطويا على عنقي...) فقال له الرجل (حفظت) أي حفظ الوصية وغاية الحوار هنا الكشف إن كان الرجل عمل بالوصية أم لا إظهار ما في الشخصية من لؤم .

وفي هذا الخبر أيضا حوار خارجي إذ يقول الخطيب البغدادي: (**أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أنبأنا محمد بن عمران المرزباني، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي ،حدثنا محمد بن القاسم بن جلاد ابو العيناء، قال: سلم أعرابي على ابي الاسود .قال :كلمة مقولة. قال :اتأذن في الدخول؟ قال : ورائك أوسع عليك. قال: هل عندك شيء يؤكل ؟قال :نعم. قال أطعمني . قال: عيالي أحق به . قال : ما رأيت ألأم منك. قال: نسيت نفسك)**[1].

فالطريقة الحوارية هي نفسها في هذا الخبر فدار الحوار بين الأعرابي و أبي الأسود كما يأتي:

–قال :كلمة مقولة.

قال :اتأذن في الدخول؟

– قال : ورائك أوسع عليك.

قال: هل عندك شيء يؤكل ؟

–قال :نعم.

قال أطعمني .

– قال: عيالي أحق به .

قال : ما رأيت ألأم منك.

– قال: نسيت نفسك.

([1]) البخلاء: ١٥٠-١٥١.

فالحوار هنا قد تركز وأعتمد على السؤال والجواب حيث كشف لنا الحوار ما تحمله شخصية أبي الأسود الدؤلي من بخل و لؤم من خلال أجوبته على أسئلة الأعرابي، فعكس لنا مشهد التحاور أفعال الشخصية من خلال تبادلهما للحديث والأجوبة، وأيضا وظف الحوار لتصوير وبناء الأحداث فالحوار في هذا الخبر هو مكون الحدث والسارد نقل الأحداث المحكية للمتلقي ليرسم في ذهنه صور ومشاهد لما جرى.

و أيضا من الحوارات الخارجية التي وردت في الكتاب هذا الخبر يقول الخطيب: **(قال أبو الأسود لرجل معه ثوب: بكم هو؟ قال خذه حتى أقاربك . إن لم تقاربي لما عدتك فبكم هو؟ قال: اعطيت به كذا . قال: أنت تخبر عما فاتك)**[1].

فهذا الحوار بداه أبو الأسود مع الرجل بصيغة السؤال و الجواب ايضا وكما يلي:

-بكم هو؟

قال خذه حتى أقاربك .

-إن لم تقاربي لما عدتك فبكم هو؟

قال : اعطيت به كذا .

-قال: أنت تخبر عما فاتك.

حيث دار الحوار الخارجي هنا بين أبي الأسود والبائع و الغاية منه هو شراء الثوب، ولكن السارد لم يحط بكل تفاصيل الخبر و لعل الخبر قد وصله هكذا فأورده كما وصل إليه، فمن ضمن التفاصيل المفقودة هو عدم ذكر السعر الذي طلبه البائع في الثوب، ولكن الأخبار السابقة التي ذكرها الكتاب عن أبي الأسود الدؤلي قد ولدت مرجعية ثقافية معرفية ورسمت في ذهن المتلقي صورة لدرجة بخل أبي الأسود وإن فقدان هذه الجزئية لم يضر بالخبر أو ينقصه، فالصورة التي رسمت في ذهن المتلقي كفيلة لإكمال النقص وأدراك إن السعر الذي طلبه البائع لا يناسب بخل أبي الأسود الدؤلي فالحوار أيضا قد وظف في الكشف عن بعض سلوكيات أبي الأسود مع الآخرين.

([1]) البخلاء: ١٥١.

وهذا الخبر أيضا في مثال على الحوار الخارجي إذ جاء فيه: **(أخبرني ابن الجواليقي في كتابه، أنبأنا احمد بن علي الخراز، حدثنا عبدالله بن بحر ،حدثنا عمر بن محمد بن عبد الحكم ،أنبأنا أبو بكر محمد قال: قال صبي من أهل الكوفة لأبيه : يا أبه اشتهي رمانا. فقال : وما يدريك ما الرمان؟ ثم قال لأمه ذريه حتى يظن ان الذرور هو الرمان)**[1].

إذ يدور الحوار بين شخصيتا هذا الخبر وهم الولد و الأب وعلى النحو الاتي:

– يا أبه اشتهي رمانا.

فقال : وما يدريك ما الرمان؟

قال لأمه ذريه حتى يظن ان الذرور هو الرمان.

إذ أن الحوار يمتاز ببساطة الجملة وعفوية الصياغة الشيء الذي يجعل من أسلوب السارد ينساب بعفوية وطلاقة بلا تعقيد ولا غموض[2]فجاءت طريقة صياغة السرد وعرضة ببساطة وقد كونت حوار الشخصيات الحدث الذي يحمل فكاهة فالولد قد طلب من والده الرمان فاستغرب الأب هذا الطلب وتعجب له من أين سمع بهذه الكلمة فأخبر أمه أن تذره حتى يظن الذرور هو الرمان، أذ إن المادة الحكائية على الرغم من بساطتها إلا أنها قد ولدت حدثا طريفا، ولعل السارد قد جاء بهذا الخبر لإثبات البخل على أهل الكوفة كونه أورد اخبارا غيرها عنهم في الكتاب، وقد بين هذا الحوار شدة بخل أبيه و لؤمه لدرجة إنه لا يريد لولده أن يعلم ما هي هذه الفاكهة، وإنه طلب من أم الولد أن تخدع ابنها ليطمئن إنه في المستقبل لا يسأل عن الرمان لأنه عرف بأن الذرور هو الرمان فوظف الحوار لتصوير مشهد فكاهي دار بين شخصيات الخبر.

وأيضا من الأمثلة على الحوار الخارجي هذا الخبر: **(قال عمرو بن الحكم ،حدثنا محمد بن اسماعيل بن صبح الخراساني ،قال سمعت عبدالله بن عقبة الباهلي يقول: دعاني رجل من اهل الكوفة إلى منزله اتغدى عنده فآتيته فأدخلني في دار قوراء كبيرة فأجلسني في بيت منها فلم ازل حتى منتصف النهار واشتد جوعي فقلت : يا هذا قد حبستني . قال: فنادى بأعلى صوته يا عاتكة يا حمامة يا أم الغراب فأجابته لجارية من اقصى الدار لبيك مولاي. قال: ويلك**

([1]) البخلاء: ١٨٧.

([2]) ينظر: الرواية و التراث السردي ، سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٢: ١٠٢.

أبو محمد قد حبسناه منذ غدوة فهاتِ ما عندك . فقالت: يا مولاي قد نخلت دقيقي و أنا أنتظر السقاء يجيء حتى أعجن. قال: فقمت فخرجت)[1].

فالحوار هنا قد دار بين شخصيات الخبر وهم أبو محمد وصاحب الدار وجاريته وكما يأتي :

-يا هذا قد حبستني .

=قال: فنادى بأعلى صوته يا عاتكة يا حمامة يا أم الغراب

=_فأجابته لجارية من أقصى الدار لبيك مولاي.

= قال :ويلك أبو محمد قد حبسناه منذ غدوة فهاتِ ما عندك .

=_فقالت: يا مولاي قد نخلت دقيقي و أنا أنتظر السقاء يجيء حتى أعجن .

فقد ساهم الحوار في بناء الخبر فصور في بداية الخبر عقبة الباهلي ما جرى معه من أحداث ونقلها لنا وقد شارك فيها ونجد له صوتا ضمن الخبر (قد حبستني...) ليولد هذا الحوار حوارا آخر قد دار بين صاحب المنزل وجواريه وضمير المتكلم كأنه قد ألغى دور السارد الأخير للخبر وهو الخطيب البغدادي عن المتلقي إذ يكاد لا يشعر بوجوده حينما يقرأ الخبر مما أضاف أبعاد واقعية للخبر محررا الخطيب البغدادي من قيود القاء السرد ولان المتكلم هو صاحب الخبر و العارف بأحداثه والمحيط بتفاصيله قد عاشها بجماع فكره وإحساسه[2]، قد نقلها وصورها للمتلقي بواقعية أكبر وأكسب النص مصداقية أكبر تشعره بأن النص غير مصطنع أو موضوع من قبل السارد.

وأيضا يمكننا أن نورد هذا الخبر مثالا على الحوار الخارجي إذ يقول الخطيب البغدادي : **(بلغني أن بغداديا لحاما نزل بالكوفة وفتح فيها حانوتا ليبيع فيه اللحم فمكث زمانا لا يشتري أحد منه شيئا ثم جاءته امرأة في قناعها نخالة وقالت له: أعطني بهذه النخالة لحما. فصاح**

([1]) البخلاء: ١٨٧-١٨٨.
([2]) ينظر في نظرية الرواية: ٣١٢.

عليها وانتهرها وقال: أي خير يرتجى من قوم يريدون ابتياع اللحم بالنخالة؟ فولت المرأة وهي تضحك تعجبا منه وقالت: هذا البغدادي طريف لا يبيع اللحم إلا بالنوى)[1].

إذ إن الخبر أحتوى على حوار قصير مكثف كما يلي:

– أعطني بهذه النخالة لحما .

أي خير يرتجى من قوم يريدون ابتياع اللحم بالنخالة؟

– هذا البغدادي طريف لا يبيع اللحم إلا بالنوى.

فالسارد نقل إلينا الحوار الذي دار على لسان الشخصيات مصورا مشاهده مما يشعر المتلقي بالمشاركة على الرغم من إن الحوار مختزل ينقله لنا السارد الغير مشارك على لسان شخصيات الخبر وإن صوته الخارجي يبرهن على التناغم بين بناء الخبر ونمط التأليف السردي العربي القديم إذ يؤدي دورا في تأطير النص السردي التخيلي في حدود الفكر التوثيقي[2]، إن النمط السردي العربي القديم يوظف الفعل (قال) وغيره من أفعال التحاور في نقل الحوار الذي يدور بين شخصيات الخبر للمتلقي من أجل رسم الحدث بصورة آنية وإن هذا النمط يثير خيال المتلقي و يعطي للنص توثيقا وبعدا زمانيا، فإن أفعال السارد هذه ببنيتها العميقة تكشف للمتلقي عن رغبة السارد في توثيق هذا المحكي عبر نقله من حدود العالم الذهني الفردي إلى حدود العالم التداولي الجمعي[3]، فبمجرد أن يبدأ السارد بهذا النمط فإنه يعطي للكلام بعدا تاريخيا توثيقيا وأيضا يعطي للمتلقي شعورا إن الخبر قد نقل إليه من خلال السارد دون تلاعب.

ونلخص من هذا كله أن الحوار الخارجي في كتاب البخلاء قد وظف و ساهم بشكل كبير في تحريك الأحداث ودفعها الى الإمام وإظهار تفاصيلها و الكشف عن سلوكيات بعض الشخصيات مما أضفى على الكتاب الحيوية وخفف من وطأة السرد وإشعار المتلقي بالمشاركة حينما يقرأها وكأنه أحد شخصيات الخبر، و نستنتج أيضا من خلال هذه الدراسة غياب الحوار الداخلي في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي إذ لم نعثر على أخبار تحتوي على حوار داخلي واضح إلا ما

---

(1) البخلاء: ١٨٨.
(2) ينظر: تحليل الخطاب السردي في أخبار الطفيليين: ٢٦٢.
(3) ينظر : نفسه : ٢٦٣.

ذكرناه في قصة الأعرابي والرجل الذي نزل على غير حيه ففي هذا الخبر عثرنا على ملمح للحوار الداخلي ولم نعثر عليه في بقية أخبار الكتاب.

المبحث الثاني

الفكاهة و السخرية

الفكاهة لغة :" بالفتح مصدر فَكِهَ الرجلُ بالكسر فهو فَكهٌ إذا كان طيب النفس مَزّاحا و الفاكه المزّاح"[١].

أما في الاصطلاح فتعرف بأنها : نادرة أو طرفة تتضمن حكاية أو خبرا يبعث على الضحك، وتكون مكتوبة أو محكية و تصنف الفكاهات حسب الموضوعات فمنها النقد الاجتماعي، و السياسي ، والأدبي ، وقد يبلغ الفكاهي حد البراعة بأن يضحك من مآسي الحياة و آلام الشعوب[٢]، ونفهم من التعريف إن الفكاهة هي الضحك نتيجة لمواقف معينة فيها مخالفة للواقع وترفه عن النفس وتريح المتلقي ، والغاية من الفكاهة هي إضحاك المتلقي أولا، ومن ثم حمل رسالة فيها تلميح للإصلاح "لأن الفكاهة رسالة اجتماعية مقصود منها إنتاج الضحك أو الابتسام"[٣] ، "فالضحك بكل أنواعه يرتبط بشكل قريب أو بعيد بالفكاهة[٤]، حيث إن المبدع يعمد للفكاهة لإثارة الضحك على بعض المواضيع و الأمور بغية إصلاحها إذ يستطيع من خلال الفكاهة تحريك عواطف الناس اتجاه قضية معينة يعالج فيها المبدع مواطن النقص[٥].

وتعرف الفكاهة بأنها"هي نشاط اتصالي و اجتماعي ينطوي على أشكال و جوانب معرفية وسلوكية تستهدف استحضار الحس المضحك في تصميم و إنتاج الرسالة الاتصالية التي تعتمد على إدراك التناقضات في المعنى لإثارة الضحك لدى الجمهور عادة و السخط أحيانا أو كليهما معا"[٦]، في تعزز" التهور و اللامبالاة الأمرين اللذين يضعفان من السلطة"[٧] ، وتأخذ الفكاهة

---

(١) لسان العرب، (مادة فكه).
(٢) ينظر: المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط٢ ،١٩٩٩: ٦٩/١.
(٣) الفكاهة و الضحك رؤية جديدة ، شاكر عبد الحميد ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والادب ، الكويت ،١٩٩٠: ٧.
(٤) ينظر: فلسفة الفكاهة ، تيري أيغلتون، ترجمة ماجد حامد ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠١٩: ١٢.
(٥) ينظر: الأدب الفكاهي ، عبدالعزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان ، ط١، ١٩٩٢ :٢٥.
(٦) السخرية في البرامج التلفزيونية، ضياء مصطفى ، تقديم كاظم المقدادي، دار ميزوبوميات، بغداد، ط١، ٢٠١٤: ٢٤.
(٧) فلسفة الفكاهة: ١١٢.

الكلامية عدة أشكال "فقد تكون هذه الفكاهة لطيفة أو رقيقة أو قد تكون فظة لاذعة ومنها أنواع كالظرف، و التهكم، والسخرية، و الكوميديا الرخيصة، و المحاكاة[١].

إن روح الدعابة مطلوبة في كل مكان و زمان إذ تعدّ متنفسا تريح الإنسان من متاعب ومصاعب الحياة وتخفف من وطئ ثقلها، ومن خلالها يتم "تصريف بعض الطاقات التي لو تراكمت لأصبحت ذات فاعلية سلبية في المجتمعات المختلفة "[٢]، وتظهر الفكاهة بالكلام ،والتصرفات والمواقف والحركات والأشكال و الطباع[٣] ، وليس بالضروري أن يكون كل ما هو مضحك فكاهيا.

أما السخرية فقد ورد تعريفها لغة : "من سخر منه و به سَخرا و سَخَرا مسخرا و سُخرا بالضم وسُخرة و سخريا وسُخرية :هزئ به ، وسخرت منه و سخرت به وضحكت منه و ضحكت به وهزِئت منه وهزئت به كل يقال و الاسم سخرية"[٤] .

أما في الاصطلاح فتعني "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل كالقول للبخيل ما أكرمك "[٥] ، وعرفت أيضا بأنها نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائض الإنسانية الفردية منها والجمعية، والهدف منها التخلص من بعض الخصال و الخصائص السلبية، فهي أحد أشكال المقاومة و قد تشمل السخرية التهكم والاستهزاء و تعد مظهرا من مظاهر الفكاهة ومن أكثر أشكالها أهمية[٦] حيث تكون الغاية من السخرية نقدية تصحيحية قوامها الضحك، "وهي أرقى أشكال التعبير الأدبي لمفارقتها الدلالية، ولأنها تحمل في ثناياها مواقف انتقادية تصدر عن انفعال غاضب من الذات الساخرة باتجاه الظواهر السلبية، فهي تصدر بديلا مقبولا للعقاب تجاه المسخور منه "[٧].

---

(١) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٩: ٣٩٩/١٧.

(٢) شعر الفكاهة في العصر العباسي، دراسة نقدية تحليلية ،جهاد عبد القادر قويدر، رسالة ماجستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،٢٠٠٩: ٣٦.

(٣) ينظر: الضحك ،هنري برغسون ،ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط١. ١٩٨٧: ٤٩.

(٤) لسان العرب، (مادة سخر).

(٥) معجم المصطلحات ،مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤: ١٩٨.

(٦) ينظر: الفكاهة والضحك رؤية جديدة: ٥١-٥٢.

(٧) السخرية في الشعر الأموي ،سالم بن محمد بن سالم ،بامؤمن، اطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٣٧ هـ : ٢.

وتعد السخرية لونا من ألوان الأدب وقد عرفها العرب سابقا فهي ليست فنا مستحدثا عليهم فالعرب كانوا يسخرون من الجبان الذي يفر في المعركة أو من القبائل المهزومة ،وهم أيضا يسخرون من البخيل وإلى غير ذلك من الشواهد ، وقد تطرقوا لذلك شعرا و نثرا ولكن ما يمكننا الجزم فيه إنهم لم يعرفوا لونا واحدا أو أسلوبا واحدا للسخرية بل تنوعت ألوانها وأساليبها لديهم و لا يمكن القطع بأن السخرية كانت في العصر الجاهلي قليلة أو ضعيفة ولكنها قوت و بشدة في عصر النبوة فأستخدمها المشركون ضد الرسول(ص)[١].

وقد برزت وبوضوح في العصر الأموي ولاسيما في الشعر نتيجة لمتطلبات العصر وما حدث من تطورات سياسية و مذهبية و قبلية واستخدمت كل الأطراف المتنازعة فني الهجاء و السخرية في مواجهة الخصوم كما برز في هذا العصر لون جديد في الشعر العربي و هو شعر النقائض "حيث يتجلى فيه توظيف الصور الساخرة للخصوم "[٢]، أما في العصر العباسي فقد تناولت فيها السخرية كل شيء حتى القيم الدينية أرسخ القيم في الحياة و الروح ووظفوا ألفاظها ومصطلحاتها ونقلوها إلى إطار آخر فأضفوا صفات القداسة على اللهو[٣]، وظهرت لنا في العصر العباسي كتب و مؤلفات لا نبالغ أن نقول تنطوي مضامينها على مواضيع ساخرة كـ: كتب البخلاء، والتطفيل، والمقامات، وغيرها .

الفرق بين الفكاهة و السخرية

يصعب تحديد الفرق بين الفكاهة و السخرية فكلامها مرتبط بالضحك إذ هما مختلطان كاختلاط ألوان الطيف ولكن مما لا شك فيه أن الفكاهة أقل شدة و إيلاما من السخرية فكلاهما يحمل الهزل "ولكن ينقسم الهزل إلى قسمين أحدهما ليس له غرض أو هدف إلا الإضحاك فحسب وهو ما يطلق عليه الفكاهة و الآخر له غرض هادف و واضح سواء أ كان معينا أو غير معين...وهو السخرية "[٤] ، والسخرية هي مزج بين الهجاء و الفكاهة و ترشيح الهجاء بالفكاهة يكسبه قوة و طرافة فالسخرية تمتزج بالهجاء من الناحية الوظيفية وكلاهما يفترقان من حيث

---

(١) ينظر: السخرية في الأدب العربي ،نعمان محمد أمين طه، دار التوفيقية للطباعة في الأزهر، ط ١، ١٩٧٨: ٦١-٦٢.
(٢) السخرية في الشعر الأموي: ٣٣٩.
(٣) ينظر: ديوان الشعر العربي، أدونيس ، دار الساقي ، بيروت ، ط ٥، ٢٠١٠: ٤٨/١.
(٤) السخرية في الأدب العربي: ٩-١٠.

المادة و الطبيعة التي يشتمل عليها كل منهما فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم ولكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم [1].

ومن الأمثلة على الفكاهة في كتاب البخلاء هذا الخبر **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وأبو مُحَمَّد الجوهري، قالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس الخزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبيد اللَّه الكاتب، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن زكريا، قَالَ: حدثني مُحَمَّد بْن عبد الرحمن، قَالَ: " دعا مديني أخا له، فأقعده إلى العصر فلم يطعمه شيئا، فاشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قَالَ: صوت المقلى)**[2].

عمد البغدادي إلى إيراد خبر فيه فكاهة عن طريق حوار جرى بين المضيف وضيفه فكان جوابه (صوت المقلى)كناية ورمزا للتعبير عن جوعه الشديد من جهة، و إبراز صفة البخل عند هذا الرجل المديني من جهة أخرى، فكانت الفكاهة وسيلة من وسائل إبراز ثيمة هذا الخبر فتضافر الحوار والفكاهة على شد انتباه المتلقي للخبر.

وأيضا من الأخبار التي تحمل فكاهة هذا الخبر **(وأخبرني علي بْن أيوب، أنبأنا المرزباني، أخبرني الصولي، حَدَّثَنَا أبو خليفة، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سلام، قَالَ: كنا مع أبي عبيدة في جنازة ننتظر إخراج الميت، ونحن بقرب دار الأصمعي، فارتفعت ضجة من دار الأصمعي، فبادر الناس ليعرفوا ذلك، فقال أبو عبيدة: إنما يفعلون هذا عند الخبز، كذا يفعلون إذا فقدوا رغيفا)**[3].

إن الأخبار التي تحمل جانبا فكاهيا يعمد المؤلف فيها إلى جانب من جوانب الحوار و بفعل القول (قال، يقول...)وهذا بحد ذاته يعمل على شد بناء الأخبار من جهة ويعطيها مصداقية و واقعية من جهة ثانية وتبرز صفة البخل في الخبر، وهذا ما حصل مع هذا الخبر فأبو عبيدة لجأ إلى الفكاهة المفرطة في إبراز بخل الأصمعي بل وشدته الذي يوازي الحزن والبكاء على الميت فهذه المقابلة بين الصورتين صورة الميت والصراخ عليه، وصورة خبز الخبز و فقد رغيف لأكله والصراخ عليه في صورة ضدية متقابلة ، وإن كان الجامع بينهما (الميت و الخبز) هو القصد.

---

(1) ينظر: الفكاهة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ،فليسي أمين، رسالة ماجستير ،جامعة مولود معمري، كلية الآداب و اللغات،٢٠١٣: ٢٩-٣٠.
(2) البخلاء: ٧٦.
(3) نفسه: ٧٨.

ومن الأخبار الساخرة الواردة في الكتاب هذا الخبر **(وأخبرنا أبو القاسم الأزهري، حَدَّثَنَا عبيد اللَّه بْن مُحَمَّد البزاز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يحيى، حَدَّثَنَا أبو أَحْمَد البزبزي، قَالَ: " أهدى رجل إلى إسماعيل الأعرج الطالبي فالوذجة عتيقة العمل قد سخنت، وكتب: إني اخترت لعملها جيد السكر السوسي، والعسل الماذي، والزعفران الأصبهاني .فكتب إليه: برئت من اللَّه، لقد عملت هذه الفالوذجة قبل أن تمصر أصبهان، وقبل أن تدحى السوس، وقبل أن يوحي اللَّه إلى النحل)**[1].

فنجد أن إسماعيل الأعرج حينما وصلته الفالوذجة و رآها عرف أنها ليست بالشكل الذي وصفه قِدمها، فسخر من الأوصاف التي وصفها الرجل له حيث قلب الأوصاف التي وصفها إليه الرجل، فاستعمل ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم فهي صورة من صور الفكاهة تعرض الأخطاء وتُحسن عرضها[2]، وكانت الغاية من هذه السخرية تنبيه هذا الرجل على عدم الرجوع إلى مثل هكذا عمل مع إسماعيل الأعرج.

وأيضا من الأخبار التي تحمل سخرية وامتزجت بالفكاهة هذا الخبر **(أخبرني أبو عبد اللَّه الحسين بْن مُحَمَّد بْن عثمان النصيبي، أنبأنا إسماعيل بْن سعيد بْن إسماعيل بْن مُحَمَّد بْن سويد المعدل، أنبأنا أبو بكر بْن دريد، حَدَّثَنَا أبو حاتم، حَدَّثَنَا الأصمعي، قَالَ: " قالت امرأة مدنية لزوجها: اشتر لي رطبا. قَالَ لها وكيف يباع الرطب؟ قالت: كيلجة بدرهم. فقال: واللَّه لو خرج الدجال وأنت تمخضين بعيسى ما ينتظر إلا أن تلديه فيقتل الدجال، ثم لم تلديه حتى تأكلي رطبا ما اشتريته لك، كيلجة بدرهم!)**[3].

نجد أن الرجل قد سخر من زوجته حينما علم بسعر الرطب وبطريقة فيها تناص مع ما ورد في القرآن الكريم في سورة مريم بالتحديد فهو بطريقة غير مباشرة جعلها بمقام مريم التي جاءها المخاض عند جذع النخلة ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [4] ، وجعل مولودها بمقام النبي عيسى (ع)حينما أرادت وضعه مريم وأكلت

([1]) البخلاء :١٠٤.
([2]) ينظر: السخرية في الأدب العربي:١٣.
([3]) البخلاء : ١١٣.
([4]) سورة مريم ،الآية ٢٣.

الرطب ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [1]، وأدخل زوجها قصة (الدجال)الواردة في الأحاديث النبوية للخبر ليزيد مبالغة في التعجيز فنلحظ تعجيزية تحقيق أو تلبية الرغبة وكل هذا جاء على وفق تسلسل ترتيبي في عرض التعجيز فالمرأة حامل وتمتخض بمولود المولود بمقام عيسى و لا يولد المولود حتى تأكل المرأة للرطب و الدجال لا يقتل إلا بظهور عيسى ، ومع هذه المرادات فهو لا يشتري كليجة بدرهم!! وهذا من أشد البخل و أقساه، حيث استعان الرجل بالتناص غير المباشر مع القرآن الكريم ، و الأحاديث النبوية لإضفاء المصداقية على هذه السخرية وترسيخها في ذهن المتلقي نظرا لما للنص الديني و الحديثي من صدى وحضور في نفسية المتلقي فلجأ الى ذلك ليسانده في السخرية و يرفدها في تحقيق الدلالة الساخرة[2] ، فالكلام في إشارة لسورة مريم و للأحاديث التي تخص الدجال فهو عمد إلى استخدام ذلك ليبين لها إن طلبها مرفوض مهما كلفه الأمر.

وهذا الخبر أيضا يحمل سخرية **(بلغني أن مُحَمَّد بْن يحيى بْن خالد بْن برمك كان بخيلا قبيح البخل، فسئل نسيب له كان يألفه عنه، وقال له قائل: صف مائدته. فقال: هي فتر في فتر، وصحافه منقورة من حب الخشخاش، وبين نديمه والرغيف نقدة جوزة. قَالَ: فمن يحضره؟ قَالَ: الكرام الكاتبون. قَالَ: أفما يأكل معه أحد؟ قَالَ: بلى! الذباب. فقال: سوأة له! أنت خاص به وثوبك مخرق. فقال: إني واللَّه! ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك مُحَمَّد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوءً إبرا، ثم جاءه جبريل وميكائيل، ومعهما يعقوب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضمنون عنه إبرة، ويسألونه إعارته إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر، ما فعل)**[3] .

عمد الكتاب أو المؤلف في هذا الخبر إلى الحوار و الوصف في إبراز شخصية يحيى بن خالد ابن برمك فأبرز ذلك من خلال رسم صورة ساخرة له و كأنها لوحة ناطقة كاملة انتقص فيها منه دون الاعتماد على ألفاظ خادشه[4]، فالخبر مقسم على ثلاثة أجزاء فالجزء الأول منه الانتقاص من هذه الشخصية عن طريق وصفه و وصف مائدته بقياسات غير معقولة سلطت

([1]) سورة مريم، الآية ٢٥.
([2]) ينظر: السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا ،خضرة ناصف، اطروحة دكتوراه ،جامعة محمد بوضياف، كلية الآداب واللغات،٢٠١٨: ١١٨.
([3]) البخلاء: ٧٧.
([4])ينظر: الصورة الساخرة في القرآن الكريم ،عبد الحليم حفني ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٣: ٩.

الضوء على مدى بخله في الطعام فلا يشاركه أحد طعامه ولا يحضر أحد إلى مائدته، أما الجزء الثاني فهو توضيح سبب رثاثة ثوبه و سوء وضعه للسائلين فجوابه يوضح بخل شخصية محمد بن يحيى حتى على أقرب الناس إليه، أما الجانب الثالث فعزز من وصفه عن طريق تناصها مع قصة قميص يوسف (عليه السلام)التي وردت في القرآن الكريم فقوى بذلك من تأثير السخرية وجعل النص أقرب للفهم و أعطاه السهولة و المرونة لكثرة تداول النص بين الناس[1]، فشخصية محمد ابن يحيى تبخل بما تمتلك من أشياء وحوائج و إن كانت لغرض الاستعارة لا الأخذ فهو لدرجة إنه لا يعير نبيا يطلب منه إبرة ليخيط بها ثوب ولده النبي و أن تكفلته الملائكة وهذا بخل ما بعده بخل فالمطالب التعجيزية أبرزت ما تحمله هذه الشخصية من بخل و مدى قساوته مع الناس فهو لا يرأف بالأقرباء منه و لا بالغرباء ولا يعير لأحد شيئا حتى وإن كان ليس بحاجة له و لا يضره نقصه.

ويمكن أن نورد هذ الخبر مثالا على الفكاهة يقول الخطيب البغدادي: **(سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بْن عبد اللَّه الطبري أو حدثت عنه: " أن بعض الأكابر كان يشتهي أن يحضر الناس مائدته ويأكلوا طعامه، غير أنه كان لا يستطيع أن يرى فما يمضغ شيئا، فشكا ذلك إلى صديق له يأنس به، فقال له صديقه: لو اتخذت لهم طعاما يتناولونه من غير أن يمضغوه. فقال: وهل يمكن ذلك؟ قَالَ: نعم، أصنع لهم سرطراطة، وهي فالوذجة لم تنضجها النار، فتنعقد، فإنهم يبلعونها ولا يحتاجون إلى أن يمضغوها. فقال الرجل لصديقه: فرجت عني، وهذا أسهل الأشياء عندي، وليس يصعب علي إلا دوية المضغ حسب. فأمر بالفالوذجة فصنعت، وجعلت في صحن واسع، وأحضر من يريد أن يدعوه، فجلس الناس في صحن الدار، وجلس الرجل في غرفة مشرفة عليهم لينظر كيف يأكلون، فلما كان بعد زمان صعد صديقه الذي كان يأنس به إليه، فوجده مغشيا عليه، فانتظره حتى أفاق، ثم قَالَ له: أيش حالك يا سيدي؟ وما الذي أصابك؟ فقال: يا حبيبي، البلع، واللَّه، أشد علي من المضغ)**[2].

إن الفكاهة تنطوي في أفعال الرجل غير المقصودة فهو يحمل تناقضات فكاهية فالبخيل يدعو الناس أن يأتوا إلى مائدته وطعامه وفي الوقت نفسه لا يتحمل أن يراهم يمضغون الطعام ففي

([1]) ينظر: السخرية و الفكاهة في النثر العباسي، نزار عبدالله خليل الضمور، دار الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١، ٢٠١٢: ٩٣.

([2]) البخلاء: ١٤٥.

هذه التناقضات يستحضر المتلقي الحس المضحك حينما يدرك هذه التناقضات[1]، والتي تصدر عن شخصيات الخبر ، ومن ثم أراد الرجل أن يجد حلا لهذه المشكلة فعرض ما يعاني على صاحبة ، فأخبره صاحبه بالحل وهو عدم جلب طعام للضيوف يمضغ، بل يصنع طعام لهم يبلع، ففرح الرجل بهذا الحل الذي رآه مناسبا و ظنه ميسورا عليه، فطلب أن ينفذ فجلبوا الطعام الذي يبلع وقدموه للضيوف ، و راح يتفرج عليهم من شرفته فلما تأخر ذهب إليه صديقه ليتفقده فرآه مغشيا عليه وحينما سأله ما أصابه أخبره بأن البلع أشد عليه من المضغ.

إن كلا الأمرين لا يتعلقان بالمضغ أو البلع فمشكلة الرجل هو بخله بالطعام ، إن الفكاهة في هذا الخبر تبدأ حينما يكتشف المتلقي الأمور والعناصر المتناقضة الغير معقولة في المواقف و الأحداث[2]، فلا يخلو هذا الخبر من لمسات فكاهية تولدت عن طريق المواقف و الأفعال.

و أتت الفكاهة في هذا الخبر أيضا (**سمعت بعض أصحابنا يذكر: " أن رجلا عربيا كان يمشي في بعض دروب الكوفة في يوم قائظ شديد الحر، فلظه العطش، فتقدم إلى باب دار فطرقه، فخرجت إليه جارية، فقال لها: قد لظني العطش، فاسقيني كوزا من ماء. فقالت له: واللَّه ما عندنا ماء، ولكن عندنا لبن، فهل لك أن تشرب منه؟ فقال لها الرجل: ومن لي بذلك؟ فأخرجت إليه فخارة فيها لبن ودفعتها إليه، فعجب الرجل، وقال في نفسه: أليس يذكر عن أهل الكوفة البخل؟ وأنا قد طلبت من أهل هذه الدار ماء فسقوني لبنا وهذا غاية الكرم. ثم وضع الفخارة على فمه وشرب، فبدا له في اللبن ذنب فارة ميتة، فنحى الفخارة عن فمه وقال للجارية: يا هذه، إني أرى في الفخارة فأرة ميتة. فقالت الجارية: فأرة أخرى؟ فرمى بالفخارة عن يده إلى الأرض فسقطت، فانكسرت، فبادرت الجارية إلى مولاتها صارخة تولول، وتقول: يا ستي كسر الرجل مبولتك**)[3].

إن غفلة الرجل بما يجري قد ولدت فكاهة في هذا الخبر حيث إنه طلب الماء من الجارية فجلبت له لبنا، ليكتشف بعد شربه بوجود فأرة فيه ثم تخبره أنها ليست أول فأرة ولعلها كانت أكثر من واحدة ثم اكتشف بعدها أن الفخارة هي نفسها مبولة لصاحبة الدار هذا مما كسر أفق التوقع

([1]) ينظر: السخرية في البرامج التلفزيونية: ٢٣.
([2]) ينظر: نفسه.
([3]) البخلاء: ١٨٨.

للشخصية والمتلقي فولد فكاهة في الخبر فالشخصية وقعت ضحية لفعل البخيل (الجارية) إذ استعملت حيلة فسقت الأعرابي لبنا بدل الماء للتخلص من اللبن الذي سقط فيه فأرتان بخلا منها على رميه و أيضا بخلا منها في إعطاء الماء للرجل فهي بهذه الفعلة ضمنت أن حيلتها لن تكتشف فتوفر الماء و تتخلص من اللبن ولكن وجود الفأرة الثانية قد أفسدت حيلتها وفضحت أمرها ويُدهش الرجل حينما يخبرها بوجود فأرة بعلم الجارية بذلك فتسقط الفخارة من يده وتكسر على تصرفها الأحمق ليكتشف بعدها إن الفخارة هي مبولة صاحب الدار وبقولها هذا تصل الفكاهة إلى أوجها في النص.

ومن الأخبار التي فيها سخرية هذا الخبر **(وقال الغلابي: حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن الضحاك، حَدَّثَنَا هشام، قَالَ: " نزل أبو مالك الخصاصي، وهو حي من أسد، بخالد بْن قطن الحارثي، بقرية له على نهر صرصر، فأساء قراه، فأنشأ يقول{من الوافر}:**

تضيفت ابن ملكة في قراه فكان قراه لما أنّ أتاني

رغيفا خف من منقشر الأعالي شديد اليبس ليس لذاك ثاني

أكل المهرجان كما رأينا بقرية خالد في المهرجان

فلما أن مددت يدي إليه تقشر من خشونته بناني)[1].

حيث أن فعل القوم قد جلب لهم سخرية أبي مالك الخصامي، ونلاحظ أن الشاعر لم يشتمهم بل سخر منهم ففي شعره وصف لرغيفهم فهو منقشر الأعالي إي مأخوذ من فوقه الطبقة الناعمة مع الإبقاء على الطبقة اليابسة الشديدة اليبس حيث من شدة يبسها تقشرت يد الخصامي فصور مظهرا من مظاهر هذه القرية وهو البخل من خلال الأبيات الساخرة من طعامهم الذي قدموه إليه فالسخرية من البخل تناقض الفخر بالجود الذي تعوده العرب وهذا النوع من السخرية تتحقق بوساطة قليل من المؤشرات فتكون أكثر تأثيرا[2]، وهذه الأبيات سخرت فقط مما قدمته القرية ولكن سرى مفعولها في تحقيق غايتها وهي تصوير شدة بخلهم.

([1]) البخلاء : ١٣٧-١٣٨.

([2]) ينظر: السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني و الثالث الهجريين ،عبدالخالق عبدالله عودة عيسى ،أطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية ،كلية الدراسات العليا،٢٠٠٣: ٦١-٦٣.

وعلى نحوه هذا الخبر **(أخبرنا أبو الحسين مُحَمَّد بْن عبد الواحد بْن علي البزاز، أنبأنا القاضي أبو سعيد السيرافي، أنبأنا مُحَمَّد بْن الحسن بْن دريد، أنبأنا أبو حاتم، أخبرني عمارة يعني: ابن عقيل، قَالَ: " نزل بلال بْن جرير برجل، يقال له: مسعود بْن طعمة، أحد بني بيدعة من بني عدي، فلم يحسن قراه، وقد كان قَالَ له: انزل علي إذا مررت. فقال بلال {من المتقارب}:**

أمسعودا أنت الدنيء اللئيم كأنك قنفذة في ضعة

سمعنا له إذ نزلنا به كلاما كما تنطق الضفدعة

فأي اللئيمين أشبهته أطعمة أم أمك الكوتعه

عددنا عديا وآباءهم فشر عدي بنو بيدعة

فما أعطش الضيف لما غدا من البيدعات وما أجوعه)[1].

حيث إن سبب سخرية بلال بن جرير منهم هو عدم قراه فراح بلال يهجوهم ساخرا منهم فابتدأ بالرجل الذي دعاه أن يمر به فوظف تشبيها يحط من قدره فشبهه بالقنفذة في الانحطاط و اللؤم و الدناءة و الخسة و الضعة هي فعله بنفسه أن يكون بهذا القدر من الانحطاط فبلال لبى طلبه ونزل عنده ولكنه لم يدرك إن لكلامه نقيقا كنقيق الضفادع، وهي كناية عن شدة تذمره من الضيوف ثم يسخر منه متسائلا أكان قد تشبه بأبيه بالبخل أم بأمه التي لها رأس كرأس الحمار لهيجو أخيرا بني بيدعة أجمع ووصفهم بشر بني عدي وما اعطش الضيف حينما ينزل بهم و ما أجوعه، فاتخذ بلال من السخرية و الهجاء سلاحا ضد بنو بيدعة وبالخصوص مسعود فالهجاء حينما يفقد عنصر السخرية فإنه قد ينساق إلى مجرد السبَّ و الشتم فيزول عنه بذلك عامل كبير من عوامل قوة التأثير[2]، لذلك قد عمد بلال بن جرير إلى المزج بينهما ليعطي للنص قوة أكبر وتأثيرا أكثر.

وعلى نحوه هذا الخبر **(قَالَ ابن دريد: وأخبرنا أبو حاتم، عن عمارة، قَالَ: " مر بلال بْن جرير بنفر من بني ناشرة، فجفوه، ولم يقروه، فقال، {من المتقارب}:**

([1]) البخلاء: ١٣٨ /و الأبيات لبلال بن جرير ينظر: الشعر و الشعراء: ٤٦٥.

([2]) ينظر: السخرية في شعر جرير، محمد إبراهيم عبد القادر ربيع، رسالة ماجستير، جامعة جرش، كلية الآداب، ٢٠١٣: ٢٤.

عددنا فقيما وآبـــــاءهـــــم فـشر فـقيم بنو ناشــره

قصار الفعال طوال الـــخصى مـناتين ليست لهم بادره

يعدون غرما قرى ضـــــيفهم فلا عدموا صفقة خاسره

إذا ضفتهم وتـــــخيلـــــتهم وجدت لهم علة حـاضره

وليســـــوا إذا قلـت ماذا هم بأصحاب دنــيا ولا آخره)[1].

إن مسألة عدم إكرام الضيف وجفوه تشكل سببا كبيرا من أسباب الهجاء والسخرية في كتاب البخلاء وهذا ما نجده في الخبر الذي أوردناه فقد قام بنو ناشرة بجفاء بلال بن جرير، فصب عليهم بلال هجاءه و سخر منهم ووصفهم بشر بني فقيهم وإنهم قصار الفعال مناتين ليس لهم بادرة في الكرم و القرى يعدون قرى الأضياف غرما وخسارة ليس تقابلها أي فائدة ولا يدخلون صفقة خاسرة ، وإذا فتش المرء عنهم و أفرس فيهم وجد لهم علل حاضرة لا يخلون منها وهم أيضا ليسوا بأصحاب دنيا و لا آخرة، حيث سلط الشاعر سخريته لا على شكل المهجو ومظهره فقد أورد ذلك ببيت واحد فقط و إنما جعل جل سخريته على نسبهم حيث اظهرهم بمظهر البخلاء اللئام عديمي الكرم ليس من اهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة وأخذ من أسلوبي الهجاء والسخرية وسيلة لتصوير شدة بخلهم.

ومن الأخبار التي فيها سخرية هذا الخبر **(حَدَّثَنَا أبو طاهر مُحَمَّد بْن علي بْن مُحَمَّد السماك، أنبأنا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن موسى القرشي، أنبأنا علي بْن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، أخبرني أبو بكر الربيعي الشاعر، وكان كالمنقطع إلي، قَالَ: " دعانا أبو مُحَمَّد بْن الشار يوما، وكان فيه بخل على الطعام، ودعا جحظة، فطال حبسه للطعام جدا، فأخذ دواة ورقعة، وكتب إلي{من السريع}:**

ما لـــــي ولـشار وأولاده لا قدس الوالد والـــــوالده

قد حفظوا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة الـــمائده

([1]) البخلاء: ١٣٨-١٣٩/والأبيات لبلال بن جرير ينظر: الشعر و الشعراء:٤٦٥.

ورمى بها إلي، فقراتها، وكان ابن الشار يقرأ، فأومأت بها إليه، فقرأها، ووثب خجلا، فقدم الطعام، وكان بعد ذلك يجهد جهده في أن يجيئه جحظة، فلا يفعل، ويقول لي: حتى يحفظ تلك السورة، ثم أجيئه)[1].

حيث دعا ابن الشار جحظة وحينما ابطأ عليه الطعام سخر منه جحظة البرمكي منتقدا إياه هو و عائلته من أولاد و أب وأم وندم على تلبية دعواه ومن ثم أتخذ من حفظ العائلة للقرآن الكريم وتركهم لسورة المائدة كناية عند شدة بخلهم فهم تركوا كل شيء يشير إلى العطاء حتى كلام الله تعالى فتركوا السورة ولم يقرؤها ولم يحفظوا منها شيئا من شدة بخلهم، وكانت السخرية هذه فعالة حيث جعلت من ابن الشار أن يقوم خجلا ويسرع في جلب الطعام، فكانت هذه السخرية فعالة في تصحيح مسار شخصية ابن الشار و كفه عن مثل هكذا فعل حتى سعى جاهدا في طلب جحظة كي يجيئه مرة أخرى ولكنه جحظة أصر على وسخريته منه مرة أخرى قائلا (حتى يحفظ تلك السورة) حيث توجهت السخرية على ابن الشار و اسرته بصورة مباشرة وعبر جحظة عن الموقف بتعبير مباشر تجاه ما حدث فالساخر أراد إظهار النقد لشخصية ابن الشار وإبراز عيوبه للآخرين بغية إضحاكهم[2]، ومن ثم تقويم سلوك هذه الشخصية

وتتجلى السخرية في هذا الخبر **(قرأت على القاضي أبي العلاء مُحَمَّد بْن علي بْن أَحْمَد الواسطي، عن أبي عبد اللَّه مُحَمَّد بْن عبد اللَّه الحافظ النيسابوري قَالَ: سمعت أبا زكرياء العنبري، يقول: سمعت أبا واثلة مضر بْن مُحَمَّد بْن الأديب المروزي، يقول: سمعت مُحَمَّد بْن أبي ثميلة، يقول: " كان سعيد بْن سلم بْن قتيبة بْن مسلم والي مرو يبخل، فقال فيه الشاعر {من الطويل }:**

رغيف سعيد عنده عدل نفسه ... يقلبه طورا وطورا يلاعبه

ويحمله في كمه ويشمه ... ويلثمه حينا وحينا يخاطبه

وإن قام مسكين على باب داره ... إذا ثكلته أمه وأقاربه

([1]) البخلاء: ١٤٨-١٤٩.
([2]) ينظر: السخرية في الشعر الأموي: ٣٨٨.

يصب عليه البول من كل جانب وتحصب ساقاه وينتف شـــــــاربه)[1].

حيث سخر الشاعر من شخص سعيد بن قتيبة بن مسلم وجعل من رغيفه يعادل نفسه إي أنه ينظر إلى الرغيف كما ينظر لنفسه، فهو يحبه كما يحب نفسه ويعتني به ويداعبه كما يعتني بنفسه ويقلبه أحيانا ويحمله في كفه ويقبله ويخاطبه أحيانا أخرى ، أما إذا جاء مسكينا طارقا لباب سعيد بغية المسألة فقد أنزل على نفسه عقوبات تتلى عليه الواحدة تلو الأخرى من انصباب البول عليه من كل جانب وضرب قدماه بالسوط ونتف شاربه حيث إن شدة بخل سعيد تجعله حريصا شديد الحرص على أمواله وطعامه لدرجة معاقبة المسكين بأقصى العقوبات، لقد كشف الخبر لنا وما فيه من شعر مدى درجة بخل سعيد عن طريق السخرية منه ملونا شعره بالهجاء الساخر الذي يصور من خلاله خصمه تصويرا كاريكاتوريا مضحكا حيث يصدر عن طاقة ذهنية ساخرة ومبدعة[2]، وغايتها إبراز عيوب الشخصية.

وفي هذا الخبر أيضا سخرية **(أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، أنبأنا مُحَمَّد بْن عمران بْن موسى، أنّ مُحَمَّد بْن يحيى أخبره، قَالَ: حدثني علي بْن العباس يعني: النوبختي، قَالَ: " كان البختري معي جالسا، فسلم علينا ابن لعيسى بْن المنصور، فقال لي: من هذا؟ فقلت: هذا ابن عيسى بْن المنصور، الذي يقول ابن الرومي في أبيه {من المتقارب} :**

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خـــالد

ولو يستطيع لتقتـــــيره تنفس من مـــنخر واحد

فقال لي: أف وتف، هذا من خاطر الجن لا من خاطر الأنس. ووثب فمضى)[3].

إن الخبر يحمل استذكارا لأبيات قالها ابن الرومي في عيسى بن منصور وهي في غاية السخرية حيث وصفه بالتقتير رغم علمه بفنائه ولكن وصل به التقتير والبخل درجة ان يبخل على نفسه حتى إنه من شدة بخله تمنى أن يتنفس من فتحة واحدة من أنفه كي لا يسرف في استنشاق

([1]) البخلاء:١٦٠/و الأبيات لأبي نواس ينظر: ديوانه: ٥٣٤.
([2]) ينظر: السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول(٦٤٨-٧٨٤هـ)، نفين محمد شاكر عمرو، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٩: ٥.
([3]) البخلاء: ٩٩/و الأبيات لابن الرومي ينظر: ديوانه، منشورات دار ومكتبة هلال، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٨: ١٦٠/٢.

الهواء فقد اعتمد ابن الرومي على جسد عيسى كمدخلا أساسيا للسخرية[1]، فاحتضر المسخور من خلال توظيف أنفه و ربط عملية الاستنشاق والتنفس بالبخل ، وأيضا نجد في الخبر نفسه شهادة للبحتري في تفوق ابن الرومي ومدى براعته في تكوين هذه الصورة الساخرة عن عيسى بن منصور فالبيتين نالا استحسانه وهي شهادة من شاعر كبير كالبحتري إذ قال ان البيتين لم يخطرا على بال أنسي وإنما جاءت من خاطر الجن فابن الرومي لم يشتم عيسى قط بل ابرز ما فيه من عيوب معنوية بأسلوب خبري (يقتر عيسى) حيث جعل منه باخلا على نفسه فكيف به على الأخرين.

وأيضا من الأخبار الساخرة التي أوردها الخطيب البغدادي هذا الخبر: **(أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وعبد الكريم بْن مُحَمَّد الضبي، قالا: أنبأنا أبو الحسن الدارقطني، قَالَ:" كان عقبة بْن جبار المنقري بخيلا، وفيه يقول الشاعر {من البسيط}:**

لو أن قدرا بكت من طول محبسها على القفور بكت قدر ابن جبار

ما مسها دسم مذ فض معدنها ولا رأت بعد نار القين من نار)[2].

إذ هجاه الشاعر ببخله وسخر منه عن طريق الكناية حيث جعل من قدوره باكية من طول محبسها وقفرها إذ لا يصل إليها ماء ولا طعام ولم يمسها دهن منذ وقت صناعتها و رأت نارا بعد النار التي صنعت بها ولمعت وهذا الكناية تدل على شدة بخل عقبة بن جبار حيث إنه من شدة بخله لا يطبخ بقدره ولا يأكل فيها بل جعل منه الشاعر و كأنه يطلب طعاما من الآخرين ويأكله فالقدر تشكو بخل صاحبها فلا يضع فيها شيئا لتؤكد بخل صاحبها على نفسه وعلى الآخرين.

ونستنتج من هذا أن للفكاهة للسخرية حضورا غير قليل في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي فوردت على أشكال وصور متنوعة منها هو عفوي وغير مقصود و منها ما جيء بها لأجل الهجاء أو لأجل التنقيص من قيمة الاشخاص البخلاء ان هذه النصوص قد زادت من التنفيس عن القارئ أو المتلقي فهي تزيد من طرافة النصوص التي وردت و تضيف عليها بعض الخفة و

([1]) ينظر: السخرية في الشعر الأموي: ٤٣.

([2]) البخلاء: ٩٦/والأبيات للفرزدق ينظر: ديوانه، شرح وضبط وتقديم الأستاذ: علي فاعور، دار الكتب العملية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧: ٢٨٤.

اللطافة مما تمنح النصوص ثراء في امتاع المتلقي ، وأيضا لاحظنا ان الشعراء الذين ذموا الشخصيات البخيلة قد مزجوا ما بين السخرية و الهجاء من أجل تلونين نصوصهم الشعرية و منحها قوة أكثر في تصوير جوانب هذه الشخصيات الغريبة في تصرفاتها .

المبحث الثالث

الوصف

إن الإنسان منذ وجوده على الأرض يوظف وسائل تعبيرية من أجل إيصال ما يشعر به بصورة صحيحة مكتملة إلى من حوله من أبناء جنسه بالكلام سابقا و بالكتابة فيما بعد وإن هذا التعبير سواء أ كان عن الأشياء الملموسة أم المحسوسة يحتاج إلى وصف لكي تتوضح الصورة لدى المخاطب، فالوصف ليس وليد الثقافة أو التطور بل هو متجذر في الذات الإنسانية منذ نشأته فالإنسان يصف ما يرى من مناظر و ما يشعر به من مشاعر وآلام ويختلف دقة الوصف بين شخص وأخر حسب خصوبة خيال الفرد فالأفراد متفاوتون في ذلك .

وجاء معنى الوصف في اللغة : "وصف الشيء له و عليه وصفا و صفة حلّاه "[١]، أما في الاصطلاح فتعددت تعريفاته فقيل: "إنه ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات"[٢]، والوصف "هو تصوير حي للظواهر و الأشياء بخطوط مشرقة و تلوين مبدع مما يساعد المتأمل على كشف الجمال وسبر الغور التأملي فيما يتطرق له الوصف من موضوعات"[٣]، أما من ناحية الوصف في السرد فغالبا ما يكون الوصف فيه توثيقيا يهدف إلى تصوير الشخصية وأفعاها وبيان أسباب سلوكها عن طريق وصف بيئة الشخصية ومكوناتها وكل ما يكون خلفيتها، وأحيانا يكون الوصف فيه أيهامي غايته إيهام القارئ بأن ما يقرأ هو واقعي وقد يكون الوصف تزييني غايته إشباع الحاجات الجمالية لدى المتلقي[٤]،إن الوصف وسيلة سردية تقوم بوظيفة بناء مهمة في سياق النص فهو يجعل النص يحايث الحس الإنساني [٥]،إن الوصف "شكل من أشكال القول ينبئ على كيف يبدو شيء ما وكيف يكون مذاقه، ورائحته، وصوته، ومسلكه، وشعوره "[٦]، ويتجاوز الوصف "الصورة المرئية إلى غير المرئية من المحسوسات "[٧] ، والمراد بذلك تبيان و توصيل وتوصيف المظهر الخارجي للأشياء لغرض التعريف بها وتزينها في ذهن

([١]) لسان العرب، (مادة وصف).
([٢]) نقد الشعر ،قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان:١٣٠.
([٣]) الوصف عند امرئ القيس دراسة تحليلية، نصر الدين فارس ،دار المعارف، ط١، ١٩٨٢: ١٢-١٣.
([٤]) ينظر: البناء الفني في الرواية العراقية ،شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد ،العراق،ط١ ،٢٠١٩: ٢٤١-٢٤٢.
([٥]) ينظر :البناء الفني لرواية الحرب في العراق:١٨١.
([٦]) معجم المصطلحات الادبية ، إبراهيم فتحي: ٤٠٦.
([٧]) بناء الرواية: ١١١.

الآخرين من أجل اضافة الحيوية للأشياء، ولا يقتصر الوصف على الظواهر الجميلة فقط بل يتعدى ذلك إلى المظاهر القبيحة إذ لا بد أيضا من وصف الهيئات الرثة، والروائح الكريهة، والخرائب، وإلى غير ذلك . فهذه الظواهر، والمظاهر موجودة في الحياة اليومية ، كذلك لا يقتصر الوصف على فن من الفنون الأدبية من دون آخر إذ نجده مكونا من مكونات الشعر و النثر العربي على الرغم من أن وجوده في الشعر أوسع من النثر، وقد اهتم النقاد القدماء به كغرض من أغراض الشعر و أهملوا دراسته نثرا ، إن السرد بصورة عامة لا يستطيع الاستغناء عن الوصف بينما يستطيع الوصف ذلك "فالسرد يتوقف عليه بينما هو لا يتوقف على السرد"[١] إذ يوظف السارد الوصف في النصوص الأدبية لتقديم الشخصيات، وتأثيث المكان للمتلقي، وعرض تحركاتها مستخدما النسيج السردي لأداء ذلك معتمدا على تراكيب اللغة و الجمل "حيث تتكون مجموعة من العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية "[٢]

ويمكن للوصف أن يحضر مجسدا "في دليل منفرد أو مركب أي في كلمة أو جملة أو متتالية من الجمل"[٣] و أياً كان شكله اللغوي "فهو يخضع لبنية أساسية تشمل على خصائص الموصوف أو عناصره"[٤] ويؤدي الوصف وظيفة داخل المنجز السردي حيث يصور المظاهر، والأشياء، والموجودات، والأشخاص، والأماكن، تحت وظيفة تسمى "الوظيفة الزخرفية" [٥]إذ الغاية من ذلك تزيين المظاهر للمتلقي لأجل إمتاعه وإبعاده عن جو الأحداث المتوترة فيكون الوصف أشبه إلى حد ما "محطات استراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه"[٦]، وبهذا يكون الوصف مجرد وسيلة يستعملها السارد وليس هو الهدف أو الغاية أو المكون الأساسي للبنية الخبرية، أما الوظيفة الأخرى للوصف هي وظيفة كشفية تفسيرية فذكر "الأماكن، والمدن، والمنازل، والادوات، والملابس...الخ تكشف عن حياة الأشخاص النفسية و تشير إلى مزاجها وطبعها "[٧] فالوصف هنا يخدم في نباء الشخصية.

---

(١) في نظرية الرواية:٢٦٠.
(٢) ضحك كالبكاء، ادريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط١ ،١٩٨٦: ١٢٧.
(٣) وظيفة الوصف في الرواية، عبداللطيف محفوظ ،دار العربية للعلم ناشرون، ردمك، ط١، ٢٠٠٩: ١٣.
(٤) معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر و التوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٠: ٤٧٢.
(٥) بنية النص السردي: ١٣٤.
(٦) بنية الشكل الروائي ١٩٩٠: ١٧٥.
(٧) بناء الرواية: ١١٥.

إن هاتين الوظيفتين تردان في السرد العربي القديم أما الوظيفة الايهامية التي توهم المتلقي بواقعية الأحداث أم عدم واقعيتها [١]، فلا نعتقد بان السرد الخبري القديم يحتاجها وذلك لوجود سند يثبت واقعية الأحداث ويؤكد بأنها ليست من خيال السارد كما في الروايات التي يساهم في تكوين أحداثها ووصف ما فيها خيال الكاتب ،إذ لا يحتاج السارد أن يوهم المتلقي بواقعية ما يصف لدلالة السند عليه موثقا البعد الزمني بينه وبين الحادثة، ويأتي الوصف في مواطن متعدده من النص، ومهما كان موقعه من النص الذي يرد فيه فانه وعلى الأغلب يستهل بعبارات تعلن بدايته وقد تنبئ أخرى بنهايته وخصوصا في القص الواقعي[٢]، وأيضا يمكن للوصف أن يتناول الموصوف مجملا أو جزءا منه و يمكن أن يتناوله من حيث سماته و خصائصه ويمكن أن يتناوله بصورة مفصلة أو مقتضية أو موضوعية أو ذاتية تقليدية أو إبداعية...الخ حيث يعطي طابعا محددا يساهم في رسم الشخصية وتقدم لموضوع أو ترمز إلى حدث آتٍ [٣].

أما أهم اغراض الوصف أو غايته فهو تصوير انطباع حسي و الدلالة على مزاج نفسي حيث يحاول الوصف أن يجعل من تلك الانطباعات الحسية أو الحالات الوجدانية مماثلة عند القارئ من ناحية حيويتها ومشابهتها للواقع لما كانت عليه لدى الكاتب عند تلقي الانطباع و ملاحظة الحالة الوجدانية[٤]، ويعتمد عمق الوصف على درجة تلقي الكاتب للتفصيلات وقوة مقدرته على ملاحظتها و توظيف ثرائه الفكري وخياله في التعبير عنها وتصويرها مما يجعل من سمع المتلقي بمثابة عين لتصوير الأحداث. وقد اشتمل كتاب البخلاء على عنصر الوصف في عدة أخبار ويختلف باختلاف الموضوعات التي أوردها الخطيب البغدادي التي تخص البخل و البخلاء وما يدور حولها من حكايات.

يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا علي عن محمد بن عبدالله المعدل، أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي، حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، حدثني الحارث بن محمد القمي، عن**

---

(١) ينظر: بنية النص السردي: ١٣٤.
(٢) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظرية و الاجراء ، محمد نجيب العمامي، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٠: ٦٤.
(٣) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية: ١٧١.
(٤) ينظر: معجم المصطلحات الادبية: ٤٠٧.

أبي الحسن القرشي قال: قال رجل من العباد: صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه ،كان يرد السائل ويبخل بالنائل)[1].

إذ يقوم السارد هنا بتقديم أوصاف للشخصية حينما قال : (كان يرد السائل) فالوصف هنا خارجي للشخصية إذ إنه لا يعطي لأحد شيئا حينما يسأله ،و الوصف الداخلي الفسيولوجي (ويبخل بالنائل) حيث صور ما في الشخصية من حسد و شح إذ إنه يشح بما في أيدي الناس و يحب أن يكون له ، فهذا الوصف قد أظهر للمتلقي مدى قبح سلوكيات واطباع الشخصية النفسية حيث وصل لأعلى درجات البخل والشح، وأيضا ما تحمله الشخصية من حسد، إذ تمني زوال النعمة من أيدي الآخرين لهو الحسد بعينه، إن السارد هنا قد آخر وصف الشخصية ليخلق الانتظار والتشويق لدى المتلقي[2]، وقد جاء والوصف في الخبر بطريقة مباشرة من السارد دون أن يفسح المجال للشخصية بالكشف عن نفسها .

وبالطريقة نفسها قدم السارد الخبر الآتي: **(أخبرنا الحسن بن الحسين النعالي ، أنبأنا أحمد بن نصر الله بن عبدالله الذراع ،حدثنا صدقة بن موسى ، حدثنا الاصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول :لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى بالسائل اذا رآه ملك الموت إذا أتاه)**[3] .

فالسارد أيضا قدم وصفا خارجيا للشخصية وهو يتحدث عنها و وصفها بالبخل حينما قال (كأنما يرى بالسائل اذا رآه ...الخ) فقد رسم السارد ملامحها الخارجية و أعطاها للمتلقي بصورة مباشرة، وبهذه الطريقة لا يحتاج المتلقي في إمعان نظره و إجهاد نفسه في تحديد صفات الشخصية ولم يصور السارد الجانب النفسي بصورة عميقة لها بل اكتفى بتصويرها سطحية فقط.

ومن النماذج الأخرى هذا الخبر **(أخبرنا ابو الحسن علي بن محمود الزوزني الصوفي، أنبأنا أبو محمد عبدالرحمن محمد بن حسين النيسابوري فيما أذن لنا أن نرويه عنه ،قال :سمعت طاهر بن عبدالله يقول :كان ببغداد أخوان يقال لأحدهما عقبة وكان من أجود الناس ، ويقال للأخر عيسى وكان من أبخل الناس فقال فيهما ابن بسام الشاعر {من البسيط}:**

([1]) البخلاء: ٥٩-٦٠.
([2]) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية: ١٧٢.
([3]) البخلاء: ٦٠.

لَم يَدرِ ما كَرَمٌ عيسى فَليمَ كَما لم يَدرِ عُقبَةُ ما لَومٌ فَـــــلَم يُلَمِ

فَزُهدُ عُقبَةَ في لا حينَ نَــسأَلُهُ كزُهدِ عيسى إذا ما سيلَ في نعم)[1].

قدم السارد وصفا خارجيا للشخصيات حينما قال (كان من أجود الناس) ويقصد عقبة ، (كان من أبخل الناس) ويقصد عيسى حيث رسم السارد الشخصيتين من الخارج إذ لم تكن الحادثة كلها موجودة ما لم تكن هنالك شخصيات و إن الشخصيات لم تكن لتتوضح في ذهن المتلقي ما لم يكن هنالك وصفا لها وجاء السارد بالشعر تعضيدا ومبالغة منه في توثيق الخبر.

وبالطريقة نفسها يخبرنا السارد بهذا الخبر إذ يقول : (**أخبرنا الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب، أنبأنا ابو عبيدة محمد بن عمران بن موسى المرزباني ،أنبانا ابن دريد ، أنبأنا ابو عثمان الاشنداني قال: كان أبو عبيدة يقول: كان الأصمعي بخيلا فكان يجمع أحاديث البخلاء ويتحدث بها ويوصي بها ولده وكان أبو عبيدة إذا ذكر الاصمعي ينشد{من الكامل}:**

عظم الطعام بعينه فكأنه هو نفسه للآكلين طعام)[2].

إذ وصف السارد في هذا الخبر سلوكيات شخصية الأصمعي، فهو رجل بخيل يجمع أحاديث البخلاء ويتحدث بها ويوصي بها ولده، فهذا وصف خارجي يظهر لنا جانبا من جوانب هذه الشخصية التي تشغف بجمع أحاديث البخلاء، والبيت الشعري يصف لنا جانبا معنويا من الشخصية، إذ يصور لنا البيت أفعالها حيث أعطى للمتلقي مزايا الشخصية التي تتجذر البخل فيها لدرجه يرى نفسه هو الطعام الذي والأخرين يأكلون من جسده إذا أكلوا في بيته، فحاول السارد بقدر الإمكان على إحضار صورة الشخصية في ذهن السامع أو المتلقي كانه يراه أو يشعر به[3].

وأيضا من الأخبار التي ذكرت وفيها وصف الشخصيات هذا الخبر يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرني الحسن بن علي بن عبدالله العطار، أنبأنا أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجاد، أنبأنا أبو القاسم السكوني، قال حدثني الحسن بن محمد، قال حدثني يوسف بن تميم، قال حدثنا بعض شباب أهل البصرة ،إن رجلا موسرا كثير المال وكان ينظر**

([1]) البخلاء: ٦٨.
([2]) نفسه: ٧٨.
([3]) ينظر: معجم المصطلحات الادبية: ٣٦١.

في دقيق الأشياء فاشترى حوائج له ،فدعا بحمال فقال: بكم تحمل هذه الحوائج؟ قال :بحبة. قال: أحسن. قال : أقل من حبة ؟ لا أدري كيف أقول. قال: نشتري بالحبة جزرا فنجلس جميعا و نأكله)[1].

فالوصف هنا جاء لإبراز ملامح الشخصية الخارجية فجاء بجملة قصيرة موجزة فيها تكثيف وهي عبارة (رجل موسرا كثير المال...الخ) أبرزت هذه العبارة أوصاف الشخصية المباشر، ومن ثم ابتدأ بسرد الخبر ليتركه يرسم في ذهن المتلقي وصفا غير مباشر عن طريق فعل الشخصية حينما طلب من الحمال أن يحسن له السعر بأقل من حبة، و من ثم طلب منه أن يشتري بالحبة جزرا ويأكلوه معا فهذا الفعل قد عرف المتلقي بمدى بخل هذا التاجر، فالراوي قد وظف أفعالا نحوية لوصف عمل الشخصية في داخل الإطار الخبري من دون اللجوء إلى وصف مباشر فيقترب الوصف من الطابع الشفوي والنقل المباشر للحدث[2] وأفعال الشخصية هي التي عرفت المتلقي بأوصافها وما تحمله من بخل.

ومثله هذا الخبر **(قرأت على الجوهري ،عن أبي عبيدالله المرزباني قال: أخبرني محمد بن يحيى ،حدثنا محمد بن موسى ،عن الجاحظ ، قال : دعا أبو العتاهية عياش بن القاسم الى بعض المتنزهات فأتخذ له ضروبا من الأطعمة وكان في أبي العتاهية شح شديد فدخلت إليهم فإذا أبو العتاهية يأكل من صفحة بين يديه فيها ثريد بخل و بزر فشممته فقلت : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم غلط الغلام بين دبة الزيت و البزر فصب بزرا فكرهت أن يرفع من بين يدي فيبطل و لا يأكله أحد وهما عندي قريب من قريب فرأيت أن أكله فلا يضيع بعدي)**[3].

فقد جاء النص بوصف مباشر لشخصية أبي العتاهية، وذلك في قوله (فيه شح شديد) لتحديد ملامح الشخصية النفسية و الاجتماعية ،إذ أن الشح كما نعلم هو أقصى درجات البخل فالشحيح هو من يبخل عما في أيدي الناس، فقد وظف الوصف هنا لتصوير جانب من جوانب الشخصية ،ومن ثم جاء الخبر الذي يحتوي على سيل من الأحداث التي تحتوي على وصف لهذه الشخصية في فعلها حينما أكلت الثريد مع الخل و البزر مخافة أن يرمى به، إن الأفعال التي

([1]) البخلاء: ٩٤.
([2]) ينظر: الوصف في النص السردي: ٧٨.
([3]) البخلاء:١٠٧.

أوردها السارد دلت على الحالة مكونة حقلا دلاليا قوامه الصفات التي تدل على أوضاع الشخصية النفسية[1]، حيث جاءت هذه الأوصاف ضمن النسيج السردي الذي لا يبطئ من فعل الشخصية ولم يولد فجوة زمنية في السرد حيث وردت لتترك المجال للمتلقي من أن يرسم في مخيلته تصويرا لشخصية ابي العتاهية من فعله.

وعلى نحوه هذا الخبر وهو قصة مثل (نار الحباحب) إذ يسردها الخطيب البغدادي قائلا: **(أخبرنا علي بن أبي علي البصري ، أنبانا اسماعيل بن سعيد المعدل ،حدثنا أبو بكر ابن الأنباري ، قال :وقولهم نار الحباحب قال الكلبي: عن أبي صالح ،عن ابن عباس، كان الحباحب رجل من أحياء العرب وكان رجلا بخيلا فكان لا يوقد ناره بليل كراهية أن يراها راء فينتفع بضوئها فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقدها ثم بصر بمستضيء بها أطفأها فضربت العرب بناره المثل وذكروها عن كل نار لا ينتفع بها)**[2].

فهذا الخبر لم يتوقف الخبر على إبراز الملامح الخارجية لشخصية الحباحب حينما وصفها السارد وصفا مباشرا بالبخيل ، بل تعدى ذلك ليورد وصفا سردياً مفصلا عن أفعال الشخصية فتكشف هذه الأفعال عن طبائع الشخصية النفسية و الخلقية وإبرازها للمتلقي ،حيث بدا السارد بوصفه بفعل (لا يوقد ناره....) ثم يعطي توضيحا أو تفسيرا لفعلته (كراهية ان يراها....) إلى أن يصل لنهاية الخبر، حيث رسمت الأفعال التي قامت بها الشخصية وصفا لها ،ولعل السارد أراد أن يكون الوصف أكثر انسجاما داخل البناء الخبري لا يطغي على السرد لكي لا يسأم المتلقي عند القراءة "فالعلاقة الأكثر سلمية بين الوصف و السرد هي تلك العلاقة اللاملموسة التي يبدو فيها الوصف وكأنه شبه منعدم إذ لا يحس بوجوده أثناء القراءة السردية"[3]، حيث تكون الأفعال الحركية المولدة للأحداث او للحوار هي أفعال وصفية في الوقت نفسه تكشف لنا عن بعض الجوانب من الشخصية التي يوردها الخبر ومن أفعال الشخصية في هذا الخبر يستنتج المتلقي أن شخصية ابن حباحب طائفة على بحر من اللئم إذ إنه لا يبخل بطعام أو شراب أو مال بل يتجاوزها ويبخل بضوء النار التي يوقدها حيث لا يريد لأحد أن يسترشد بها ولعله حينما يطفئها

([1]) ينظر: الألسنية و النقد الادبي في النظرية و الممارسة، موريس ابو ناضر، دار النهار للنشر، ١٩٧٩: ١٣٣.
([2]) البخلاء: ١٠٩.
([3]) وظيفة الوصف: ٤٣.

لا يريد أن يبصرها الغريب فيظن أنها نار أوقدها صاحبها لقرى الأغراب وبكلتا الحالتين كشف السرد الوصفي لنا جزءا من شخصية ابن حباحب.

ومن الأخبار المشابهة لما ذكرنا هذا الخبر يقول الخطيب البغدادي : **(أخبرنا الازهري ،حدثنا أبو بكر محمد بن حميد ، أنبأنا الصولي ، حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان لمحمود الوراق صديق يغشاه كثيرا فرّبى عنده دجاج سمانا ، فيعده بذبحها له و يخلفه فلما طال هذا على محمد كتب اليه {من الطويل} :**

دجاج أبي عثمان أبعد منظرا وأطول أعمارا من الشمس و القمر

فان لم نمت حتى نفوز بـــها حييت بإذن الله ما أورق الـــشجر)[1].

يحمل الوصف هنا بعدا سرديا جاء عن طريق فعل الشخصية ،فالشخصية هنا تغشى محمود **(يغشى محمود كثيرا ...)** فلا يشعر المتلقي حينما يقرا النص بأن الوصف مقحم أو دخيل على السرد بل هو جزء منه فيستطع أن يصور فيه أبعاد الشخصية الخارجية، والداخلية فحينما أخلف أبو عثمان وعده بذبح دجاجاته يتبادر إلى ذهن المتلقي، ومن أفعال الشخصية أنها تحمل سجية البخل إذ يتجنب أبو عثمان صديقه الوراق بسبب ذلك ويغشى أن يلقاه.

إن الزاوية التي يتحدث منها السارد لها دور حاسم في تطوير الحدث والكشف عن الطبائع النفسية، والاجتماعية في الشخصيات و تبث الحركة التلقائية في السرد وكل هذا يساهم في تكوين صورة الشخصية[2]،ومن ثم عزز السارد الحادثة بإضافة وصف من محمود الوراق شعريا لما حدث بغية توثيق ما ذكر ناقلا المتلقي بين الفنون الأدبية لكسر حاجز الملل الذي قد يصيبه عند القراءة إذ وصف الشاعر دجاج أبي عثمان بأنها أبعد وأطول عمرا من الشمس والقمر، ولا يستطيع أحد أن يصل اليها وإنه يحتاج للفوز بها وأكلها عمرا بقدر اخضوضار أوراق الشجر إذ يطابق الوصف الشعري من ناحية الحادثة ما أورده السارد نثرا معززا و موثقا إياه.

([1]) البخلاء:١٢٦/ والبيتان لمحمود الوراق ،ينظر :ديوانه ،تحقيق: وليد القصاب، مؤسسة الفنون، عجمان، ط١ ،١٩٩١: ١١١.

([2]) ينظر : بنية الشكل الروائي: ١٦٦.

وعلى نحوه هذا الخبر الذي أورد فيه الخطيب البغدادي قصة (مواعيد عرقوب) التي ضربت فيها المثل حيث يقول: **(قلت والعرب تضرب المثل في إخلاف المواعيد بعرقوب و كان من خبره ما أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن يعقوب الأصبهاني ، حدثني أبو طالب الدعبلي ،عن العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : عرقوب بن صخر أو أبو معبد بن أسد رجل من العماليق بالمدينة، سأله رجل من العرب عذقا فقال نعم ، فلما صار بلحا ، قال : دعها حتى تكون زهوا. فلما بلغت قال: دعها حتى تشقح . فلما شقحت. قال: دعها حتى تحلقم . فلما حلقمت. قال: دعها حتى ترطب .فلما أرطبت. قال دعها حتى تكون تمرا ،فلما صارت تمرا جذّها بالليل وهرب فصار مثلا وهو الذي ذكره كعب بن زهير في شعره فقال {من البسيط} :**

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل)[1].

قدم السارد شخصية عرقوب الخارجية حينما وصفه بـ(رجل من العماليق...) فهذا الوصف فيه إشارة إما تميزه ببنية شكلية أو تمييزا عن سائر الناس، وهو وصف خارجي للشخصية بالطريقة المباشرة حدد فيها هيئة الشخصية الخارجية وتحديد هويتها ومن ثم عمد إلى وصف أخر يتيح للشخصية أن تكشف عن تصرفاتها عن طريق إعمالها داخل السرد حيث يستخدم السارد كلا من السرد و الحوار في رسم الشخصية وذلك لأن الشخصية حينما تكشف عن نفسها من الداخل إلى الخارج عن طريق أفعالها تكون أقوى أثرا وأدق تعبيرا من وصفها وصفا خارجيا[2] ولذلك نجد السارد قد ترك مجالا لشخصية عرقوب في أن تكشف عن نفسها من خلال أفعالها و أحاديثها حيث يستنتج المتلقي من ذلك جانبا من جوانبها النفسية أو الجسدية، وإن الحوار الذي دار بين عرقوب والرجل تم الكشف فيه عن البخل المتجذر في شخصية عرقوب حيث أبتعد السارد عن تقديم الشخصية بصفاتها المباشرة، وترك لفعل عرقوب أن يصف ذلك ومن ثم عزز السارد النص السردي بنص شعري موثقا لهذه الحادثة.

ولم يقتصر الوصف في كتاب البخلاء على الشخصيات فحسب بل تعدى ذلك ليشتمل بعض الأماكن و الأطعمة و غير ذلك على شكل بسيط و وجيز، ومن الأمثلة على ذلك هذا الخبر

([1]) البخلاء: ١٢٨-١٢٩.
([2]) ينظر: فن القصة: ٩٥.

(أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري ،أخبرنا المعافي بن زكريا قال: حدثني الحسين بن القاسم الكوكبي ،حدثنا أحمد بن عبيد، قال :كان جعفر بن يحيى يعيب الأصمعي برثاثة الهيئة و ذلك بعد أن وصل إليه خمسمائة الف درهم وقد كان جعفر في يوم من الأيام ركب ليقصد الأصمعي في منزله وأمر خادما له أن يحمل الف دينار ليصله بها عند إنصرافه، فلما دخل منزله و رأى رثاثة حالة و وسخ منزله ورأى في دهليزه حبا مكسورا أمر الخادم برد الف دينار ،فقيل لجعفر في ذلك فقال: أن لسان النعمة أنطلق من لسانه و إن ظهور الصنيعة أمدح وأهجى من مديحه و هجائه فعلام نعطيه من الأموال إذا لم تظهر الصنيعة عنده وتنطق النعمة بالشكر عنه و يتزيا بزي أهل المروءات ويتغذى غذاء أهل الجدات)[1].

حيث جسد السارد في هذا الخبر بيت الاصمعي وهو المكان و صوره للمتلقي في إبراز ما فيه، ومن ذلك قوله (رأى رثاثة حاله ووسخ منزله...) حيث أدى هذا الوصف دورا في إبراز شخصية الأصمعي البخيلة إذ ينعكس بخله على منزله وإن رثاثة الحال الهيئة التي وصفه بها السارد في بداية الخبر غير مقتصر على شكله وحسب بل يمتد إلى منزله أيضا "فالمكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، ومن جانب آخر أن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"[2]، فالمكان هنا صور جانب البخل لدى الأصمعي.

ومن الأخبار التي ورد فيها وصف متعدد هذا الخبر**(وبلغني أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يألفه عنه فقال له قائل: صف لي مائدته . فقال: هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش وبين نديمه و الرغيف نقد جوزة. قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون. قال : أ فما يأكل معه أحد؟ قال :بلى الذباب. فقال: سوأة له وأنت خاص به وثوبك مخرق .قال: أني والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوء إبرا وجاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي صل الله عليه وسلم يضمنون عنه إبرة ويسألونه إعارته إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل)**[3].

([1]) البخلاء:٧٨-٧٩.
([2]) بناء الرواية: ١١٨-١١٩.
([3]) البخلاء: ٧٧.

فجاء هذا الخبر و أورد السارد فيه أوصاف متعددة على لسان أحد خواص يحيى بن خالد بن برمك، فوصف مائدته بأنها فتر في فتر من صغر حجمها حيث هذه وحدة القياس قد رسمت وصفا دقيقا لما يحمله هذه الشخصية من بخل وإن صحافها منقورة من حب الخشخاش وإن الرغيف فيها بعيد عن نديمه فلا يناله ومن ثم أعطى وصفا تخيليا للمكان اذ قال: (لو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة...) فالسارد اراد أن يصور في ذهن المتلقي شخصية محمد البخيلة فعمد الى وصف مختلق لتصويرها ،فالمساحات في هذا الوصف غير معقولة على أن تكون حقيقة و لكنه أراد بهذا إظهار المبالغة في الوصف .

ومن الأخبار التي تحمل وصفا متعددا هذا الخبر **(أخبرنا الشيخ أبو عمر عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي قراءة عليه و أنا أسمع، قال:أنبأنا عبد الملك بن خيرون، قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أنبأنا احمد بن علي بن ثابت الخطيب إجازة: أنبأنا علي بن أبي علي البصري أنبأنا ابي قال: حدثني أبو الحسين عياش، قال حدثني جحظة وقال: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقلت: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله مثلا، ومن شرب معه على الخسف حظي به، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غدءاً على الصبوح الجاشري قال علي ابن ابي علي :يعني الشرب قبل طلوع الفجر فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي أن أباكره، وقمت فجئت إلى بيتي، ودعوت طباخي فتقدمت اليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف من الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجئته، فقال. بحياتي أكلت؟ قلت. أعيذك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت ؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، قالوا. وجدناه والله يا سيدي قد لبس ثيابه، وهو ذا ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان فيّ فضل لشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا**

كانت عادته، فأقول له: هو ذا آكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ قال: وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بالأرطال، وهو يفرح، وعنده أنى أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي اكلت معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرتْ، فكتب لي رقعة ورمى بها الي، فإذا هي الى صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيت، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع علي خمسة أثواب من انواع الثياب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون بها الناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر حسب؟ فقال : ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر،فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كارة، فصرت إلى منزلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى درب عون أريد الصيرفي حتى لقيته في دكانه ، فأوصلت الرقعة اليه، فقال: يا سيدي أنت الرجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن امثالنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطى في مثل هذا ما يخسر فيه في كل دينار درهم، فقلت له: لست أضايقك في هذا ، فقال: ما قلت هذا لأربح عليك أيما أحب إليك: أن تأخذ مثلما يأخذ الناس، وهو ما عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعت الآن لي رخيصاً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير بما تساوي من غير خسران، فقلت :بل أقيم عندك، فجعل الرقعة في كمه، وأقبل على شغله،و قوضه، فلما أذنت الظهر، جاء غلامه ببغل فاره، فركبه وركبت معه، فصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسي، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرني بند عتيق حد، وأكلنا أطيب طعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، فشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، فاذا أحدهما دنانير، فوزن لي من اجودها خمسمائة، ثم فتح الاخر فاذا هو دراهم طرية، فوزن لي منها خمسمائة،

وقال: يا سيدي تلك ما أمرت بـه، وهذه يعنـي: الـدراهم هديـة منـي ،فأخذتها وانصرفت وصار الصيرفي لي صديقا، وداره لي معقلا)[1].

هذا الخبر على طوله أوردناه لأنه يحمل أوصافا متعددة فمن هذه الأوصاف :

١. وصف الشخصيات إذ يقدم السارد وصفا للشخصيات سواء كان وصفا مباشرا مثل (كان الحسن بخيلا بالطعام سمحا بالمال...) أو غير مباشرة من خلال أفعالها.

٢. وصف للطعام ومن ذلك قوله (أكلنا اطيب الطعام وانظفه..).

٣. وصف للمكان ومن ذلك قوله (ركبت معه إلى دار سرية حسنة بفاخر الفرش و الآلات وليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل..) و أيضا (وقمنا إلى مجلس سري فيه فواكه و آلات ..) إذ إن هذه الأوصاف كلها لدار الصيرفي .

٤. وصف للأشياء الأخرى ومن ذلك قوله (خمسة أثواب من أنواع الثياب) وقوله (حضرت عتيدة حسنة سرية) وقوله (جاء غلامه ببغل فاره) وقوله (فوزن لي من أجودها خمس مئة ثم فتح الأخر فإذا هي دراهم طرية ..) وأيضا (خرج إلي بثياب أولاد الخلفاء) فهذه كلها أوصاف قد جاءت في هذا الخبر وهي أوصاف مباشرة من سارد النص أما الأوصاف الغير مباشرة والتي هي أفعال قد تتضمن معنى الوصف فهي كثيرة نستعرض بعضا منها (كان يأخذ ندماءه بغتة...) وهذا فعل يتضمن معنى الوصف فإن الحسن بن مخلد من شدة بخله على الطعام كان يغدر بندماءه فيقتلهم حينما يتمكن الشراب منهم وذلك لأنهم أكلوا من مائدته فهو ففعل الحسن دال على البخل والغدر في آن واحد ،ومن ذلك قوله (كتب لي رقعة...) فهذا الفعل يدل على سماحة الحسن بالمال فهو كما وصفه سمح بالمال بخيل بالطعام، وغير ذلك من الأفعال والحوارات التي تضمنت معنى الوصف حيث انحنى السارد بنفسه جانبا وأتاح للشخصيات أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحديثها و تصرفاتها الخاصة[2] فلجأ الى السرد الوصفي تاركا مساحة للشخصية لتعبر عن نفسها بحرية، إن هذه الأوصاف التي جاءت في الخبر كانت لها عدة وظائف منها الوظيفة التزينية إذا إنها أشبه بزخارف يستمتع المتلقي بالنظر إليها

([1]) البخلاء: ١٥٥-١٥٨.
([2]) ينظر: فن القصة: ٩٤.

وقراءتها وتخلق عنده شعورا بالمشاركة وتصوير المشاهد التي أوردها الخبر ، الوظيفة الأخرى هي الكشف عن جوانب الشخصية فحينما أورد السارد وصفا لدار الصيرفي كشف لنا ذلك الوصف أن الصيرفي ليس بمغلول اليد وإنه سمح فزينة الدار و هيئتها عكست لنا جانب من جوانب الرجل الصيرفي وأيضا قدم لنا الوصف وظيفة تفسيرية إذ فسر لنا الوصف السردي سبب خروج جحظة من دار الحسن حيا وذلك لأنه وظف الحيلة حينما رجع إلى داره وأكل وإنه فاز بالجوائز أيضا بالحيلة حينما جعل الحسن يثقل في شرابه مستغلا ذلك بطلب المال والثياب و العود .

ومن الأخبار التي فيها وصفا للأطعمة هذا الخبر يقول الخطيب البغدادي: **(قرأت على الجوهري عن أبي عبدالله المرزباني ، قال: أخبرني يوسف بن يحيى بن علي المنجم ،عن أبيه قال : حدثني ابن مهروية ، قال: حدثني محمد النوفلي قال: قال سمعت أبي يقول : كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا وأذنيه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق)**[1].

يتجلى الوصف هنا بشكل مباشر حينما قال (لا يأكل اللحم بخلا) ومن ثم جاء النص بوصف سردي يوضح فيه جانب من جوانب شخصية مروان بن أبي حفصة حيث إن وصف مروان من خلال كلام مروان عن تفسير أكله للرؤوس فقط هو وصف تفسيري توضيحي على استغراب القوم من فعله حيث أنه لا يريد إن يُخدع من قبل غلامه فيأكل من اللحم و لا يشعر هو لكن حينما يطبخ الغلام الرأس لا يستطيع أن يجسه أو يشعث فيه حيث يظهر على الرأس ذلك وأيضا يرى في أكل الرؤوس ألوانا من الطعم لا توجد في أصناف اللحوم بل مقتصرة على الرؤوس فقط إن هذا الوصف الذي جاء ضمن البناء الخبر وضح للقوم ما استغربوا منه وكشف للمتلقي عن مدى لؤم مروان حيث إنه لا يريد لأحد أن يشاركه في طعامه وهذه الصفة من صفات البخل.

([1]) البخلاء: ٨٠-٨١.

ونلخص من هذا أن للوصف حضورا في كتاب البخلاء سواء كان بالطريقة المباشرة أم غير المباشرة وظفها السارد لتصوير الشخصيات، والأماكن، والأطعمة، بشكل وجيز ومكثف و قصير فهو متناسب مع طبيعة الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي و لا نستطيع أن نحكم على الوصف هنا جاء لغرض تعطيل السرد لقصر فقراته لكن كانت الغاية منه جمالية تصويرية تكشف عن جوانب نفسية، وخلقية عند البخلاء.

المبحث الرابع

المفارقة

لم تكن المفارقة مصطلحا موجودا عند العرب في السابق إذ إننا لو تتبعنا الكتب البلاغية القديمة نجدها تخلو من هذا المصطلح ولكن توجد مصطلحات أخرى يقرب مفهومها من مفهوم المفارقة وهي مصطلحات متداخلة بين البلاغة و النقد، و مازال تعريف المفارقة متذبذبا غير مستقر تعددت فيه وجهات النظر بتعدد الزوايا التي ينظر النقاد منها إليه، و أيضا نجد أن للمفارقة أشكالا و أنواعا متعددة، ولكل نوع له تعريفه وسماته، أما المفارقة بصورة عامة فتعرف في اللغة: من مادة "فرق وفارق الشي مفارقة وفراقا، والمفارقة المباينة"[١].

وعرفت في الاصطلاح : بأنها "تعبير بلاغي يجيء فيه المعنى الحرفي للكلمة او العبارة عكس المقصود"[٢]، وهذا التعريف غير وافٍ لاستيعاب كل أنواع المفارقة إذ خُصّ به المفارقة اللفظية فقط إذ لم يُشر به إلى مفارقة الموقف كما يدل هذا التعريف على وجود "تصارع بين معنيين المعنى الأول هو الظاهر الذي يقدم نفسه بوصفه حقيقة واضحة ولكن عندما يكتشف سياق هذا المعنى سواء عمقه أو زمنه يفاجئنا بالكشف عن معنى أخر متصارع معه هو في الحقيقة في مواجهة المعنى الأول الذي أصبح و كأنه خطأ أو معناه محدود على أقل التقدير"[٣]، وهذا الكلام نجد له جذورا في الكتب البلاغية القديمة تحت مسميات ومصطلحات أخرى معادلة لمصطلح المفارقة ومنها المدح بما يشبه الذم تأكيد الذم بما يشبه المدح[٤]، والتعريض الذي يقصد بها تورية الشيء بالشيء أو تكنيته وعدم التصريح به[٥]، والتورية هي أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان الأول قريب ظاهر غير مراد والأخر بعيد خفي هو المراد[٦]، و لعل التهكم هو أقرب المصطلحات القديمة لمصطلح المفارقة الحديث ويعرف على إنه طريقة من طرق البلاغة التي

---

(١) لسان العرب، (مادة فرق).
(٢) معجم المصطلحات النقدية: ١١٢.
(٣) المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، عبد التواب محمود عبد اللطيف، شمس للنشر و الاعلام، القاهرة ،ط١ ،٢٠١٤: ٤٧.
(٤) ينظر :كتاب البديع ، أبو العباس عبدالله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،لبنان، ط١، ٢٠١٢: ٧٧- ٧٨.
(٥) ينظر: الصناعتين (الكتابة و الشعر)،أبو هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١: ٣٨١
(٦) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ،دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٣: ٣٨/٥.

يراد بها شيئا و تظهر غيره أي بمعنى ما كان ظاهره جدا و باطنه هزلا فتجيء بالحق في قالب الباطل و الغرض من هذا التعبير المخالف للحقيقة تقويم السلوك بطريقة الفكاهة[1]، وقد أشار د.خالد سليمان وهو من الباحثين الذين درسوا هذا الموضوع موضحا في ذلك الكتب التي تتبعها إذ يقول : "فقد تتبعنا في عدد من المصادر المهمة مثل (المثل السائر) لابن الأثير، (العمدة) لابن رشيق، (منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني، (البيان والتبيين) للجاحظ، فلم نجدها واردة فيها ولكن دلالتها أوحت بمسميات توحي بالمعنى نفسه للمفارقة حيث وردت هذه المسميات في الاستعمال الادبي و البلاغي"[2].

أي أنهم عرفوا الفنون التي فيها بعضا من المراوغة والمخادعة و الحيلة و تورية المعنى المراد بمعنى أخر و استطاعوا تحليل هكذا نصوص وتقريبها لذهن المتلقي وإبراز جمالياتها واطلقوا عليها تسميات متعددة.

أما حديثا فقد عرف النقاد العرب هذا المصطلح عن طريق الغرب على الرغم من أن تعريف المصطلح احتاج لوقت طويل ليستقر ، ولكن استطاع النقاد صياغة تعريفات متعددة له وإعطاء الأمثلة عليه لما تركه لهم السابقون من نصوص ومصطلحات بلاغية ونقدية قريبة من مفهوم المصطلح الغربي أعانتهم في فهم الموضوع ، ومن هذه التعريفات "تسجيل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجب القارئ دون تغيير أو تعليل وكلا النوعين يرتد إلى أصل واحد و يرتبط بقضية واحدة" [3]، وعرفها أخرون "هي تناقض ظاهري لا يلبث أن تتبين حقيقته وهي إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام"[4] ، أما مفارقة الموقف فعرفت على إنها هي التعبير عن موقف ما على ما غير يستلزمه ذلك الموقف أو حدوث ما لا يتوقع [5]، حيث تكون النتيجة مختلفة تماما عما يتوقعها المتلقي أو ما يتوقعها من يسقط ضحية لتلك المفارقة حيث "تألف سماع نبأ سطو على مصرف وإن الساطي قد أنفق

([1]) ينظر: معجم المصطلحات الفلسفية: ٣٥٦.
([2]) المفارقة في الأدب دراسات بين النظرية و التطبيق ، خالد سليمان ، دار الشروق، عمان ، ط١ ، ١٩٩٩: ٢٢.
([3]) ابن سناء الملك ومشكلة العقم و الابتكار في الشعر، عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،العراق ،ط ٢، ١٩٨٦: ١٠٩.
([4]) معجم المصطلحات ، سعيد علوش: ١٦٢.
([5]) ينظر: المتقن معجم المصطلحات اللغوية و الأدبية الحديثة ، سمير حجازي ، دار الراتب الجامعية ، بيروت، ٢٠٠٥: ١٥٥.

المال في لذائذه ومباذله ولكننا لا نتوقع أن يتبرع الساطي بالمال إلى جماعة من جماعات البر[١]، وهذه هي المفارقة إن البحث في بحر تعريفات مصطلح المفارقة يؤدي بنا إلى اتجاهات بلاغية ونقدية وفلسفية وتعريفات تزيد من تعقيد فهم هذا المصطلح.

ولقد وردت المفارقة في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي وبمتابعة هذه التقنية نجد أن الثيمة الأساسية للكتاب (البخل) قد أبرزت لنا مفارقات عن طريق سلوكيات الشخصيات أو سير الأحداث ومن ذلك هذا الخبر: **(اخبرنا علي بن محمد بن عبدالله المعدل ، أنبأنا الحسين بن صفوان ،حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا عبدالله ابن خبيق قال: لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي إبليس فى صورته فقال :يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وابغضهم إليك ،قال: أحب الناس الي المؤمن البخيل وابغضهم الي الفاسق السخي، قال: يحيى وكيف ذلك ؟ قال: لان البخيل كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ،ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم أخبرك)**[٢].

فالمفارقة هنا في قول إبليس (احب الناس الي...) وهذا الحب غير معهود منه، فإبليس كما نعلم يكره الأنسان كما إنه يشعر بالتكبر عليه وهذا منصوص عليه في القرآن الكريم ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [٣] وهذا التكبر و التعالي جعله يحمل الضغينة لجنس البشر فتوعد لهم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٤] ، أما كلامه عن حبه لبعض الناس وإن كانوا بخلاء قد كسر أفق التوقع حيث إن المتلقي على علم مسبق بكره إبليس لجنس البشر وذلك من خلال ما وصل إليه من موروث ديني وعقدي فقد أبرزت هذه النصوص الدينية مدى كره إبليس لجنس البشر، ولكن هذا الخبر قد أبرز لنا جانبا آخر من جوانب شخصية إبليس وهو جانب حبه لبعض بني البشر وهو (المؤمن البخيل) وهذا الأمر غير معهود عن إبليس ،" إن التناقض يعد من أهم آليات المنتجة للمعنى المفارقي، إذ إننا على علم بالمفارقة أنها شكل من أشكال النقيضة ، والنقيضة شرط لابد منه والتناقض هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب

---

(١) ينظر: في النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن ،مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٧٩: ٦١- ٦٢.
(٢) البخلاء: ٦٧.
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٢.
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٦.

يقتض لذاته صدق أحدهما وكذب الأخرى"[1] ، ونجد أن هذا التناقض موجود في كلام إبليس فمن خلال آيات القرآن الكريم يشعر المتلقي بمدى كره إبليس للإنسان دون استثناء لأحد، ومن خلال كلامه مع النبي يحيى(ع) يكتشف نقيضا لما قاله الله تعالى قبل طرده من الجنة ،فمن خلال هذا التناقض تولدت لنا مفارقة لفظية قائمة على أساس الاختلاف بين قوله الأول و الثاني، إذ قوله الأول في كتاب الله سبحانه و تعالى قول صادق يزيح وقطعي يزيح قوله لنبي الله يحيى و يفنده.

و من الامثلة على المفارقة هذا الخبر **(أخبرنا أبو الفتح أبن أبي الفوارس ،حدثنا علي بن عبدالله بن المغيرة ،حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال :قال عبدالله بن المعتز : أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه)**[2] .

حيث وظف ابن المعتز الطباق أو التضاد بين معنيين لتوليد مفارقة لفظية بين لفظتي (أبخل) و (أجود) وهو طباق إيجابي، حيث إن العرض هو أولى بأن يبخل المرء به، و لعل الغاية من هذه المفارقة هو التهكم و النيل من البخيل، إن نيل ابن المعتز من البخلاء جاء نتيجة للظروف والبيئة التي عاشها في عصره (العصر العباسي) حيث انتشرت هذه الآفة(البخل) و أصبحت و كأنها سلوك اعتيادي غير منبوذ بسبب انفتاح العرب على الأمم الأخرى فحطَّ ابن المعتز من هذه قيمة هذه الظاهرة وشخصياتها بقوله المجازي والغاية منه هو وضع حد لهذه الظاهرة أو السلوك وتقبيحها في أذهان الأخرين وقد قدمت بنية التضاد المعجمي المفارقة في أبسط صورها[3]، فولدت مفارقة لفظية رسم ابن المعتز من خلال هذا الطباق صورة مخزية للبخيل جاعلا من حرصه على المال وجمعه منطلقا ليسير في أي طريق يؤمن له المال وإن كان هذا الطريق فيه صون للمال وهتك للعرض.

ومن الأخبار الأخرى التي تحمل نوعا من المفارقة هذا الخبر : **(أخبرني الأزهري، وعبيد الله بن علي الراقي: قالا حدثنا عبيد الله بن محمد المقرئ، حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا**

([1]) المفارقة في الشعر الجزائري المعاصر(دراسة في نماذج)، أحلام جدي، حليمة روابحي ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي التبسي-تبسة- ، كلية الآداب واللغات ،٢٠١٧: ٢٣.

([2]) البخلاء: ٦٦.

([3]) بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ،سعيد شوقي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ،٢٠٠١: ٦١.

يموت هو ابن المزرع ، قال: قال الجاحظ :قال رجل من البخلاء لغلامه هات الطعام و أغلق الباب. فقال: هذا خطأ بل أغلق الباب وهاتِ بالطعام ، قال : أنت حر لعلمك بالجزم)[1].

إذ يحمل الخبر هنا مفارقتين الأولى مفارقة لفظ من خلال قلب الغلام لكلام سيده (اغلق الباب و آت بالطعام) ،حيث قدم الغلام و أخر فيه مما نال استحسان سيده، إذ رأى أن الغلام قد عمل بما يمليه عليه عقله في التصرف بالأمور بما يليق مع طباع سيده، فطلب من سيده أن يغلق الباب قبل جلب الطعام حتى لا يأتي أحد وهو يأكل فيضطر إلى أن يقدم الطعام له فعمد الغلام إلى القلب لخلق مفارقة، فالتضاد الذي استخدمه الغلام ساهم في تحقيق المفارقة وعمق الإحساس بها، فهذا التباين غير المقصود والذي وقع عفو الخاطر لم يكن غايته نيل استحسان السيد في الخبر، ولكننا نستطيع أن نقول لو لا وجوده لما تطورت أحداث الخبر فولدت نهاية أخرى غير متوقعة وفيها مفارقة في الموقف، إذ كيف لسيد بخيل أن يعتق غلاما لمجرد استحسانه لقوله ؟ فالخبر يحمل مفارقة في الأحداث إذ انقلب الحدث مع مرور الزمن تحول فيها الغلام من عبد إلى حر طليق بسبب قول غير مقصود منه.

أما من ناحية مفارقة المواقف فيظهر هذا النوع من المفارقة في هذا الخبر **(قال عمر، و حدثنا ناجية بن عبد الملك البصري قال: كان عندنا بالبصرة رجل ميسر وكان بخيلا على نفسه وعلى عياله، فدعاه بعض جيرانه فُوضع بين يديه طباهجة ببيض، فأكل فأكثر ، وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب و الموت وجعل يتلوى فلما أجهده الأمر وخاف الموت على نفسه، بعث إلى جار له متطبب، فدخل عليه ،فقال : ما حالك؟ قال: أكلت طباهجة ببيض، وشربت ماء كثيرا، وقد نزل بي الموت. فقال: لا بأس ،قم فتقيأ ما أكلت و قد برئت .فقال: ها! أتقيأ طباهجة ببيض؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة ببيض أبدا)**[2].

إن المفارقة هنا هي كسر حاجز التوقع عن القارئ أو المتلقي، إذ ظن المتلقي في بادئ الأمر أن الرجل سوف ينفذ ما طلبه الطبيب، فهو من بعث للطبيب كي يستطيب خوفا على نفسه من الموت بعدما أجهده الأمر، ولكنه في الوقت نفسه رفض طلب الطبيب بأن يتقيأ ما أكل وفضل أن يموت على فعل ذلك لشدة بخله، إن المفارقة في موقف الرجل هنا ولد كوميديا حيث كانت

([1]) البخلاء: ٨٤.
([2]) نفسه: ٧١.

المفارقة قريبة من النكتة وتقع بين الاصناف الكوميدية فهي تحدث لذة لدى السامع لما تحمله من تناقضات فيها بعض الطرافة[1]، إذ حمل هذا الخبر طرافة غايتها إمتاع القارئ لما آلت إليه الاحداث وكسرت حاجز التوقع لديه مولدة الدهشة والصدمة من خلال علاقة التعارض أو التناقض التي تحملها الشخصية في الخبر إذ كيف بالشخصية أن تطلب طبيبا لخوفها من الموت وفي الوقت ذاته ترفض طلب الطبيب الذي سيساعدها على الشفاء وفضلت الموت على ذلك إن التناقض هنا في هذا الخبر هو روح المفارقة وأيضا المفارقة ولدت بعضا من الطرافة التي أسهمت في خلق اللذة الأدبية لدى المتلقي .

ومن الأخبار التي تتضمن المفارقة هذا الخبر **(أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق ، أنبأنا أحمد بن محمد بن عمران، حدثنا عبد العزيز بن يحيى، عن الغلابي ،عن ابن عائشة، قال: صحب الغاضري رجلا من قريش من المدينة إلى مكة ،فلما نزلوا المنزل ، دعا القرشي بالطعام فأتوه في طعامه بدجاجة باردة مشوية ، فقال :يا غلام أسخنها. فلم يردها الخباز حتى رفع الخوان، فلما نزلوا المنزل الثاني دعا القرشي بالطعام، فأتوه بدجاجة ،فأمر أن تسخن ،فرفع الطعام قبل أن يأتوا بها ، ففعل ذلك ثلاث مرات ،فلما طال ذلك على الغاضري ، قال : ويحكم ! أخبروني عن دجاجتكم هذه أ من آل فرعون هي؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال : لأنها تعرض على النار غدواً و عشيا، قال له القرشي: أكتم عليَّ ولك مائة دينار ، قال ما كنت لأبيع هذا بشيء)**[2].

ويحمل الخبر هنا مفارقة في الحدث فقد تفاجأت شخصية الغاضري بأنها كانت ضحية لبخل القرشي حيث ظن في بادئ الأمر انه سوف يصدق في قوله حينما طلب من خدمه أن يحمي الدجاجة ولكنه تفاجأ بعدها حينما أخذت الدجاجة و لم ترد حتى تكررت هذه الفعلة أكثر من مرة فتنبه في ما بعد الغاضري لأمر الدجاجة و أخذ يسخر منهم قائلا : (أ من آل فرعون ...)وهذا تناص مع قول الله تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [3]، إذ شكل

([1])ينظر :موسوعة المصطلح النقدي ،المفارقة وصفاتها ، د.سي. ميويك . ترجمة د.عبدالواحد لؤلؤة ،دار المأمون، بغداد ، العراق ،ط٢ ،١٩٨٧: ٥٨.

([2]) البخلاء: ١١٠.

([3]) سورة غافر، الآية ٤٥-٤٦.

القرآن الكريم مرجعية تناصية أحالتنا إلى مفارقة موقفية فقد استحضر السارد نصا من القرآن الكريم لما تتميز به اللغة القرآنية من إشعاع وتجدد وما تنفرد به من تأثير في المتلقي بشكل مباشر ومستمر فهي ذات قابلية تجددية [1]، فولدت هذه المفارقة سخرية نتيجة اكتشاف الغاضري لأمر الدجاجة وبخل القرشي فهو لم يرغب بإطعامه من الدجاجة وعمد إلى حيلة أن يأتوا بها باردة ليردها هو ويطلب منهم تسخينها فتأخذ فيرفع الطعام أو الخوان قبل أن يردوا الدجاجة و قد ولدت الأحداث هذه مفارقة أخرى وهي مفارقة في موقف القرشي، إذ طلب القرشي من الغاضري أن يدفع له المال ليتكتم على ما جرى له، وهو طلب غريب وغير متوقع من شخصية فيها كل هذا البخل، فكان الاجدر به أن يقدم الدجاجة لضيفه ليتجنب ذلك و لكن منعه بخله من تقديمها وكاد أن يجلب عليه في الوقت نفسه خسارة المال الذي سيدفعه للغاضري لشراء سكوته كي لا يصبح محط سخرية للأخرين، ونجد إن الغاضري رفض عرضه وبيع سكوته بأي ثمن كان إذ لم يكن القرشي يعلم إنه سوف يصبح ضحية لخداعة وحيلته وهذا الجهل" كائن في المفارقة الدرامية التي تظل فيها الشخصية جاهلة على مدى النص كله وخاصة عندما تكون الأمور متناقضة مع وضعها الحقيقي"[2] وهذا ما حدث مع القرشي.

وقد وردت المفارقة في هذا الخبر ايضا يقول الخطيب البغدادي: **(أخبرنا أبو الحسن ابن الجواليقي في كتابه ، قال : أنبأنا أحمد بن علي بن عبدالله الخزاز، حدثنا عبد الله بن بحر الجنديسباوري ، حدثنا عمر بن محمد بن عبد الحكم ،حدثنا عمر بن محمد بن حفص بن الربيع، عن محمد بن بشير ،قال :كان والٍ بفارس قد أحتجب بجهده إذ نجم شاعر بين يديه فأنشده شعراً مدحه فيه فلما فرغ قال :قد أحسنت ،ثم أقبل على كاتبه ، فقال: أعطه عشرة آلاف درهم. قال : ففرح الشاعر فرحا كاد أن يستطير به ، فلما رأى حاله ،قال : وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع يا فلان أجعلها عشرين ألف درهم. قال :فكاد الشاعر إن يخرج من جلده ، قال : فما رأى فرحه قد أضعف، قال : وإن فرحك يتضاعف على تضاعف القول ،يا فلان أعطه أربعين ألف درهم .قال : فكاد الفرح يقتله، قال : فلما رجعت نفسه إليه ، قال له: جعلت فداك ،كلما رأيتني قد أزددت فرحا تزيدني في الجائزة؟ قال : ثم دعا وخرج. قال**

([1]) ينظر: التناص بين النظرية و التطبيق(شعر البياتي أنموذجا)، الهيئة العامة السورية للكتاب ،٢٠٠٧: ١٠٠.
([2]) المفارقة في شعر يحيى السماوي، نسرين إبراهيم فرهود، رسالة ماجستير، جامعة كركوك، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠: ٢١.

: فأقبل عليه كاتبه، فقال: سبحان الله هذا يرضى منك بأربعين درهما ،تأمر له بأربعين ألف درهم؟ قال : وتريد أن تعطيه شيئا؟ إنما هذا الرجل قد سرنا بكلام وسررناه بمثله، فهو حين يزعم إني أحسن من القمر، وأشجع من الأسد، وإن لساني أقطع من السيف ،جعل هذا في يدي من هذا شيئا أرجع به؟ أليس يعلم أنه قد كذب ، ولكن قد سرنا حين كذب علينا، فنحن أيضا نسره بالقول، وإن كان كذبا، فيكون كذبا بكذب)[1].

قد جاءت في خاتمة هذا الخبر مفارقة درامية حيث إن الشخصيات المشتركة في الحوار فوجئت بما قاله الوالي ، واستغربت من فعل الوالي حينما أمر له بصرف اربعين ألف درهم إذ رأوا إنه لا يستحق مثل هذا المبلغ وكان الأجدر به أن يدفع له أربعين درهماً ولكن سرعان ما ينكشف فيما بعد إن الوالي لم يكن جادا بكلامه حينما سأله الكاتب عن سبب عطائه لمثل هكذا مبلغ وإخبار الوالي إنه لم يكن جادا في كلامه، فالوالي أراد أن يدخل السرور على قلب الشاعر مثلما فعل الشاعر حينما ألقى قصيدته المملوءة بالتشبيهات و الاستعارات والمجاز ولا يوجد فيه شيء حقيقي سوى إنه كلام قد سر الوالي، فأسره الوالي بعطاء كاذب فنجد الشاعر قد وقع ضحية للمفارقة في موقف الوالي حيث ظل فيها (الشاعر) جاهلا على مدى النص كله بأنها قد خدع، والمفارقة هنا تولدت من سلوك إنسان جاهل تماما بملابسات الموقف وحقيقته، إذ خلقت المفارقة نتيجة الصراع الوهم وحقيقة الأمر فالشاعر قد توهم بأن الوالي سوف يعطيه ما وعده به وكذلك المتلقي قد توهم ذلك ولكن حينما انتهى الخبر كُسر أفق التوقع لدى المتلقي فعلم إن الوالي قد خدع الشاعر ولكن بقي الشاعر غافلا في النص عما جرى بعدما خرج هو من مجلس الوالي. إن المفارقة في هذا الخبر قد بنيت على أساس التناقض فنجد إن الوالي قد ناقض قوله حينما أمر بصرف الجائزة ومن ثم ألغى ذلك وقد علم المتلقي بمصير الشاعر الذي سيخرج خالي الوفاض و جهلت الشخصية (الشاعر) مصيرها فهذا النوع من المفارقات "يستشعرها المتلقي ويتفاعل مع النص الذي يتضمنه أما قيمتها الفنية أو قوتها فتتناسب طرديا مع براعة المنشئ في كيفية تقديم المواقف و الأحداث"[2]، فمنشئ الخبر أو ناقله لو تصرف في جزء من أجزاء الخبر

([1]) البخلاء:١٣٥-١٣٦.

([2]) المفارقة في مقامات العصر العباسي، تغريد ضياء مشفي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب، ٢٠٠٣: ٧٧.

فقدم أو أخر فيه لفقدنا عنصر المفارقة و أصبح الخبر اعتياديا وكانت الأحداث فيه متوقعة من قبل المتلقي.

وجاءت المفارقة في هذا الخبر أيضا (**أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي ، قال : أخبرني أبي إن أبا عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد حدثه ، أن العسكري حدثه قائلا: كنت أكتب لأبي أَحْمَد بْن ماذويه الأهوازي، وهو يومئذ عامل خوي أرذك والأنهار، وكان من أبخل من رأيت على شيء من المأكولات، وكان يحتبسني للأكل، فأجلس معه على الطعام، ولا آكل كثير شيء، فاحتبسني يوما وعنده جماعة، فأكلوا وأكل، وجريت على عادتي في التنقير، وكان الطعام أرزة جدي مشوي ولونين، من أطرافه وسقطه، فلما فرغنا من ذلك أقبل غلامه وعلى يده طيفورية فيها الجدي، فأقبل هو علينا، فقال: أما أنا فقد شبعت، ولم يبق في فضل، فما تقولون أنتم؟ فقلت: أما أنا فقد شبعت .فقالت الجماعة كقولي.قَالَ :فنجعل الجدي لغد ونأكله مبردا. فقلت: هذا هو الصواب. فقال: ما أظنكم إلا وفيكم فضلة للأكل، وإنما قلتم قد شبعتم مساعدة لي. فقلت لا واللَّه يا سيدي، ما في فضل. فقال للذي يليني: ما تقول؟ فقال: ما في فضل .فقال لو كنت شبعان لحلفت كما حلف أبو عبد اللَّه. فحلف الرجل أنه شبعان، فقال للآخر الذي إلى جانبه، فحلف، فلم يزل يستقري واحدا واحدا، ويحلف أنه شبعان ومن لم يحلف، قَالَ له: لو كنت شبعان لحلفت .فيحلف الرجل، فلما استوثق من جماعتنا بالأيمان، وثلج صدره أنه لا حيلة لأحد منا في الأكل، قَالَ: أما أنا فقد تتبعت نفسي أكل شحم كلاه حارا. فقلنا له: كل هنأك اللَّه. فقال: يا غلام، ضع الطيفورية .فتركت بين يديه، فأكل أكثر الجدي وحده، وأمر برفع باقيه وحفظه)**[1].

لو تتبعنا الخبر نجد فيه بعض التناقضات التي ولدت مفارقة في أحداث الخبر فواحدة من هذه التناقضات هي قول الوالي لمن معه إنه شبع من الطعام و ما فيه فضلة أن يأكل بعد ،ومن ثم نجد في نهاية الخبر إنه قد رجع ليأكل ومن التناقضات الأخرى هو قوله(تتبعت نفسي أن أكل شحمه حارا..) ونجده قد أكل أكثر الجدي فالمفارقة في هذا الخبر قد جمعت بين الفعل ونقيضه، حيث إن أفعال الوالي متناقضة تماما مع كلامه و أيضا يندرج تحت المفارقة ما قام به الوالي من تصرفات غريبة حينما جعل كل الحضور يقسمون على إنهم قد شبعوا إذ لم يدع لأحد مجالا

([1]) البخلاء: ١٤٣-١٤٤.

ليتراجع عن قوله ويأكل ثانية مع الوالي حيث كان كل الحضور في غفلة عما يفعل الوالي إذ تمثلت المفارقة في إضفاء صفة الغفلة على الأشخاص الموجودين ضمن أحداث الخبر[1]، وإن الوالي قد صور أو تظاهر حينما طلب من الجميع أن يقسموا على إنهم شبعوا إن غايته من ذلك هو عدم قيامهم عن الطعام وهم لم يشبعوا أو إنهم تركوا الطعام حينما تركه خجلا منه أو احتراما له لكونه واليا، ولكن اكتشفوا في نهاية الأحداث إنه قد عمد إلى ذلك ليجعلهم يتركون الطعام من دون الرجوع إليه و إن كانوا جائعين، إذ تظاهر الوالي بشيء وكانت حقيقة الأمر شيء آخر وهذه سمة من سمات المفارقة وهي في الوقت نفسه مفارقة في تصرفات شخصية الوالي السلوكية وقد كشفت لنا المفارقة مدى بخل الوالي وفضحت حقيقة ما رسم الوالي له من صورة أولى في أذهان الحاضرين على إنه كريم لا يدع أحدا يترك الطعام دون أن يشبع ولكن ما كان قوله إلا خدعة وقع فيها الموجودون فكشفوا لاحقا تناقضاته وزيف ادعائه.

ومن الأخبار التي وردت في كتاب البخلاء وفيها مفارقة هذا الخبر **(وأخبرنا التنوخي، حَدَّثَنَا أبي، قَالَ: أخبرني غير واحد: " أن أسد بْن جهور العامل كان بخيلا سواديا، وكان مكاشفا بالبخل على الطعام جدا، فكان ندماؤه يلقون لذلك جهدا، وكان يحضرهم ويطالبهم بالجلوس، ويحضر كل لذيذ شهي من الطعام، فإن ذاقه منهم ذائق استحل دمه وعجل عقوبته، وكانت علامته معهم إذا شيلت المائدة أنّ يمسحوا أيديهم بلحاهم، ليعلم أنهم ما شعثوا شيئا يزهمها، وكان له ابن أخت يتجرأ عليه ولا يفكر فيه، ويهتك ستره إذا واكله. فقدمت يوما إليه دجاجة هندية فائقة سرية، فحين أهوى ابن أخته إليها بيده قبض أسد عليها، وقال: يا غث يا بارد، يا سيئ العشرة، يا قبيح الأدب، أفي الدنيا أحد استحسن إفساد هذه؟ فقال له ابن أخته: يا بخيل، يا لئيم، يا سيئ الاختيار، فلأي تصلح؟ عقدة على وجه الدهر، كنزا للأعقاب، صنما للعبادة، أوسطة للمخانق، سرية يتمتع بالنظر إليها؟ شهد اللَّه أنني ما أدعها. فتصابرا عليها، إلى أن قَالَ له الفتى: فافتدها مني. قَالَ: بماذا تحب حتى أفعل؟ قَالَ: ببغلتك الفلانية. قَالَ: قد فعلت، قَالَ: بسرجها ولجامها المحلى الفلاني. قَالَ: قد فعلت. قَالَ: ما أرفع يدي عنها أو تحضر ذلك. قَالَ: يا غلمان، أحضروه .فأحضرت البغلة والمركب، فسلمها الفتى إلى غلامه وأخرجها، ورفع يده عن الدجاجة، وانقضى الطعام، وشيلت المائدة، وقام أسد لينام فخرج ابن**

([1]) ينظر: المفارقة في روايات عز الدين جلاوجي، عبيدي شريف، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خضير ،قسم اللغة و الأدب ،٢٠١٧: ٦٦.

أخته، وقال للطباخ: علي بالفائقة الساعة وبجميع ما شلتموه من المائدة. فأحضر إليه، ورد الندماء وقعدوا، فأكلوا ذلك، وانصرفوا وقد أكل الدجاجة والطعام أجمع، وحصلت له البغلة والمركب. قَالَ: وإنما كان أسد لا يطيق أن يرى ذلك يؤكل، فأما إذا نحي من بين يديه لم يسأل عنه ولم يطالب برده)[1].

تشكلت المفارقة في هذا الخبر من تناقض أفعال الشخصيات و أقوالها إذ تحمل شخصية أسد بن جمهور العديد من التناقضات أبرزها إنه كان بخيلا مكاشفا بالبخل على عكس طباع أغلب البخلاء إذ يحاولون جاهدين إخفاء بخلهم ولكن فعالهم تفضح ذلك، والتناقض الآخر إنه كان يُحضر ندماءه على الطعام ويمنعهم أن يأكلوا أو يشعثوا فيه فهي فهذا الأمر في حد ذاته مفارقة في سلوكيات أسد بن جمهور فرسمت هذه المفارقة صورة للسلوك الحركي لمن تقع منه أو عليه عناصرها و مكوناتها فهي حركة عضوية أو حركة جسمية عامة تبرز فيها عناصر مثيرة للغرابة و السخرية[2]، حيث يفعل ابن جمهور ما يثير غرابة الآخرين فالغاية مما يفعل هو السخرية منهم أما المفارقة الأخرى الموجودة في الخبر هو ما جرى بينه وبين ابن أخته إذ منع الأخير من أن يمس الدجاجة ويفسدها حتى بلغ الأمر به بافتدائها ببلغة و سرج ولجام محلى فقط كي لا تُمس فالأمر أيضا مثير للغرابة فلأي شيء تبقى هذه الدجاجة إذا لم تؤكل! سواء أ أكلها هو أو أحد أخر و يتفاجأ المتلقي في نهاية الخبر إن ابن أخته قد عاد مع ندمائه و أكلوا وشعثوا في الأكل ولم يفِ بوعده لخاله أسد حينما افتداها منه وطلب أن لا يمسها، والأكثر غرابة هي شخصية أسد التي لا تهتم حينما يرفع الطعام من أمامه عما يحصل فيه و لا يسأل عن ذلك، فكان الأجدر به منذ البداية أن يترك الطعام أو يأمر برفعه كي يتجنب حدوث ما لا يسره أمامه، وكي ايضا يتجنب افتداء الدجاجة فنحن أمام "مجموعة من السلوكيات والتصرفات المتناقضة التي تعتمد ابراز عنصر السخرية مولدة مفارقة ساخرة "[3].

وفي هذا الخبر أيضا مفارقة **(في كتابي عن أبي تغلب عبد الوهاب بْن علي بْن الحسن الملحمي، قَالَ: حَدَّثَنَا القاضي أبو الفرج المعافى بْن زكريا الجريري، قَالَ: أنبأنا مُحَمَّد بْن الحسن بْن دريد، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الرحمن يعني: ابن عبيد اللَّه بْن قريب ابن أخي الأصمعي،**

([1]) البخلاء: ١٤٤-١٤٥.
([2]) ينظر: المفارقة القرآنية (دارسة في بنية الدلالة) ،محمد العبد، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٤: ١٩٦.
([3]) نفسه: ٢٢٣.

عن عمه، قَالَ: " أبخل أهل خراسان أهل طوس، وكانت قرية من قراها قد شهر أهلها بالبخل، وكانوا لا يقرون ضيفا، فبلغ ذلك واليا من ولاتهم، ففرض عليهم قرى الضيف، وأمرهم أن يضرب كل رجل منهم وتدا في المسجد الذي يصلي فيه، وقال: إذا نزل ضيف فعلى أي وتد علق سوطا أو ثوبا فقراه على صاحب الوتد، وكان فيهم رجل مفرط البخل، فعمد إلى عود صلب، فملسه وحدده وصيره في زاوية المسجد، ووتده منصوبا ليزل عنه ما علق عليه، فدخل المسجد ضيف، فقال في نفسه: أن يكون هذا الوتد لأبخل القوم، وإنما فعل هذا هربا من الضيافة. فعمد إلى عمامته، فعقدها على ذلك الوتد عقدا شديدا، فثبتت، وصاحب الوتد ينظر إليه قد سقط في يديه، فجاء إلى امرأته مغتما، فقالت: ما شأنك؟ فقال: البلاء الذي كنا نحيد عنه، قد جاء الضيف ففعل كذا وكذا. فقالت: ليس لنا حيلة إلا الصبر، واستعانة اللَّه عليه. وجعلت تعزيه، واجتمع بناته وجيرانه متحزنين لما حل به، وكان أمر الضيف عندهم عظيما، فعمد إلى شاة فذبحها، والى دجاجة فاشتواها، والى جفنة فملأها ثريدا ولحما، فجعلت امرأته وبناته وجاراته يتطلعن من فروج الأبواب والسطوح إلى الضيف وأكله، وجعلوا يتبادرون: قد جاء الضيف، ويلكم، قد جاء الضيف. فتناول الضيف عرقا من ذلك اللحم ورغيفا، فأكله ومسح يده وحمد اللَّه عز وجل، وقال: ارفعوا، بارك اللَّه عليكم! فقال صاحب البيت: كل يا عبد اللَّه! واستوف عشاءك، فقد تكلفنا لك. قَالَ: قد اكتفيت. فقال: هكذا أكل الضيف مثل أكل الناس لا غير؟ قَالَ: نعم. قَالَ: ما ظننت إلا أنك تأكل جميع ما عملناه وتدعو بغيره. فكان ذلك الرجل بعد ذلك لا يمر به ضيف إلا قراه)[1].

اذ تضمن الخبر مفارقة في أحداثه وهي جلب الرجل لعودٍ صلب وتلميسه كي يسقط ما عليه فيضمن هو عدم اختيار الضيف لعوده ومن ثم عدم مجيئ الضيف إلى داره ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه إذ عمد الضيف إلى عوده أو وتده دون غيره لأنه علم من طريقة وضعه للعود إنه أبخل رجل في القرية لذلك أختاره حيث وضعت شخصية البخيل فرضية محتملة و آتت النتيجة معاكسة لما توقع فالمفارقة تقوم بتقويض كل الفرضيات التي يتم توقعها[2]، وحينما علم البخيل إن الضيف قد أختار عوده دون غيره انتابه قلق و خوف و حزن في آن واحد حتى لم يعد يعلم

([1]) البخلاء: ١٨٣-١٨٤

([2]) ينظر: المفارقة في مسرح توفيق الحكيم المنوع، بشرى خليل عبدالرحمن سلامة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا ، ٢٠١٧: ٥٧.

ماذا يصنع للضيف ؟ فراح يطبخ شاة و دجاجة و ملأ جفنة ثريدا ولحما و قدمها للضيف فأكل الضيف منها نزرا يسيرا واخبرهم برفع المائدة ، وهذا التصرف قد أثار غرابة البخيل إذ لم يظن إن الضيف سيأكل القليل من الطعام فهو توقع أن يأكل الضيف كل ما عمل و ما احضر و يطلب المزيد من الطعام فكسرت المفارقة ما توقع البخيل من تصرفات للضيف ساهمت في تعديل سلوكيات هذا الرجل البخيل بعد ما علم إن إكرام الضيف ليس بالأمر الشاق فقرر بعدها ألّا يأتي ضيف ألا و يحسن ضيافته فلولا تصرف الضيف لما تغير هذا السلوك ولبقي البخيل محافظا على سجيته المذمومة إذ صنعت المفارقة منه رجلا كريما.

وهذا الخبر أيضا يحمل مفارقة ايضا يقول الخطيب البغدادي: **(خبرنا أبو نعيم أَحْمَد بْن عبد اللَّه بْن أَحْمَد بْن إسحاق الحافظ بأصبهان، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن علي بْن عمر أبو سعيد، حَدَّثَنَا أبو عمر مُحَمَّد بْن الحسين القيسي، حَدَّثَنَا مسبح بْن حاتم، حَدَّثَنَا عبد الجبار بْن عبد اللَّه، قَالَ: " مات رجل، يعني: بالبصرة، وأوصى بثلث ماله للسفل، فسأل، يعني: وصية عن السفل، فقيل له: السماكين. فمضى إلى سماكي الحبل، فقال: أنتم السفل؟ قالوا: نحن السفل، ولكن سماكي البازجة أسفل منا. فمضى إلى البازجة، فقال: أنتم السفل؟ فقالوا: نحن السفل، ولكن سماكي الأبلة أسفل منا. فمضى إلى الأبلة، فقال: أنتم السفل؟ فقالوا: نحن السفل، فماذا تريد؟ قَالَ: مات رجل وأوصى بثلث للسفل فأرشدت إليكم، فقام رجل منهم فوثب عليه، وقال: لا نزايلك إلى الحاكم حتى تحلف أنك ما انتفعت من بشيء، ولا أنفقت. فقال الرجل: أشهد أنكم سفل سفل سفل)**[1].

إن الخبر يحتوي على مفارقة حيث إن حامل الوصية أجهد نفسه في البحث عن السفل كي ينفذ ما أوصى به الرجل الميت ويوصل الأمانة لمستحقيها من السفل فراح يسأل عنهم حتى وصل إلى قوم يدعون بالسفل ولكن يوجد من هم أسفل منهم وهكذا إلى أن وصل إلى أسفل أسفل السفل فلما أخبرهم بما جرى و مالهم وما أوصى به الرجل المتوفى لهم فوجئ بوثب أحدهم عليه مطالبا إياه بالقسم على إنه لم يأخذ شيئا من المال ولم ينتفع به أي حتى و إن أخذ جزءا وتاجر به ومن ثم أعاده إلى محله مما أثار دهشة الرجل إذ لم ينتظر منهم هكذا تصرف فعلى الأقل كان الأجدر بهم أن يشكروه على ما صنعه ومجهوده في إيصال المال إليهم ولكن بخلهم و

([1]) البخلاء: ١٨٦-١٨٧.

لؤمهم في هكذا تصرف كُسر فيه توقع الرجل و توقع المتلقي لما سيفعله السفل حينما يصلهم المال فهم بدلا من أن يشكروا الرجل أمسكوا به وقال أحدهم له: (لا نزايلك إلى الحاكم ....) أي إنهم لا يفارقونه حتى يتأكدوا عند الحاكم إذ كان قد أخذ المال أو أنتفع به قبل ان يوصله إليهم فكان جزاء الإحسان منهم النكران و الإساءة .

ومن المفارقات التي أوردها الخطيب البغدادي في كتابه البخلاء هي في الأخبار التي تخص أبا الأسود الدؤلي و سجية البخل لديه وأحدها هذا الخبر (**قلت وممن شهر بالبخل من المتقدمين أبو الأسود الدؤلي ،فأخبرني أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد الدمشقي بها، أخبرني جدي، أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان السملي، حدثنا محمد بن جعفر السامري ،حدثنا يموت بن المزرع، حدثنا عيسى، حدثنا أبو زيد الأنصاري ، قال : وقف أعرابي بأبي الأسود الدؤلي وهو على دكان له على باب دراه يأكل تمراً فقال له: أصلحك الله ! شيخ هم ،غابر ماضين، و وافد محتاجين، أكله الدهر ، وأذله الفقر ،فناوله أبو الأسود تمرة، فرمى بها الأعرابي في وجهه ثم قال له: جعلها الله حظك من حظك عنده ،و ألجاك إليّ كما ألجأني إليك ،ليبلوك بي كما بلاني بك**)[1].

فالمفارقة في هذا الخبر هو تصرف أبي الأسود الدؤلي مع الرجل الأعرابي إذ لم يتوقع الأعرابي أن يكون صاحب الدكان رجلا بخيلا فهو حينما رآها ظن به خيرا فوقف عنده وسأله حاجته وشرح له عسره ظنا منه إنه سوف يعطيه ما تقضي حاجته، و إذا بصاحب الدكان رجل بخيل لم يأبه لما قاله الأعرابي وما عليه من سوء حالة فأعطاه تمرة واحدة لا تكفي حتى لسد رمق الإنسان الجائع فخاب ظن الرجل به فرمى بالتمرة في وجهه ودعا عليه فالمفارقة هنا تحمل نوعا من المتعة للمتلقي حيث تجعله في شغف ولوعة لمعرفة ردة فعل الضحية حيث تدرك إنها كانت غافلة بما سيجري[2]، فالأعرابي كان غافلا وجاهلا بسلوك أبي الأسود الدؤلي وما يحمله من بخل شديد وحينما أدرك ذلك غضب و دعا عليه.

([1]) البخلاء: ١٤٩-١٥٠.

([2]) ينظر : المفارقة الأسلوبية في مقامات الهمذاني، يبرير فريحة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، قسم اللغة العربية و آدابها ، ٢٠١٠: ٢٠.

إن الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي في كتابه البخلاء حول أبي الأسود الدؤلي توضح وتكشف لنا جانبا من شخصية هذا الرجل و هو جانب البخل الذي يحمله [1]، وأبو الأسود الدؤلي(هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حِلس الديلي ، من السادات التابعين و أعيانهم و أول من وضع النحو ، وهو بصري وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدّهم عقلا)[2]، وهذه الشخصية فيها الكثير من التناقضات والغرائب التي تساهم في توليد المفارقة، وما يخصنا من هذه الشخصية هو موضوع البخل الذي ندرسه، أما الجانب السياسي و دوره في الأحداث التاريخية و السياسية و الصراعات التي حدثت في تلك الحقبة فكثرت فيها الأخبار و الأقاويل وتحتاج هذه الأخبار إلى وقفة طويلة ، حيث ذكرت المصادر التاريخية التي ترجمت حياة أبي الأسود الدؤلي أنه كان من التابعين الفقهاء المحدثين و البخلاء و غير ذلك وفي كلها مقدم مأثور عنه، وفي هذه الأوصاف مفارقات وتناقضات ،إن هذه التناقضات التي تحملها شخصية أبي الأسود الدؤلي تثير استغراب القارئ و تولد مفارقة في سلوكيات وتصرفات الرجل، فصناع المفارقة جعلوا من التضاد والتناقضات صفة أساسية للمفارقة [3]، و كما ذكرنا إن أبا الأسود يعد من التابعين و الفقهاء ونجده أيضا بدل أن يوصي ابنه بالكرم ويحث على عدم تمكين المساكين من المال فهو يقول : (لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنّا أسوأ حالا منهم)[4]، والغريب إن كل هذه التناقضات جمعتها شخصية واحدة ، إن الخطيب البغدادي قد أورد عددا من الأخبار حول أبي الأسود الدؤلي قد لفتت انتباهنا فجعلتنا نبحث حول شخصيته وقد وجدنا في بعض المصادر الأخرى ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني و المستطرف في كل فن مستظرف[5] وغيرها من المصادر قصصا وأخبارا حوله مما عزز ثقتنا في الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي على إنها أخبار غير موضوعة بل جلها أخبار منتشرة في المصادر التي ترجمت أو ذكرت حياة أبي الأسود الدؤلي.

نستنتج أخيرا أن المفارقة تعد مصطلح لم يرد في كتب التراث العربي البلاغي أو النقدي إنما عرف النقاد و البلاغيون مصطلحات أخرى مقاربة لهذا المصطلح ، والمفارقة عنصر فعال في

---

(1) ينظر :البخلاء: ١٢٨-١٢٩.
(2) وفيات الأعيان: ٢/ ٥٣٥.
(3) ينظر : المفارقة الاسلوبية في مقامات الهمذاني:٩١.
(4) الوافي بالوفيات: ٣٠٧/١٦.
(5) ينظر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني:١٢ /٢٢٠، المستطرف في كل فن مستظرف ،شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي: ٢٤٩.

كتاب البخلاء للخطيب البغدادي فقد أورد الخطيب البغدادي أخبارا فيها مفارقة سواء في اللفظ و إن كانت قليلة أو بالمواقف وهي أكثر ورودا من مفارقة الألفاظ ، و أحيانا أخرى تكشف عن سلوكيات و جوانب بعض الشخصيات التي تظهر خلاف ما تبطن ، أو غايتها إمتاع القارئ وكسر أفق التوقع لديه مما يجعله شغوفا لاستكمال الخبر و أيضا زيادة شعوره في المتعة و خروجه من رتابة بعض النصوص ، المفارقة في كتاب البخلاء لها وظيفة أخرى هي إضفاء الجانب الأدبي على الأخبار التي أوردها الخطيب البغدادي ، إذ لولا وجود المفارقة و العناصر الفنية الأخرى لأصبح الكتاب مجرد سرد تاريخي لأخبار و أحداث قد دونت و وصلت إلينا و لأصبح الكتاب جافا خاليا من عنصر التشويق لدى قراءته، فالعناصر الفنية هي التي زادت من القيمة الأدبية للكتاب ومن ضمن هذه العناصر عنصر المفارقة .

الخاتمة

الخاتمة:

بعد التجوال و الترحال مع بخلاء البغدادي توصل البحث إلى مجمل نتائج يمكن أدراجها بما يأتي:

- امتلاك الخطيب البغدادي لمؤلفات أدبية بحتة بعيدة عما أشتهر و صنف فيه من كتب و مؤلفات تخص علم الحديث و الفقه و التأريخ وهذه المؤلفات هي كتاب البخلاء ،و التطفيل و حكايات الطفيليين و أخبارهم و نوادر كلامهم وأشعارهم، التنبيه و التوقيف على فضائل الخريف.
- عدم ذكر المصنف لأسباب واضحة توضح الغاية من تأليفه لكتاب يخص فيها أخبار البخلاء كما فعل الجاحظ، ورجحنا تلك الغاية لسببين الأول هو الحد من ظاهرة البخل المتفشية في المجتمع أما الثاني فهو تأثره في الجاحظ والعلماء الأخرين الذين صنفوا كتبا في البخل قبله .
- أن أهم ما يميز كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ،هو التزامه بالإسناد في مقدمة كل حديث أو خبر أو شعر يذكره إلا ما شذ وندر منها حتى أصبح الإسناد سمة بارزة من سمات الكتاب تميزه عن الكتب المشابهة .
- تعدد صيغ الإسناد المذكورة في الكتاب مما يتناسب مع مراتب تحمل أداء المتن، فالتعدد و التنوع ساعدا في تحديد جنس الكلام من حيث طبيعته، و ومصادر تحصيله و أصوله و مرجعيته، وقد أدى الإسناد وظيفة أخرى هو توثيق المتن الوارد في الكتاب وتحديد بعده التأريخي من خلال سلاسل الإسناد الواردة فحققت المصداقية والأمانة العلمية في نقل الأحاديث، والأخبار، والأشعار.
- تنوع افتتاحيات أخبار كتاب البخلاء فنجد السارد تارة يفتتح باستهلال حدثي ،و تارة وصفي أو حواري أو تشخيصي، وقد عكس هذا التنوع للمتلقي قدرة السارد على الإبداع و مدى تمكنه من العناصر الفنية التي تزيد من إثارة الاهتمام وجلب الانتباه ،و أيضا عرف الاستهلال لنا بما سيحمله الخبر من أحداث، كما إن بعض الأخبار تخلو من الاستهلال.

- لقد وضحت هذا الدراسة ظاهرة التداخل الأجناسي التي أراد بها السارد كسر الحواجز بين الفنون الأدبية، وإعطاء فكرة للمتلقي إن هذه الفنون جمعيها تصب في خدمة النص الأدبي مما تثريه و تضيف إلى عملية الإبداع نوعاً من المتعة و التشويق و تكسر حاجز الملل و الرتابة التي قد تصيب المسرود له وقد وظفت النصوص الشعرية لغاية أخرى داخل النصوص الإخبارية فكانت الغاية منها زيادة التوثيق و المبالغة في صحة الوقائع التي ذكرها السارد لنا ، ووصف لبعض الوقائع و والإفصاح عما يدور في وجدان شخصيات الكتاب الذين لم يستطيعوا أن يعبروا أو يصفوا لنا عما ما في نفوسهم نثرا.
- أما فيما يتعلق بخواتيم الكتاب فقد كشفت الدراسة عن تنوع الخواتيم الواردة في الكتاب وإن كان هذا التنوع محدودا، ولكن لا يخلو الكتاب من التنوع ما بين خاتمة تحتوي على آية قرآنية ، أو حديث نبوي، أو خاتمة شعرية ولكن ما يطغي على كتاب البخلاء الخواتيم التي تنتهي بانتهاء الخبر ، وكان سبب التنوع هو حرصا منه على عدم التكرار الذي يسبب الملل و الضجر للمتلقي، و اكساب النصوص الواردة وعن طريق الآيات و الأحاديث و الأشعار نوعا من التعضيد و التوثيق.
- أما على مستوى الشخصيات فقد اهتم الخطيب البغدادي بشخصيات كتابه و قدمها على طريقتين الأولى هي طريقة مباشرة حيث تولى السارد فيها مهمة الكشف عن شخصياته وتقديمها للمتلقي فيصف أبعادها داخل النص بأسلوب إخباري، أما الثانية فهي طريقة كشفية التي يتنحى فيها السارد عن تقديم الشخصيات جانبا ، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها بنفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها و تصرفاتها وسلوكياتها الخاصة، وقد برز نمطان من الشخصيات في الكتاب ، هما الشخصية الرئيسة التي تؤدي دورا في تحريك الأحداث والشخصية الثانوية التي تبرز من خلالها الشخصية الرئيسة، أما نوع الشخصيات الواردة فقد وردت شخصيات مرجعية وهي شخصيات موجودة بالفعل على أرض الواقع ولها بعد حقيقي في مسيرة التأريخ وقد ذكر الخطيب البغدادي منها الشخصيات التاريخية و الأدبية المعروفة، وذكر نوعا أخر من الشخصيات وهي شخصيات محاكاتية تخيلية التي هي قريبة من الواقعية، و التأريخية إلا أنها لا تحيل في مرجعيتها على الواحد المتفرد بقدر ما تحيل على المتعدد فهي التي لا تمتلك ملامح محددة بل هي مصداق ينطبق على عدة أشخاص بلا أسم بل عرفوا بأسماء مختلفة،

وأيضا وردت شخصيات إشارية في الكتاب فهم الحلقة الواصلة بين الشخصيات في الخبر و بين المتلقي وهم ما يسمون بالرواة أو الساردين.

- أما فيما يتعلق ببناء الحدث فجاءت أغلب أخبار الكتاب بنسق متتابع في بنائها مترابط في وحدته فلم يتلاعب السارد في تسلسل وقوعها وهذا التوالي و الترابط مبني على أساس علاقة سببية فيما بينها إذ تماسكت حلقاتها بارتباط السابق باللاحق ،ولم يخلُ الكتاب من أنساق بناء الحدث الأخرى فكان لنسق التضمين حضور في بعض الأخبار وكانت الغاية من إيراد هذا النسق هي إيصال فكرة للمتلقي بأن السارد على مقدرة من نسج الأحداث مع أحداث أخرى وداخل الخبر الواحد وذلك بواسطة إحدى شخصيات العمل ،وأيضا تعريف المسرود له بأن لديه معلومات وسعة إطلاع على ما جرى مع هذه الشخصية حيث يذكر لها عدة وقائع مع عدة أشخاص آخرين، وقد ورد أيضا نسق أخر في أخبار الكتاب و هو نسق التكرار حيث أراد السارد بذلك رسم ما تحمله الشخصيات من بخل ،فهذا التكرار على أفعالها يوضح ويؤكد شدة بخلها.
- أما فيما يخص الزمان فعلى الرغم من أن كتاب البخلاء قد احتوى على ملامح للسرد و ليس على سرد فعلي كما نعرفه اليوم إلا أننا وجدنا فيه بعض تقنيات الزمن الحديثة وبصورة عفوية فمن هذه التقنيات المستخدمة في الكتاب تقنية الترتيب التي من خلالها رتب حركة تواتر السرد وعلى شكلين هما الاسترجاع المبسط الخالي من التعقيد وقد وظف لوظيفة توضيحية تذكيرية داخل الأخبار التي أوردناها، والاستباق الحدثي الذي لم يقتل عنصر التشويق في النصوص، أما التقنية الأخرى التي وردت في الكتاب هي تقنية المدة وقد برزت هذه التنقية من خلال التخليص أو الخلاصة التي قدم فيها السارد خلاصة للأحداث، والحذف التي اسقط فيها السارد بعض الأحداث غير المهمة ولعله أراد بذلك السيطرة على مضمون الحدث و عدم خروج الحدث من خطة الكتاب و منهجيته .
- وكان للمكان حضور في أخبار البخلاء للخطيب البغدادي و إن كان هذا الحضور قليلا و متشابها في الغالب ، إذ عرض الخطيب البغدادي الأماكن التي عاش فيها البخيل و تأثر فيها كونها أماكن وسمت بأطباع ساكنيها، ولم يحظ المكان على مساحة واسعة في الاخبار كأن يصفها وصفا مطولا بل اكتفى السارد بذكرها على شكل مبسط .

- أما الحوار الوارد فقد اقتصر على حوار خارجي فقط فلم نلحظ في الكتاب حوارا داخليا، وقد وظف الحوار الخارجي و ساهم بشكل كبير في تحريك الأحداث ودفعها الى الإمام وإظهار تفاصيلها و الكشف عن سلوكيات بعض الشخصيات مما أضفى على الكتاب الحيوية وخفف من وطأة السرد وإشعار المتلقي بالمشاركة حينما يقرأها.
- وقد حضرت الفكاهة و السخرية على أشكال وصور متنوعة منها ما هو عفوي وغير مقصود و منها ما جيء بها لأجل الهجاء أو لأجل التنقيص من قيمة الأشخاص البخلاء، وإن النصوص التي تحمل بعضا من الفكاهة و السخرية قد زادت من التنفيس عن القارئ أو المتلقي فهي تزيد من طرافة المضمون و تضيف عليه بعض الخفة و اللطافة مما تمنح ثراء في إمتاع المتلقي، وأيضا مما لاحظناه أن الشعراء الذين ذموا الشخصيات البخيلة قد مزجوا ما بين السخرية و الهجاء من أجل تلوين نصوصهم الشعرية و منحها قوة أكثر في تصوير جوانب هذه الشخصيات الغريبة في تصرفاتها .
- وقد شكل الوصف حضورا في أخبار البخلاء سواء أ كان بالطريقة المباشرة عن طريق وصف الشخصية وصفا مباشرا أم غير المباشرة عن طريق إبراز حركة الشخصيات و أفعالها، و قد وظف السارد الوصف لتصوير الشخصيات و الأماكن و الأطعمة بشكل وجيز ومكثف و قصير ليتناسب مع طبيعة الأخبار التي أوردها .
- وكانت المفارقة من العناصر الفعالة في كتاب البخلاء فقد أورد الخطيب البغدادي اخبارا فيها مفارقة سواء في الألفاظ أو بالمواقف و إن كانت الثانية أكثر ورودا من مفارقة الألفاظ ،أما غاية ذلك فهي إمتاع القارئ وكسر أفق التوقع لديه مما يجعله شغوفا لاستكمال الخبر و أيضا زيادة شعوره في المتعة و خروجه من رتابة بعض النصوص، وقد لعبت وظيفة أخرى هي إضفاء الجانب الأدبي على الأخبار التي أوردها السارد والتي زادت من القيمة الأدبية للكتاب.

ولذ فإن كتاب البخلاء يعد من المصادر التي تحمل قيمة أدبية وجمالية و معرفية تدخلنا لعالم البخلاء و تصور لنا جانبا من حياة هؤلاء الأشخاص و كيفية تفكيرهم و تفسر لنا بعض سلوكياتهم و نمط معيشتهم و تصرفاتهم مع الآخرين ...

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

- ابن سناء الملك ومشكلة العقم و الابتكار في الشعر، عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،العراق ،ط ٢، ١٩٨٦.
- الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨.
- الأدب الفكاهي ، عبدالعزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان ، ، ط١، ٢٠١٩.
- أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ،تصحيح وتعليق :محمد بهجة الأثري، نظر فيه: محمد شكري الآلوسي، المطبعة السلفية ،مصر ،١٣٤١هـ.
- الأدب المفرد، لابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
- الإرواء في طرق التحمل وصيغ الأداء، أحمد محمد سحلول، الدار الاسلامية للطباعة و النشر، المنصورة، الطبعة الثالثة (د.ت).
- الاستهلال فن البدايات ، في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار نينوى، سورية ، ط٤، ٢٠١٥.
- أصول علم الرجال ،عبدالهادي الفضلي، مركز الغدير للنشر، لبنان بيروت،ط٢ ،٢٠٠٩.

- الألسنة و النقد الادبي في النظرية و الممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار للنشر، ١٩٧٩.
- الإلماع إلى معرفة الرواية وتقيد أصول السماع ،القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٠.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، اعتنى به: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠١١.
- انفتاح النص الروائي(النص والسياق)،سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب،ط٢، ٢٠٠١ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ،دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٣.
- إيقاع الزمن في الرواية العربية، المعاصرة، أحمد حمد النعيمي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ .
- البحث الأدبي مناهجه وأصوله، شوقي ضيف ، ،دار المعارف ،القاهرة ،ط٧ ،١٩٩٢.
- بحوث في الرواية الجديدة، ميشيل بوتور، ترجمة :فريد أنطونيوس ،وزارة الثقافة و الرياضة ،دولة قطر،٢٠١٩ .
- البخلاء، الجاحظ، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠.
- البخلاء، الخطيب البغدادي، تحقيق، أحمد مطلوب ،خديجة الحديثي ، أحمد ناجي القيسي ، مطبعة العاني ،بغداد ،ط١، ١٩٦٤.
- البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ، ط١، ١٩٩٤.

- البداية و النهاية في الرواية العربية ، عبد الملك أشبهون، دار رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
- بلاغة التزوير فاعلية الاخبار في السرد العربي القديم، لؤي حمزة عباس ،الدار العربية للعلوم، بيروت ،ط١، ٢٠١٠.
- بناء الرواية ،اوردين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، دار الجيل للطباعة،١٩٦٥ .
- بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم ،طبعة مكتبة الأسرة،٢٠٠٤ .
- البناء الفني في الرواية العراقية ،شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد ،العراق،ط١ ،٢٠١٩.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ،عبدالله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ط١ ، ١٩٨٨.
- بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ،سعيد شوقي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ،٢٠٠١.
- البنية الحوارية في النص المسرحي، ناهض الرمضاني أنموذجا، قيس عمر محمد دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان ،الاردن ،ط١، ٢٠١٢.
- بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، هاشم ميرغني ،شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ،السودان،ط١، ٢٠٠٨.
- بنية السرد في القصص الصوفي(المكونات ،الوظائف ،التقنيات)، ناهضة ستار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،٢٠٠٣ .

- بنية الشكل الروائي(الفضاء ،الزمن ،الشخصية)حسن بحراوي ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد الحمداني المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ ،١٩٩١.
- البنيوية وعلم الإشارة ،ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة ،دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١، ١٩٨٦.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط١، ٢٠٠٠.
- تحليل الخطاب الروائي ،سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط٣، ١٩٩٧.
- تحليل الخطاب السردي في أخبار الطفيليين ، علاء عبد المنعم إبراهيم ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن ،ط١ ، ٢٠٢١.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ،مكتبة الكوثر ،بيروت ،ط٢ ،١٤١٥هـ.
- التطفيل وحكايات الطفيليين و أخبارهم ونوادر كلامهم و أشعارهم ،الخطيب البغدادي، دار ابن حزم، بيروت (د.ت).
- تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية(١٩٤٧-١٩٨٥) ،شريبط أحمد شريبط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٨.
- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي ،بيروت لبنان، ط٣، ٢٠١٠.

- تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ،آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان، ط٢، ٢٠١٥.
- تمثلات العجب في السيرة(سيرة الملك سيف بن ذي يزن أنموذجا)، صفاء ذياب ،دار صفحات ،دمشق ،سورية، ط١، ٢٠١٥.
- التناص بين النظرية و التطبيق(شعر البياتي أنموذجا)أحمد طعمة حلبي، الهيئة العامة السورية للكتاب ،٢٠٠٧.
- تهذيب الكمال في اسماء الرجال، للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة و أنسابهم و ألقابهم وكناهم ،لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي(ت٨٤٢)،تحقيق :محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٩٩٣.
- تيار الشعوبية في أدب الجاحظ: علي محمد السيد خليفة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠١١.
- الحوار القصصي، تقنيات وعلاقات السردية ،فالح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،١٩٩٩.
- الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية ،محمد القاضي ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،ط١ ،١٩٩٨.
- الخبر في كتاب الاغاني ،ضياء غني العبودي، ميادة عبد الأمير العامري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٣.

- خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ،جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم، عبدالجليل الازدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢، ١٩٩٧.
- دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ،مكتبة الغرباء الأثرية ،المدينة المنورة ،ط١ ،١٩٩٥.
- دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها ،إتجاهاتها، أعلامها) ،محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الاسكندرية (د.ت).
- دراسات في القصة القصيرة جدا ، الدكتور جميل حمداوي، دار الألوكة للنشر، ط١ ،٢٠١٣ .
- ديوان ابن بسام البغدادي، صنعة و تحقيق مزهر السوداني، مؤسسة المواهب للطبع والنشر، بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٩٩.
- ديوان ابن الرومي، منشورات دار ومكتبة هلال، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٨.
- ديوان أبي الشمقمق ،تحقيق: واضح محمد الصمد ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٩٥.
- ديوان أبي العتاهية، تحقيق الدكتور شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٥.
- ديوان أبي نواس تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة ،١٩٥٣.
- ديوان البحتري، تحقيق :حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر،ط٣.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق :محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية ،الجزائر ،٢٠٠٧.
- ديوان جحظة البرمكي، جمع وتحقيق: جان عبدالله توما ،دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

- ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه ،دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦.
- ديوان سبط بن التعاويذي، اعتنى به وصححه د.س. مرجليوث ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩٠٣.
- ديوان السيد الحميري تحقيق :ضياء حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي ،بيروت لبنان،ط١، ١٩٩٩.
- ديوان الشعر العربي، أدونيس ، دار الساقي ، بيروت ، ط ٥، ٢٠١٠.
- ديوان الطرماح ،تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت ،لبنان ،ط٢، ١٩٩٤.
- ديوان علي بن الجهم، تحقيق :خليل مردم بك، وزارة المعارف السعودية، ١٩٨٠.
- ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧.
- ديوان كعب بن زهير، تحقيق :علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،١٩٩٧.
- ديوان محمد بن يسير الرياشي، جمع وتحقيق : مظهر الحجي ،دار الذاكرة، حمص، سوريا، ط١، ١٩٩٦.
- ديوان محمود الوراق ،تحقيق: وليد القصاب، مؤسسة الفنون، عجمان، ط١ ،١٩٩١ .
- ديوان النابغة الذبياني ،تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦.
- الراوي في السرد العربي المعاصر رواية الثمانينات بتونس، محمد نجيب العمامي، دار محمد علي الحامي ،صفاقس ،ط١ ،٢٠٠١.
- الراوي والنص القصصي ،عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، القاهرة ،ط٢، ١٩٩٢.

- الرسائل الأدبية و دورها في تطوير النثر العربي القديم ،صالح بن رمضان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١ .
- الرواية و التراث السردي ، سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٢.
- الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- الزمن و السرد (الحبكة والسرد التأريخي)، بول ريكور ،ترجمة: سعيد الغانمي، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ،لبنان،ط١، ٢٠٠٦ .
- السخرية في الأدب العربي ،نعمان محمد أمين طه، دار التوفيقية للطباعة في الأزهر، ط ١، ١٩٧٨.
- السخرية في البرامج التلفزيونية، ضياء مصطفى ، تقديم كاظم المقدادي، دار ميزوبوميات، بغداد، ط١، ٢٠١٤.
- السخرية و الفكاهة في النثر العباسي، نزار عبدالله خليل الضمور، دار الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١، ٢٠١٢.
- سرد الأمثال دراسة البنية السردية لكتب الامثال العربية ، لؤي حمزة عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،٢٠٠٣.
- السرد العربي القديم الأنساق الثقافية و اشكاليات التأويل، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط١ ،٢٠٠٥.
- السرد العربي القديم (الأنواع، الوظائف، البنيات) ،إبراهيم صحراوي ،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ،لبنان ،ط١ ،٢٠٠٨.
- السرد العربي القديم مفاهيم وتجليات ، سعيد يقطين ، دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ،لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢.

- سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر و الملح والنوادر للحصري القيرواني، رائد حميد البطاط، تغريد خليل حامي، دار أمل الجديدة دمشق سوريا،ط١، ٢٠١٨.
- السيمياء و التأويل ، روبرت شولز، ترجمة :سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١ ،١٩٩٤.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق،ط١ ،١٩٨٩.
- شرح ألفية العراقي ،زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، أعتنى بها محمد بن الحسين العراقي الحسيني، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان (د.ت).
- شرح نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق طارق عوض عبدالله، دار المأثور ،المملكة العربية السعودية، ط١ ،٢٠١١.
- شعر أبي سعد المخزومي، جمع وتحقيق: رزوق فرج رزوق ، مطبعة الأيمان، بغداد، ١٩٧١.
- الشعر الجاهلي بين الرواية و التدوين ،علي أحمد الخطيب ، الدار المصرية اللبنانية ،ط ١، ٢٠٠٣.
- شعر عبد الصمد بن المعذل، تحقيق: زهير غازي جاهد ، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٠.
- شعرية التأليف(بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي) ،بوريس أوسبنسكي ،ترجمة: سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٩٩.

- صحيح بخاري ،للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير ،دمشق ،ط١، ٢٠٠٢.
- الصناعتين (الكتابة و الشعر)،أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١.
- صورة بخيل الجاحظ الفنية، أحمد بن محمد بن امبيربيك، دار الشؤون الثقافية، العراق، بغداد، ١٩٨٦.
- صورة البصرة في بخلاء الجاحظ، هاني العبد، دار الشؤون الثقافية ،ط١، ١٩٩٠.
- الصورة –الحركة أو فلسفة الصورة ،جيل دولز ،ترجمة حسن عودة، منشورات وزارة الثقافة–المؤسسة العامة للسينما ،دمشق ،١٩٩٧.
- الصورة الساخرة في القرآن الكريم ،عبد الحليم حفني ،الهيئة المصرية العامة ١٩٩٣.
- الضحك ،هنري برغسون ،ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط١. ١٩٨٧.
- ضحك كالبكاء، ادريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط١ ،١٩٨٦.
- طبقات النحويين و اللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ،دار المعارف ، لبنان ،بيروت،ط٢ ،١٩٨٤.
- عالم الرواية ،رولان برونوف، ريال أونيليه، ترجمة: فؤاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، ١٩٩١.
- عتبات الكتابة في الرواية العربية ،عبد الملك أشبهون ،دار الحوار للنشر و التوزيع ،اللاذقية ،سوريا ،ط١ ، ٢٠٠٩.

- العقد الفريد ، أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي ،تحقيق :محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٣.
- علوم الحديث، لابن صلاح الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق نور الدين محمد عتر الحسني ،دار الفكر المعاصر ،بيروت لبنان ،١٩٨٦.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- الغائب دراسة في مقامات الحريري ،عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ،المغرب، ط٣، ٢٠٠٧.
- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري ،دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ،ط١، ٢٠١٣.
- الفكاهة و الضحك رؤية جديدة ، شاكر عبد الحميد ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والادب ، الكويت ،١٩٩٠.
- فلسفة الفكاهة ، تيري أيغلتون، ترجمة ماجد حامد ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ط١، ١٩٩٢.
- فن الخطابة ،ارسطو طاليس ،تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم ،بيروت ،لبنان،١٩٧٩.
- فن السخرية في أدب الجاحظ، رابح العوبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن،٢٠١٧.
- فن القصة ،محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت ،١٩٩٥.
- فن القصة القصيرة ،رشدي رشاد ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٢، ١٩٦٤.

- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، أركان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.
- فن كتابة القصة ،حسين القباني، مكتبة المحتسب ، عمان ،ط٢ ،١٩٧٤.
- فنون النثر العربي الحديث ،حسني محمود، إبراهيم أبو هشهش ،صالح أبو أصبع ،منشورات جامعة القدس المفتوحة،ط١، ١٩٩٥.
- في الشعر الجاهلي، طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ، ط١ ،١٩٢٦.
- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،عبدالملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ١٩٩٨.
- في النقد الأدبي الحديث(منطلقات و تطبيقات)،فائق مصطفى ،عبد الرضا علي، مكتبة اللغة العربية، بغداد،ط٣، ٢٠١٤.
- في النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن ،مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٧٩.
- قال الراوي(البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)،سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط١، ١٩٩٧.
- قاموس السرديات ،جيرالد برنس ،ترجمة السيد إمام، ميريت للنشر و الطباعة، القاهرة،ط١، ٢٠٠٣.
- القصة القصيرة دراسة ومختارات ، الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ،القاهرة ،ط ٨، ١٩٩٩.
- كتاب البديع ، أبو العباس عبدالله بن المعتز، تحقيق: عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،لبنان، ط١، ٢٠١٢ .
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ.

- الكـلام و الخبـر مقدمـة للسـرد العربـي، سـعيد يقطـين، المركـز الثقـافي العربـي ،الـدار البيضاء ،ط١، ١٩٩٧.
- لحظـة الأبدية(دراسـة الزمـان فـي أدب القـرن العشرين)،سـمير الحـاج شـاهين ،المؤسسـة العربية للدراسات و النشر، بيروت،ط١، ١٩٨٠ .
- لسان العرب، ابن منظور الافريقي ، دار صادر، بيروت،(د.ت).
- الشـعرية، تزفيطـان طـودوروف، ترجمـة شـكري المبخـوت ورجـاء بـن سـلامة،دار توبقـال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب ، ط٢، ١٩٩٠.
- المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص و الرؤى و الدلالة)،عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط١، ١٩٩٠.
- المـتقن معجـم المصـطلحات اللغويـة و الأدبيـة الحديثـة ، سـمير حجـازي ، دار الراتـب الجامعية ، بيروت، ٢٠٠٥.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ،تقديم أحمد الحوفي ،بدوي طبانه ، دار نهضة مصر، القاهرة.
- المختصر في علم مصطلح الحديث والأثر ،خالد بن محمود الجهني، دار التقوى للطبع، ط١، ٢٠١٧.
- مدخل إلـى التحليل البنيوي للقصـة ،رولان بـارت ،ترجمـة: منـذر عياشـي، مركز الإنمـاء الحضاري، حلب، سوريا، ط١، ١٩٩٣.
- مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، ١٩٨٦.

- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان.
- مسند أبي يعلى الموصلي ،للإمام الحافظ أحمد بن علي بن مثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، سوريا ، دمشق،ط١ ،١٩٨٧.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، دار الجيل ،بيروت ،ط٨، ١٩٩٦.
- المصطلح السردي(معجم مصطلحات) ،جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.
- معجم الأدباء(إرشاد الأريب لمعرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.
- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢ ،١٩٨٤.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر و التوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٠.
- معجم الشعراء، أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق، فاروق أسلم، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان ، ١٩٨٢.
- معجم المصطلحات ، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس ط١ ، ١٩٨٦.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة ،كامل المهندس ،مكتبة لبنان ،بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
- معجم مصطلحات نقد الراوية ،لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،لبنان، ط١، ٢٠٠٢ .
- معجم المصطلحات النقدية ، أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، ط١ ،١٩٨٩.
- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط٢ ،١٩٩٩.
- معرفة علوم الحديث، النيسابوري ،تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية بيروت،ط٢، ١٩٧٧ .
- المفارقة في الأدب دراسات بين النظرية و التطبيق ، خالد سليمان ، دار الشروق، عمان ، ط١ ، ١٩٩٩.
- المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، عبد التواب محمود عبد اللطيف، شمس للنشر و الاعلام، القاهرة ،ط١ ،٢٠١٤ .
- المفارقة القرآنية (دارسة في بنية الدلالة) ،محمد العبد، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٤.
- المقابسات ،أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح ،الكويت، ط٢.
- مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، عبدالقادر بن سالم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،أبو الحسن حازم القرطاجني ،تحقيق: محمد حبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط٣، ١٩٨٦.

- منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الآثر ،للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الاولى،٢٠٠٣م.
- المنهل الروي على منظومة المجد اللغوي ،سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل، اعتنى به هارون بن عبد الرحمن الجزائري، دار ابن حزم ،بيروت لبنان، ط١ ،٢٠٠٧.
- موارد الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد، ضياء العمري، دار طيبة ، الرياض، ط٢، ١٩٨٥.
- موسوعة السرد العربي ،عبدالله إبراهيم، دار قنديل للطبع الإمارات، دبي، ط١ ،٢٠١٦.
- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٩.
- موسوعة المصطلح النقدي ،المفارقة وصفاتها ، د.سي. ميويك . ترجمة د.عبدالواحد لؤلؤة ،دار المأمون، بغداد ، العراق ،ط٢ ،١٩٨٧.
- ميزان الحكمة ،محمد الريشهري ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، قم ، ط١ ،١٤٢٢ هـ.
- الميسر في علم علل الحديث، محمد عبدالله حياني ، جامعة الملك فيصل، الدمام ،ط١، ٢٠١٦.
- النثر في العصر الجاهلي ،هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي ،بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- نشأة الإسناد، قاسم علي سعيد ،دار البشائر الإسلامية ،لبنان بيروت ،ط١ ،٢٠١٠.
- نظرية الأدب ، رنيه وليك، آوستن وآرن ،تعريب : عادل سلامة، دار المريخ ،الرياض ،المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صالح فضل ،دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

- نظرية السرد ما بعد الحداثية، مارك كوري، ترجمة: السيد إمام، دار شهريار، البصرة العراق، ط٢، ٢٠٢٠ .
- نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جينيت وأخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، ط١، ١٩٨٩.
- نقد الشعر ،قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان .
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق: حسن نورالدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت)
- الهوية والسرد، بول ريكور، ترجمة :حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع،٢٠٠٩ .
- الوصف عند امرئ القيس دراسة تحليلية، نصر الدين فارس، دار المعارف، ط١، ١٩٨٢.
- الوصف في النص السردي بين النظرية و الاجراء ، محمد نجيب العمامي، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٠.
- وظيفة الوصف في الرواية، عبداللطيف محفوظ ،دار العربية للعلم ناشرون، ردمك، ط١، ٢٠٠٩.
- وفيات الأعيان و انباء ابناء الزمان لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان ،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

الرسائل و الأطاريح :

- بنية الخبر في كتاب الفصوص للصاعد البغدادي ، صفاء عبد الكاظم حسين ،رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار، ٢٠١٤.
- السخرية في الشعر الأموي ،سالم بن محمد بن سالم ، بامؤمن، أطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٣٧ هـ.
- السخرية في شعر جرير، محمد إبراهيم عبد القادر ربيع، رسالة ماجستير، جامعة جرش، كلية الآداب، ٢٠١٣.
- السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني و الثالث الهجريين ،عبدالخالق عبدالله عودة عيسى ،أطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية ،كلية الدراسات العليا،٢٠٠٣.
- السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول(٦٤٨-٧٨٤هـ)، نفين محمد شاكر عمرو، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٩.
- السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا ،خضرة ناصف، أطروحة دكتوراه ،جامعة محمد بوضياف، كلية الآداب واللغات،٢٠١٨.
- السرد عند الجاحظ البخلاء أنموذجا، فادية مروان أحمد الونسة، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة الموصل، ٢٠٠٤ .
- سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، رسالة ماجستير، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري–تيزي ويزو، ٢٠١٠.
- شعر الفكاهة في العصر العباسي، دراسة نقدية تحليلية ،جهاد عبد القادر قويدر، رسالة ماجستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،٢٠٠٩.

- صورة الفرس في كتاب البخلاء للجاحظ، شنين سهام، رسالة ماجستير، كلية الآداب و الفنون، جامعة عبدالحميد بن باديس، ٢٠١٦.
- الفكاهة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ،فليسي أمين، رسالة ماجستير ،جامعة مولود معمري، كلية الآداب و اللغات،٢٠١٣.
- المفارقة الأسلوبية في مقامات الهمذاني، يبرير فريحة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، قسم اللغة العربية و آدابها ، ٢٠١٠.
- المفارقة في الشعر الجزائري المعاصر(دراسة في نماذج)، أحلام جدي، حليمة روابحي ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي التبسي–تبسة– ، كلية الآداب واللغات ،٢٠١٧.
- المفارقة في روايات عز الدين جلاوجي، عبيدي شريف، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خضير ،قسم اللغة و الأدب ،٢٠١٧.
- المفارقة في شعر يحيى السماوي، نسرين إبراهيم فرهود، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كركوك، ٢٠٢٠.
- المفارقة في مسرح توفيق الحكيم المنوع، بشرى خليل عبدالرحمن سلامة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا ، ٢٠١٧.
- المفارقة في مقامات العصر العباسي، تغريد ضياء مشفي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب، ٢٠٠٣.

Conclusion:

After going around and traveling with The misers of Al-Baghdadi(Al-Bakhla), the research reached a total of results that can be included in the following:

- Al-Khatib Al-Baghdadi's possession of purely literary works far from what is known and classified in books and works related to the science of hadith, jurisprudence and history. These books are the book of misers, and at-tafeel, and the tales of the parasites, their news, anecdotes of their words and poems, warning and suspension on the virtues of autumn.

- The author was not mentioned for clear reasons that explain the purpose of his writing a book on the news of miserliness, as Al-Jahiz did, and we preferred that goal for two reasons, the first is to reduce the phenomenon of miserliness that is rampant in society, and the second is its impact on Al-Jahiz and other scholars who classified books on miserliness before him.

- The most important characteristic of Al-Khatib Al-Baghdadi's book Al-Bakhla(The misers) is its commitment to the chain of transmission in the introduction to every hadith, news, or poetry that mentions it, except for the rare and odd ones, until the chain of transmission became a prominent feature of the book that distinguishes it from similar books.

- The multiplicity of the isnad forms mentioned in the book, which is commensurate with the ranks that bear the performance of the text. This multiplicity and diversity helped determine the gender of speech in terms of its nature, sources of collection, origins and reference. The chain of transmission performed another function, which is documenting the text contained in the book and determining its historical dimension through the incoming isnad, it has achieved credibility and scientific integrity in transmitting hadiths, news and poetry.

- Diversity of the openings of the book of The misers (Al-Bakhla), so we find the narrator sometimes opens with an introductory

initiation, and sometimes descriptive, dialogue or diagnostic. The news will carry him from events, as some news are devoid of initiation.

- This study has clarified the phenomenon of gender overlap with which the narrator wanted to break the barriers between the literary arts, and give an idea to the recipient that all of these arts serve the literary text, which enriches it and adds to the creativity process a kind of fun and suspense and breaks the barrier of boredom and monotony that may It hits the narration of it, and poetic texts were employed for another purpose within the news texts, the purpose of which was to increase documentation and exaggerate the validity of the facts mentioned by the narrator to us, and to describe some of the facts and to disclose what is going on in the hearts of the characters of the book who were unable to express or describe to us what is in their souls prose.

- With regard to the book's closings, the study revealed the diversity of the endings contained in the book, although this diversity is limited, but the book is not without diversity between an epilogue that contains a Quranic verse, a prophetic hadith, or a poetic conclusion, but what dominates the book of misers(Al-Bakhla), which It ends with the end of the news, and the reason of diversity was in order to avoid repetition that causes boredom to the recipient, and to give the texts received and through verses, hadiths and poems a kind of consolidation and documentation.

- As for the construction of the event, most of the news of the book came in a sequential structure in its structure that is interconnected in its unity. The narrator did not manipulate the sequence of its occurrence, and this sequence and interdependence is built on the basis of a causal relationship among them, as its episodes were coherent with the connection of the former to the later, and the book was not devoid of other event construction formats, so it was The inclusion format had a presence in some news, and the purpose of this format was to convey an idea to the recipient that the narrator is able to weave events with other events and within the same news

through one of the work characters, and also to identify the narrator that he has information and wide knowledge of what happened with this character Where he mentions several facts to her with several other people, and another format was also mentioned in the book's news, which is the repetition format, where the narrator wanted to draw what the characters carry from miserliness, this repetition of their actions shows the severity of their miserliness.

- On the level of personalities, Al-Khatib Al-Baghdadi was interested in the characters of his book and presented them in two ways. The first is a direct method, in which the narrator took the task of revealing his personalities and presenting them to the recipient, describing their dimensions within the text in a news style, while the second is a scouting method in which the narrator steps aside from presenting the characters aside. To allow the character to express himself by himself and reveal his essence through his private conversations, attitudes and behaviors, two types of characters have emerged in the book, they are the main character, who plays a role in moving events, and the secondary character through which the main character emerges, and the type of incoming characters are personalities. Reference, and they are characters who already exist in real life and have a real dimension in the course of history. Al-Khatib Al-Baghdadi mentioned historical and literary figures among them are known, and he mentioned another type of personalities, which are simulated imaginary characters, which are close to realism and historical, but they do not refer in their reference to the unique one As far as it refers to the multiple, it is the one that does not have specific features, but rather it is a credibility that applies to several people who do not have a name, but are known by different names, and indicative personalities are also mentioned in The book understands the link between the characters in the story and the recipient, who are the so-called narrators.

- As for time, although the Book of Misers (Al-Bakhla)has contained features of narration and not an actual narration as we know it today, we found in it some modern techniques of time and spontaneously. Two forms are the simplified retrieval, free of complexity, which was employed for an explanatory and reminder function within the news

we mentioned, and the anticipation of the event, which did not kill the element of suspense in the texts. The other technique mentioned in the book is the duration technique. A summary of the events, and the omission in which the narrator dropped some unimportant events, and perhaps he wanted to control the content of the event and not leave the event out of the book's plan and methodology.

- The place had a presence in the news of misers (Al-Bakhla) of Al-Khatib Al-Baghdadi, even if this presence was few and similar in most cases, as Al-Khatib Al-Baghdadi presented the places in which the miser lived and was affected by them being places that were characterized by the characteristics of their inhabitants, and the place did not have a large area in the news as he described them as a lengthy description Rather, the narrator merely mentioned it in a simplified form.

- Humor and irony have come in various forms, some of which are spontaneous and unintentional, and some of them are brought for the sake of satire or for the sake of devaluing miserly people. From the novelty of the content and add to it some lightness and gentleness, which gives a richness in the enjoyment of the recipient, and also from what we have noticed that the poets who vilified the miserly characters have mixed between irony and satire in order to color their poetic texts and give them more power in portraying the aspects of these strange characters in their actions .

- Paradox was one of the effective elements in the book of misers (Al-Bakhla). Al-Khatib al-Baghdadi reported news in which there is a paradox, whether in terms or situations, even if the second is more frequent than paradoxical terms. The pleasure and his departure from the monotony of some texts, and played another function is to give the literary side to the news reported by the narrator, which increased the literary value of the book.

- As for the incoming dialogue, it was limited to an external dialogue only. We did not notice an internal dialogue in the book. The external dialogue was employed and contributed greatly to moving events and pushing them forward, revealing their details, and revealing the

behavior of some personalities, which gave the book vitality and eased the stress of narration and notice to the recipient. Share when you read it.

- The description formed a presence in the miserly news, whether it was in a direct way by describing the character directly or indirectly by highlighting the movement of the characters and their actions. which I mentioned.

- Therefore, the book of misers (Al-Bakhla)is one of the sources that carry a literary, aesthetic and cognitive value that introduces us to the world of misers and depicts for us an aspect of the lives of these people and how they think and explains to us some of their behaviors, their lifestyle and their behavior with others...